

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

القصدية في الموروث اللساني العربي
(دراسة في الأسس النظرية والإجرائية للبلاغة
العربية)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللسان العربي

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد خان

إعداد الطالبة:

دلال وشن

السنة الجامعية: 2015-2016م

الموافقة: 1436هـ - 1437هـ

شكر و تقدير

اتباعًا لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ} أتوجّه
بالشكر الجزيل والخالص إلى من لستُ أعرف كيف يبدأ الحديثُ عنه الأستاذ

الدكتور

[محمد خان]

ليس فقط لأجل ما أولاه من الجهد والعطاء في الإشراف على هذا البحث
وتقديم التوجيهات السديدة التي سعيت للعمل بها، بل أيضا لغزارة علمه
وكريم أخلاقه فغدا مثلي الأسمى



مقدمة



شكلت اللغة منذ القديم محور اهتمام الإنسان، فسعى إلى دراستها، ومعرفة أسرارها عبر دراسات حاولت الكشف عن طبيعتها، ونشأتها، وكيفية استعمالها، والعوامل المختلفة التي تتدخل في عملية نطقها وأدائها أداءً فعلياً، والعوامل الخارجية المؤثرة في إنتاج المعنى...إلخ.

إن نقل المعاني المختلفة من المتكلم إلى السامع - أي التبليغ والتواصل - هو الوظيفة الأساسية للغة، إذ هي موجودة أساساً لنقل المقاصد المتنوعة التي يؤمها المستعملون، وعلى السامع تفكيك شفرات الرسالة الموجهة إليه لمعرفة هذه المقاصد.

ولم يعد التيار البنوي هو المهيمن الوحيد على ساحة الدرس اللساني، فقد اتهم بأنه شكلي صوري يدرس اللغة كبنية مغلقة دراسة علمية موضوعية مجردة، مع إهمال عنصر الكلام لأنه عنصر ثانوي لا يمكن التجريب عليه، على الرغم من أن تشومسكي في اتجاهه التوليدي التحويلي ربط بين العقل واللغة باعتبار الإنسان ينتج ويفسر ما لا حصر له من الجمل، بما فيها الجمل التي لم يسمعها من قبل وفق قواعد صورية، فظهر الاتجاه التواصلية كردة فعل على البنوية؛ ليهتم بالاستعمال اللغوي التواصلية في إطاره الاجتماعي، وتجلي في عديد المناهج التي يركز كل منها على جانب معين، رغم الإطار العام الذي يجمعها (إطار التواصل). وأشهرها الاتجاه الوظيفي الذي ربط اللغة بالوظيفة التي تؤديها من جانب، وبالبيئة الاجتماعية وتضافر العناصر من جانب آخر، وكان آخر اهتمامات الوظيفيين "النحو الوظيفي" الذي اقترحه سيمون دايك، بالإضافة إلى منهج تحليل الخطاب في مراحل المتأخرة من خلال ربطه بسياق إنتاجه وانفتاحه على كثير من العلوم أثناء التحليل، ومنها: علم النفس و علم الاجتماع...إلخ.

وفي الآونة الأخيرة أفرزت المعرفة المعاصرة نظريات ومفاهيم لغوية متباينة الأسس والمعارف، انبثقت عنها تيارات لسانية جديدة أشهرها "التيار التداولي" الذي يهتم بعلاقة النشاط اللغوي بمستعمله، والبحث عن عوامل نجاح أو إخفاق التواصل باللغات الطبيعية والمقامات التي ينجز ضمنها الخطاب.

واهتمت اللسانيات التداولية في جوهرها بالمقاصد الإبلّغية وكيفية تشكّل المعنى في نفس المتكلم ثم نقله إلى السامع، وهو ما أطلق عليه " النظرية القصديّة".

إنّ الباحث عن أصول مباحث التداولية يجدها متشعبة متناثرة بين عديد العلوم، كاللسانيات والمنطق والفلسفة...، أمّا الباحث عن أصولها في الموروث اللغوي العربي، فإنّ عليه النظر في علم الأصول والنحو والنقد والبلاغة... وغيرها، فكل من يطلّع على التراث العربي يلاحظ أنه احتوى على أطروحات قيّمة وأفكار وآراء جليّة في دراسة الظواهر التي تعترّي اللغة العربية في مختلف استعمالاتها.

وأضحت هذه الأطروحات تضاهي في كثير من الأحيان الأفكار التي أفرزتها النظريات المعاصرة، لذا كان سبب اختيارنا موضوع " القصديّة في الموروث اللساني العربي دراسة في الأسس النظرية والإجرائية للبلاغة العربية"، وهو استثمار النظريات التداولية المختلفة وبخاصة " النظرية القصديّة" في دراسة وتحليل بعض المقولات البلاغية: كمقولة المقام والمطابقة والمجاز اللغوي، والكشف عن كيفية الربط بينها وبين قصد المتكلم، وكيف أنه عماد الحديث عن الاستعمال اللغوي في مختلف مناحيه عند علماء البلاغة القدامى، ومحاولة مقابلة ما توصل إليه البلاغيون مع ما توصلت إليه النظريات التداولية الحديثة.

ونظراً لشساعة الموروث البلاغي العربي، وامتداد قضاياها ومباحثه على مساحة واسعة من الدرس العربي، فقد اخترت مجموعة من المقولات البلاغية التي شكّلت أسساً بنى عليها علماءنا القدامى آراءهم فيما يتعلق بالأسلوب العربي ومقاصد مستعمليه. ولا تتحقّق غايته التي هي الكشف عن المفاهيم والآليات القيمة التي وردت لدى علمائنا في تناول ظاهرة القصد التي كان لها حضور في الدراسات التداولية المعاصرة، إيماناً منا بأن استثمار مثل هذه المفاهيم في دراسة اللغة العربية . وبالخصوص في ظل ما قدمه بلاغيونا القدامى . سيسهم بلا شك في وصفها وبيان خصائصها، والكشف عن ظواهرها الخطابية في ظل مناهج علمية دقيقة مستوفية أكثر مستدعيات الدرس اللساني، وفي كل ذلك إظهار لأهمية ما بذله دارسوننا في هذا الميدان وإنزاله المنزلة اللائقة به.

وفي سياق تحقيقنا لهذه الغاية حاولنا الإجابة عن عديد الإشكالات التي طرحت نفسها: ما طبيعة النظرية القصديّة في البلاغة العربيّة؟ وكيف نظر البلاغيون العرب إلى قصد المتكلم هل هي نظرية واحدة أم نظريات عدة؟ هل استطاعت النظرية المقصديّة الإجابة عن الأسئلة المبهمة في الدراسات التداولية المعاصرة المتعلقة بإنتاج المعنى وتكوينه؟ وما هي تجليات ذلك في الموروث البلاغي العربي؟ هل هناك نقاط اتفاق واختلاف بين النظرية القصديّة البلاغية عند العرب وبين النظرية القصديّة الغربيّة إذا علمنا أن القصد عند العرب يعني التوجه إلى الشيء مطلقاً، بينما هو عند الغربيين كيفية تمثّل الأشياء في الفلسفة العقلية وكيفية تكوين المعنى في الفلسفة اللغوية؟...إلى غير ذلك من الإشكالات. وللإجابة عن هذه الإشكالات وغيرها كان المنهج المتبع هو المزوجة بين الوصف والتحليل، مع المقارنة بين ما هو تراثي، وما هو معاصر مع تفسير وتوضيح التشابهات الموجودة بينهما، والاستعانة بكل ما من شأنه تبيان نقاط الاشتراك بين الخطاب البلاغي واللسانيات التداولية من مناهج وآليات استقراء.

وتتكون هذه الأطروحة من مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

أما المدخل فيكون التمهيد فهو تمهيد نظري نعرض فيه التعريفات اللغوية والاصطلاحية للتداولية، ثم التطرق لمهامها ودرجاتها، بالإضافة إلى التركيز على أهم المفاهيم التداولية المركزية؛ كأفعال الكلام ومتضمنات القول والافتراض المسبق والإشارات بأنواعها: شخصية، وزمانية، ومكانية، واجتماعية، وخطابية (نصية)، ثم مفهوم الحجاج في اللسانيات والدراسات التداولية.

أما الفصل الأول فنخصه للبحث في الأصول الفلسفية واللغوية للسانيات التداولية فنعرّج على المناخ الفكري والفلسفي الذي ظهرت فيه التداولية، مع مفهوم الفلسفة التحليلية وأهم فروعها المعروفة على صعيد الفكر الغربي المعاصر، وموقعها من النظرية التداولية، مع تخصيص مساحة قيمة لنظرية أفعال الكلام، ماهيتها ونشأتها، باعتبارها النظرية التي

لها علاقة مباشرة بالقصديّة الإبلاغيّة، و آخر الفصل ارتأيناه نقدا ومراجعة لآراء أوستن وسيرل في هذا المجال.

بينما خصص الفصل الثاني الذي عنون ب" القصديّة من الفلسفة إلى اللّغة (مفاهيم وتحديدات) لتعريف القصد لغة واصطلاحا، وعلاقة القصد بالوعي، ثم عرض تاريخ مفهوم القصديّة وارتباطها ببنية الجملة والمعنى اللغوي عند غرايس الذي وضع أسس قواعد حوارية، ثم العودة إلى سيرل في سياق الفلسفة التحليلية، الذي كان له فضل إعادة صياغة نظرية أفعال الكلام بغية تدعيم البعد التواصلّي، فربط فلسفة اللّغة بفلسفة العقل وعدها جزءا منها، ووجد تماثلا بين البنى العقلية والبنى اللغوية أو بين بنية الأفعال الكلامية وبنية الحالات القصديّة، ففسر قصديّة أفعال الكلام أو قصديّة المعنى انطلاقا من قصديّة الحالات العقلية، فقصديّة اللّغة هي قدرة المتكلم على تكوين المعنى وتمثيله الأشياء الموجودة في الواقع الخارجيّ بأفعال كلامية مستعينا بكل قدراته العقلية(الحالات العقلية المختلفة)، ثم نعرض لطبيعة الحالات القصديّة التي تتعلق باتجاه المطابقة أو التوجه التناسبي مع العالم، وفي مبحث المقصد التواصلّي في الدراسات التداولية نتطرق إلى الدلالات التي اتخذها المقصد التواصلّي في المعالجات النظرية التداولية والتي يمكن تقسيمها إلى مفهومين أساسيين: القصد بمفهوم الإرادة والقصد بمفهوم المعنى.

فيما خصص الفصل الثالث للكشف عن ملامح القصديّة في الموروث البلاغي العربي من خلال دراسة بعض المقولات البلاغية مع البدء بالحديث عن إشكالية التداخل بين البلاغة والنحو والتداولية، وربط وظيفة الكلام بالمواضعة والقصد والحاجة إليهما، ثم التطرق إلى أهم العوامل غير اللسانية المؤثرة في التواصل البشري وهي قضية المقام بين البلاغة العربية واللسانيات التداولية، ثم الربط بينه وبين المطابقة مقياسا للبلاغة في العربية، والمطابقة مفهوم مرتبط بوظيفة اللّغة في الفكر العربي فهي تتعدى المعنى الموضوع في أصل اللّغة إلى المعنى المقصود الذي تتدخل في إنشائه عوامل خارج لسانية، مع تخصيص مساحة أخرى لمعالجة قصديّة المتكلم والمطابقة(مطابقة الواقع

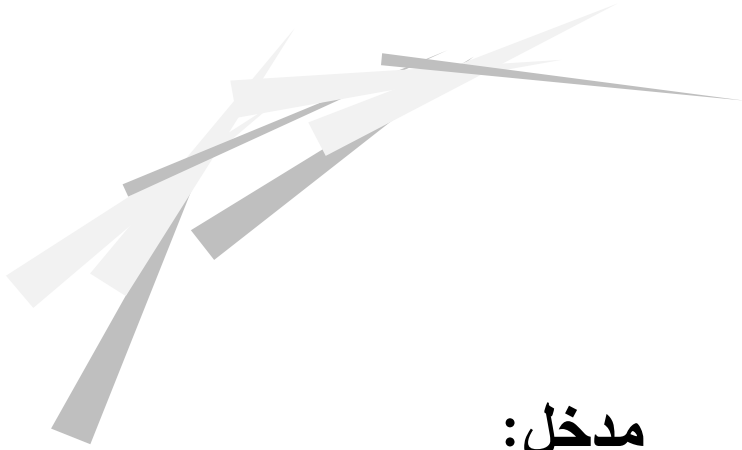
ومطابقة الاعتقاد)، والإحالة والإنشاء وارتباط القصد بمعنى القول والاعتبارات المقامية. وفي الأخير نستعرض ما للقصد من دور في المجاز اللغوي عموماً والتشبيه والاستعارة والكناية بخاصة، ثم التعرض لمسألتين هامتين تتعلقان بطرائق نظم العبارة في العربية، رأينا أنهما على صلة مباشرة ووطيدة بقصد المتكلم وهما: التقديم والتأخير، والحذف والإيجاز، وذلك على سبيل الحصر.

وبعد هذه الفصول خلصت الأطروحة إلى خاتمة تضمنت كل ما توصل إليه البحث من نتائج.

وقد استعنت في إنجاز هذا البحث بمصادر عربية قديمة وأخرى حديثة، أهمها: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، والخصائص لابن جني، وفلسفة العقل، والعقل مدخل موجز لسيرل.

وككل بحث لم تخل هذه الأطروحة من صعوبات، خاصة في الحصول على أهم المراجع والمصادر المتعلقة بالقصدية إذ إن مجملها متوفر باللغات الأجنبية، وقلة التطبيقات المتناولة لهذه النظرية في اللغة العربية.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل ووافر التقدير والاحترام إلى أستاذي المشرف الدكتور محمد خان، فله مني كل التقدير والحب الأكيد لشخصه الكريم. وما توفيقني إلا بالله وبه نستعين.



مدخل:

مفاهيم تداولية مركزية



أثبتت اللسانيات البنيوية عجزها بعد المأزق الذي وقعت فيه بسبب تشبثها ببعض المفاهيم والمبادئ ، التي لم تستطع حل عديد المسائل والمشاكل اللغوية التي اعترضت المهتمين والمتخصصين في القضايا اللغوية في السنوات الأخيرة.

فقد نسيت أن اللسان أداة تبليغ يتحدث بها الفرد ويتصل بها مع غيره، فتتحقق اللغة بهذا الاستعمال اليومي المتواصل في تفاعل مستمر بين المتكلمين، فكان لزاما الرجوع إلى دراسة صور هذا الاستعمال أي؛ إعادة الاعتبار للظواهر الكلامية في الدراسة، وتجاوز التقابل السوسيري الذي أقصى الكلام من دائرة اهتمام اللساني، ذلك أن طبيعة اللغة التبادلية تثبت أن للظواهر الكلامية دورا فاعلا في تسيير فعاليات التخاطب والاتصال اللغوي في المجتمع.

إن اللغة عندما تتحقق لا يكون هذا التحقق إلا في المجتمع، ولا تخلو تأديتها من آثار التفاعل مع الظواهر الأخرى الموجودة معها في المجتمع، كما أنها تتحقق عن طريق تبادل وتفاعل يحصل بين المتخاطبين، فلا تقتصر على التبليغ والإخبار، بل تتعدى ذلك فتكون عملا ونشاطا يقوم به المتكلمون بتوفير شروط معينة، ليكون التخاطب مفيدا، أي؛ لتحصل الفائدة، وبؤدى الغرض الذي تحققت من أجله.

فلم يثبت أن توجه اهتمام الدارسين بكل هذه القضايا التي تتعلق بكيفية استعمال اللغة وتحققها الفعلي عند الاستعمال، وتندرج هذه القضايا كلها في إطار تيار الدراسات التداولية.¹

¹ ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 157-158.

1/ تعريف التداولية :

أ/ لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: دول، الدَّوْلَة، والدَّوْلَةُ: العقبة في المال والحرب سواء، وقيل الدولة بالضم في المال والدولة بالفتح في الحرب، وقيل: هما سواء فيهما، يضمن ويفتحان، وقيل: بالضم في الآخرة، وبالفتح في الدنيا.

وقيل: هي لغتان فيهما والجمع دُول ودُول.

الدَّوْلَة بالفتح في الحرب: أن تَدال إحدى الفئتين على الأخرى يقال: كانت لنا عليهم الدَّوْلَة والجمع دُول، والدَّوْلَة بالضم في المال، يقال: صار الفيء دُولَة بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا، والجمع دُولَات ودُول، وقال أبو عبيدة: الدَّوْلَة بالضم اسم للشيء، الذي يتداول به بعينه والدَّوْلَة بالفتح، الفعل.

وفي حديث أشراط الساعة إذا كان المغنم دول جمع دُولَة بالضم وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم، وقال الزجاج: الدَّوْلَة اسم الشيء الذي يتداول، والدَّوْلَة الانتقال من حال إلى حال، وفي حديث الدعاء: حدثني بحديث سمعته من رسول الله بينك وبينه الرجال أي؛ يتناقله الرجال ويرويه واحد عن واحد. وإنما ترويه أنت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم...

الليث: الدَّوْلَة والدَّوْلَة لغتان... وتداولنا الأمر أخذناه بالدُول. وقالوا: دواليك أي مداولة على الأمر، ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس. وقولهم دواليك أي تداولاً بعد تداول.¹

وفي معجم مقاييس اللغة ورد أن التداولية من الفعل الثلاثي "دول" وهي على أصلين

" أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء فقال أهل اللغة على التعريف الأول: اندال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا

¹ ابن منظور، لسان العرب، المجلد 02، ص 431، 432، (مادة دول).

الباب تداول القوم الشيء بينهم، إذا صار من بعضهم إلى بعض. والدولة والدولة لغتان: ويقال بل الدولة في المال والدولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه فيتحول من هذا إلى ذلك إلى هذا...¹

كما جاء في أساس البلاغة " دالته الدولة ودالت الأيام بكذا وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه، والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، ويقال الدهر دول وعقب ونوب، وتداول الشيء بينهم، أي مرة لهذا ومرة لذاك والماسي يداول بين قدميه، أي يراوح بينهما"².

ومما سبق يتبين أن المعنى اللغوي للتداولية لا يخرج عن التحول والانتقال والتبديل، سواء تعلق ذلك بالأمكنة أو بالأحوال. وكذلك هي اللغة متحولة بين المتكلم والسامع إذ تكون عند المتكلم بحال ثم تنتقل إلى السامع لتصير في حال آخر.

ب/ مصطلح التداولية:

التداولية مصطلح اقترن بحقل علمي جديد، و له استعمالاته في اللاتينية (Pragmaticus)، وفي الإغريقية (pragmaticos) بمعنى "عملي"³ وقوبلت التداولية بوصفها مصطلحا غربيا بمصطلح (pragmatique) في اللغة الفرنسية، و (pragmatics) في اللغة الإنجليزية⁴

¹ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، ص 314 .

² الزمخشري، أساس البلاغة، ص 303.

³ ينظر: عبد الحليم بن عيسى، النص التراثي وآليات قراءته التداولية (نقد النثر لقدامة بن جعفر نموذجاً)، ص 43.

وينظر: عادل الثامري، التداولية ظهورها وتطورها، ص 01.

⁴ ينظر: عادل الثامري، المرجع نفسه، ص 01.

إن الحديث عن التداولية يستوجب التمييز بين مصطلحين اثنين ارتبطت توظيفها بهما وهي "البراغماتية" التي عدت مرادفا للتداولية ومصطلح "الذرائعية" الذي استعمله البعض للدلالة على البراغماتية نفسها.

فالبراغماتية (pragmatique) لها توجهات مختلفة، إذ كانت تعنى في البدء بخصائص استعمال اللغة أي؛ الدوافع النفسية للمتكلمين وردود أفعال المستقبلين، والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه، وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية الدلالية، ثم تحولت فيما بعد مع ج. ل. أو ستن (j.l.Austin) إلى دراسة أفعال اللغة، إلى أن امتدت واتسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط الصحة والتحليل الحوارية¹.

وهناك من استعمل مصطلح اللسانيات التداولية للدلالة على "البراغماتية"، وهي تعني عند بعضهم (البراكسيس)، إذ إن عليها تعيين مهمتها في إدماج السلوك اللغوي داخل نظرية الفعل. فهي تهتم أساسا بالتواصل، بل وبكل أنواع التفاعل بين الأعضاء الحية².

أما الذرائعية (pragmatisme)، فهي نظرية فلسفية أمريكية تهتم بالفائدة العملية لفكرة ما كمييار لصدقها لا حسب مقتضياتها العقلية أو الحسية، فتلك معاني ثابتة أو تصورات قبلية وتعدّ فكرة كل موضوع، ما هي إلا مجموعة الأفكار لكل الوقائع المتخيلة التي يمكنها أن تأخذ أهمية عملية يمكن إصاقها بهذا الموضوع³.

أما في البحث العربي، فإن أول من سلك هذا المصطلح هو "طه عبد الرحمن" حيث يقول: " (...) ومن جملة ما فعلت أني وضعت مصطلحات كثيرة تبناها زملائي عن رضى وعن اقتناع علمي، منها المصطلح الذي نتداوله اليوم وهو التداول، فإني وضعت هذا المصطلح منذ سنة 1970م، في مقابل (pragmatique) ولو أن التداوليين

¹ ينظر: بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 173.

² ينظر: فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، ص 16.

³ ينظر: بوقرة نعمان، المرجع السابق، ص 173.

الغربيين علموا بوجود هذه اللفظة في العربية فضلوا على لفظة (pragmatisme) لسبب واحد، وهو أنها لا تفي بالمقصود من علم التداول، فلفظة التداول تفيد في العلم الحديث الممارسة (...). تفيد تماما الممارسة وهي مقابل المصطلح التاريخي، وتفيد التفاعل في التخاطب- في عملية الخطاب تفيد التفاعل- ثم بالإضافة إلى ذلك إنها من مادة واحدة ولفظة الدلالة نفسها، يعني أن التداول سوف يرتبط بالدلالة، فإذن هذا هو التبرير العلمي الأولي للمصطلح التداولي.¹

وقد أقر الدكتور نعمان بوقرة ذلك في هامش له حين أعاد الفضل للفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن في وضعه هذا المصطلح (التداولية) مقابلا للمصطلح الأجنبي (براغماتية) (pragmatique) سنة 1970 دالا به على البراكسيس (praxis)، مع أن لهذا المصطلح مقابلات عربية أخرى أقل شهرة في نظره منها: الذرائعية والنفعية والتخاطبية والمقاماتية والوظائفية، وذلك لما يتضمنه مصطلح (تداول) من دلالة على التفاعل والواقعية والممارسة والتعلق وكلها معان يسعى هذا العلم إلى استكشافها في نظام اللغة واستعمالها.²

ولم يرتض كل الدراسين مصطلح التداولية للدلالة على المقصود، ولذلك اختلفوا في ضبط المقابل الترجمي لهذا المصطلح الذي يغطي جميع مساحته المفاهيمية:

- فمنهم من قابل (pragmatique) بـ"الاستعمالية" كما فعل عبد الرحمن الحاج صالح.
- وقابلها عادل فاخوري في كتابه "تيارات في السيمياء " ص 81 "بعلم التداول".
- وقابلها محمد عثاني في "معجمه المصطلحي" بـ "التداولية" أو "السياقية" أو "الموافقية" (ص 89)، وهو يقول: "قد نختار أن نقبله- مصطلح التداولية- ونشيعه ونفشيه، بشرط

¹ طه عبد الرحمن، البحث اللساني والسيميائي (ندوة) الدلائليات والتداوليات أشكال وحدود، ص299.

² ينظر: نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 161 (الهامش).

أن نشرحه الشرح الوافي، ونصر على تحديد معناه في كل مرة حتى يثبت في أذهان
النشء"
ص (18).

-وقدم مترجما كتاب "تحليل الخطاب" ليول وبراون مقابلا هو "علم المقاصد" (ص 32).¹
ويقول محمد محمد يونس: "أفضل ترجمة لمصطلح (pragmatics) بعلم التخاطب
وليس بالتداولية أو النفعية أو الذرائعية كما يفعل عدد من اللغويين العرب، توهما منهم
بأنها (pragmatics) و (pragmatism) شيء واحد، والواقع أن المصطلح الأول
يطلق على الدراسات التي تعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام، وهو ما يتفق مع
معناه الحرفي وهو "علم الاستعمال" ولذا فإن ترجمة (pragmatics) بعلم التخاطب
أنسب في رأيي من الخيارات التي اطلعت عليها حتى الآن. أما (pragmatism) فهي
مدرسة فلسفية ظهرت في أمريكا تذهب إلى أن الفكرة النظرية لا تجدي نفعاً، ما لم تكن
لها تطبيقات عملية"²

وهذا ما يذهب إليه مسعود صحراوي في هامش له في كتابه "التداولية عند العلماء العرب"،
فيقر أن التداولية ليس ترجمة لمصطلح (le pragmatisme) الفرنسي لأن هذا
الأخير يعني الفلسفة النفعية الذرائعية³.

2/ المفهوم التداولي في الفكر اللغوي الحديث:

¹ ينظر: بلعابد عبد الحق، تداوليات الخطاب القانوني، ص 265، 266.

² محمد محمد يونس، أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، ص 173.

³ ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،
ص 15.

إن كان قد اختلف في إيجاد المقابل المصطلحي للتداولية، فإن الاختلاف في تحديد مفهومها أمر طبيعي، حيث عرّفت التداولية في الدراسات العلمية الحديثة بتعريفات عدة بناء على مجال اهتمام كل باحث.

فقد يقتصر الباحث على دراسة المعنى، وليس المعنى بمفهومه الدلالي الصرف، بل المعنى في سياق التخاطب مما يجيز تسميته حينئذ بمعنى المتكلم، كما يمكن أن يعرفها انطلاقاً من اهتمامه بتحديد مرجعية الألفاظ وأثر ذلك في الخطاب ومنها الإشارات، بما في ذلك طرفا الخطاب، وبيان دورهما في تكوين الخطاب و توجيه معناه وقوته الإنجازية.

كما قد تعرّف التداولية من وجهة نظر المرسل، بأنها كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجهه عند إنتاجه الخطاب، وذلك باستعمال جميع الجوانب اللغوية في ضوء عناصر السياق، بما يكفل له قدرة المرسل إليه على فهمه وتأويل قصده وتحقيق هدفه.

وقد استعرض ليفنسون في كتابه (pragmatics) عدداً من التعريفات الممكنة، مع شرحه مواطن القصور في كل تعريف عله يظفر بتعريف عام للتداولية، وهو ما توصل إليه بعد ذلك بربط اللغة أثناء استعمالها بالسياق وتأثيره فيها من حيث الأطر المذكورة سابقاً.¹

يتفق معظم علماء اللسانيات على أن أقدم تعريف للسانيات التداولية يعود إلى الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس (charles morris) عام 1938، إلا أن هناك فئة قليلة تعتبر أن دراسات باختين () في فلسفة اللغة هي أساس التداوليات، وذلك في دراسة سماها (ما بعد اللسانيات)، اهتم فيها بجملة من المكونات منها المقام والمعنى وعلاقات الخطاب بمنتهجه، إضافة إلى أبعاد ومكونات أخرى لم تنل حظاً من العناية والبحث حتى اليوم².

¹ ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 22.

وينظر التهميش رقم (47) ص 574.

² ينظر: محمد الحيرش، تداوليات التخاطب عند ميخائيل باختين، ص 161.

وهذه الاعتبارات وغيرها هي التي سمحت لتودوروف (todorov) بالقول: "إن باختين، ودون

مغالاة هو المؤسس المعاصر للتداوليات"¹

وقد ساعدت التأويلات التداولية للسيمائية ودراسة الاتصال اللفظي في كتاب "أسس نظرية

العلامات" للفيلسوف موريس عام 1938 على التقريب بين السيمياء واللسانيات، إذ حدد

الإطار العام لعلم العلامات (أو السيمائية) وقسمه إلى ثلاثة مستويات هي:

- التركيب أو النحو (syntax): وهو دراسة العلاقة الشكلية بين العلامات بعضها ببعض (حدوده الجملة).

- الدلالة (semantic): وتدرس العلاقة بين العلامات والأشياء التي تؤول إليها هذه العلامات أو تحيل إليها.

- التداولية (pragmatics): التي تتدخل بعد قصور المستويين الأولين عن معالجة كل

مشاكل اللغة، خاصة الجانب التواصلية، لتدرس العلاقات بين العلامات ومستعملها

ومؤولها، وأوجدت لذلك مفاهيم خاصة كانت غائبة عن فلسفة اللغة واللسانيات.²

وبناء على هذا أقر موريس أن "التداولية جزء من السيمائية التي تعالج العلاقة بين

العلامات ومستعملي هذه العلامات".³

وهو تعريف عام وواسع لا يحدد طبيعة العلامة التي تُعالج، هل هي العلامات في الاتصال

الإنساني أم الحيواني أم الآلي؟⁴

وقد أشار فان دايك (v.Dijk) إلى أسبقية موريس وفضله في صياغة أول تعريف للتداولية،

حين وصفها بأنها أكبر ثالث المكونات لأية نظرية سيميوطيقية، وينبغي أن تكون مهمتها

¹ محمد الحيرش، المرجع نفسه، ص 161.

² ينظر: علي آيت لوشان، السياق والنص الشعري، ص 56.

³ نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 166.

وينظر: stephen c levinson ; pragmatics ,ibid p 01

⁴ ينظر: عبد الحليم بن عيسى، النص التراثي وآليات قراءته التداولية (نقد النثر لقدامة بن جعفر أنموذجا) ، ص 44.

دراسة العلاقات بين الرموز والعلامات والمستعملين لها، محيلا على موريس واصفا إياه بأنه من صاغ على نحو أساسي مهام عناصر التداولية للنظريات السيميوطيقية.¹

على أن التداولية لم تصبح مجالا يعتد به في الدراسات اللغوية المعاصرة إلا في سبعينيات القرن العشرين بعد أن طورها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد هم: أوستين ، وسيرل (j.r.Searle) وغرايس (H.I.Grice) ، والغريب أنه لا أحد منهم استخدم مصطلح التداولية فيما كتب من أبحاث.

ولا تنتمي التداولية إلى أي مستوى من مستويات الدرس اللغوي المعروفة (الصوتية الصرفية، النحوية، الدلالية)، وليست مستوى يضاف إليها لأن لكل منها أنماط تجريدية ووحدات تحليلية تختص بجانب محدد من جوانب اللغة، في حين أن التداولية ليس لها تلك الأنماط، ولا تلك الوحدات بل إنها تستوعب جوانب اللغة كلها.

وهي كذلك لا تتصوي تحت أي علم من العلوم التي لها علاقة باللغة، بل تتداخل معها في بعض جوانب الدرس. ومن هذه العلوم: علم الدلالة (semantics)، وعلم اللغة الاجتماعي (sociolinguistics) ، وعلم اللغة النفسي (psycho linguistics) ، وتحليل الخطاب (discours analysis) .

وكان من نتيجة هذا التداخل أن اتسعت مجالات التداولية وتتنوعت، وأصبح من العسير وضع تعريف جامع مانع لها، إلا أن ذلك لم يمنع الباحثين من تقديم تعريفات كثيرة للتداولية، لم تسلم كلها من المآخذ بل قد يناقض بعضها بعضا.²

ومن بين هذه التعريفات تعريف آن ماري ديير (Anne marie diller) ، وفرانسوا ريكاناتي (Francois recanati) ، فقد عرفاها بقولهما: " التداولية دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية"³

¹ ينظر: فان دايك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي)، تر عبد القادر قنيني، ص 273.

² ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 09، 10، 11.

³ فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، ص 08.

وإذا أردنا تحليل هذا القول للوقوف على المقصود منه، يمكن أن نسجل ما يأتي:

- التداولية علم يهتم بدراسة اللغة الإنسانية في الاستعمال، أي إنها تهتم بالمعنى: كالدلالية وبعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها.
- تسعى التداولية إلى الكشف عن المقدرة الإبداعية التي تحققها العبارة اللغوية.
- التداولية بحث في الدلالات التي تفيدها اللغة في الاستعمال.¹

وتتجلى هذه المفاهيم في تعريف فرانسيس جاك (Francis jacques) ، الذي يرى أن التداولية "دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في الوقت نفسه".² فاللغة من هنا ظاهرة اجتماعية تتحقق باستعمال العلامات بين شخصين، استناداً إلى قواعد موزعة تخضع لشروط إمكانية الخطاب، وقد عرضت فرانسواز أرمينيكو رأي فرانسيس جاك الذي ينطلق من الأبعاد الاجتماعية التي تحكم الخطاب، حيث تعني التداولية عنده: "كل ما يتعلق بعلاقة الملفوظ بالشروط الأكثر عمومية عند المخاطب"³، ثم علقت على هذا التعريف باستخلاصها أن التداولية تمثل شروطاً قبلية للتواصلية ، هي شروط دلالة تواصلية عامة ترتبط بكليات الاستعمال التواصلية العامة، ثم أشارت إلى أن أهمية التداولية هي: "التقيد بالبحث عن نظرية ملائمة تتعلق بالاستعمال التواصلية للغة".⁴

أما ل- سفز (1. Sfez) فيقول عنها: "هي الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل"⁵ فجعل الدراسة التداولية جزءاً من اللسانيات، وحصر اهتمامها في الاستعمال اللغوي أثناء التواصل.

ثم يقدم جيف فيرستشيرن (jef verschuren) عدة تعريفات لا تخرج عن سابقتها ليبيني تعريفه إياها على تعريف موريس الأول مع شيء من التفسير والشرح فيقول: "إننا نعني

¹ ينظر: عبد الحليم بن عيسى، النص التراثي وآليات قراءته التداولية (نقد النثر لقدامة بن جعفر أنموذجاً)، ص 44.

² فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، ص 19.

³ عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة ، ص 03.

⁴ عيد بلبع، المرجع نفسه، ص 03.

⁵ فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، ص 19.

بالتداولية علم علاقة العلامة بمؤوليتها، فإنه من التمييز الدقيق للتداولية أن تقول إنها تتعامل مع الجوانب الحيوية لعلم العلامات، وهذا يعني كل الظواهر النفسية والاجتماعية التي تظهر في توظيف العلامات¹ كما أضاف أنه بالإمكان تعريفها بصورة أكثر تعقيداً، ليقول إنها " دراسة الظاهرة اللغوية من وجهة نظر العلامات الاستعمالية، أو الخصائص الاستعمالية، ..وهو تعريف يبين الطريقة التي يمكن أن توضح التداولية بها في مكان محدد من علم اللغة"² إلا أنه تعريف لا يضع الحدود الفاصلة بين التداولية وموضوعات أخرى.

أما رائدها أوستن فيرى أنها: "جزء من علم أعم، هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي، وبهذا المفهوم ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر، هو المستوى الاجتماعي في نطاق التأثير والتأثر"³

فالتداولية تدرس التواصل اللغوي في إطاره الاجتماعي، بالكشف عن الشروط والمعطيات التي تسهم في إنتاج الفعل اللغوي وتؤثر فيه من جهة، كما تبحث في فاعليته وآثاره العملية من جهة أخرى .⁴

وقد أورد محمود أحمد نحلة مجموعة من التعريفات التي شاعت في الدرس اللغوي الغربي نسردها فيما يأتي:

- " التداولية هي دراسة الأسس التي نستطيع بها أن نعرف لم تكون مجموعة من الجمل شاذة anomalous تداوليا أو تعدّ في الكلام المحال كأن يقال مثلا: أرسطو يوناني لكني لا أعتقد ذلك أو يقال: آمرك بأن تخالف أمري أو يقال: الشمس لو سمحت تدور حول الأرض".⁵ ثم يعلق عليه بقوله: " على الرغم من أن

¹ عيد بليغ، المرجع السابق، ص 03.

² عيد بليغ، المرجع نفسه، ص 03.

³ راضية خفيف، التداولية وتحليل الخطاب الأدبي، ص 56.

⁴ ينظر: عبد الحليم بن عيسى، النص التراثي وآليات قراءته التداولية (نقد النثر لقدامة بن جعفر أنموذجا)، ص 44.

⁵ Levinson, s, c : pragmatics ; p 06.

إيضاح الشذوذ في هذه الجمل قد يكون سبيلا جيدا للوصول إلى نوع من الأسس التي تقوم عليها التداولية، فهو لا يعد تعريفا شاملا لكل مجالاتها¹.

- "التداولية هي دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية perspective functional² ليقول بعد ذلك إن هذا التعريف يحاول أن يوضح جوانب التركيب اللغوي بالإحالة إلى أسباب غير لغوية، وهو تعريف يعجز عن تمييز الدرس اللغوي التداولي عن كثير من فروع علم اللغة المهمة بالاتجاهات الوظيفية في اللغة، ومنها علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي³.

- "التداولية هي دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية، فإذا اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق عليها شروط الصدق truth conditions ، فإن التداولية تعنى بما وراء ذلك مما لا تنطبق عليه هذه الشروط"⁴. ليعلق بالقول: إن قصر علم الدلالة على هذا النوع من الجمل والأقوال غير مسلم به في النظريات الدلالية التي ظهرت منذ العقد الثامن من القرن العشرين، فضلا عن أن ما وراء ذلك لا نستطيع حصره⁵. كما يقود هذا التعريف إلى مسألة هامة طرحت عند كثير من اللسانيين لتحديد الفرق بين التداولية وعلم الدلالة، والذي لخصه شارل موريس 1938 بقوله: "الدلالة تبحث في علاقة العلامات بمدلولاتها والتداولية تهتم بعلاقة العلامة بمؤولها"⁶.

- "التداولية هي دراسة جوانب السياق aspects of context التي تستقر شكليا في تراكيب اللغة وهي عندئذ جزء من مقدرة المستعمل user pragmatics competence"⁷

¹ المرجع نفسه، ص 11.

² Levinson, s, c : pragmatics ;p 07.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 12.

⁴ المرجع نفسه، ص 12.

⁵ ينظر: المرجع السابق، ص 12.

⁶ عيد بليغ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة ، ص 01.

⁷ Grystal, d, A Dictionary of linguistics and phonetics, p 271.

-التداولية فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم

speaker intentions أو هو دراسة معنى المتكلم **speaker meaning**.¹

فليس بالضرورة أن يعني المتكلم ما تحمله ألفاظه من معانٍ إذ كثيرا ما يحدث العكس فيقصد بكلامه أكثر مما تستوعبه كلماته من دلالات، فيقول القائل مثلا: "أنا مريض". قد يعني الإخبار عن حالته الصحية المتدهورة فعلا، أو يكون تعبيراً عن عدم رغبته في مساعدتك، إن كنت طلبت منه المساعدة سلفاً.

ولكن إذا كان الناس يقصدون أكثر مما يقولون من ألفاظ فكيف لهم أن يفهم بعضهم بعضاً؟ لقد ميّز بعض الباحثين بين ثلاثة مستويات للمعنى:

- المعنى اللغوي المستفاد من دلالة الكلمات والجمل مباشرة أو المعنى الحرفي.

- معنى الكلام أو المعنى السياقي الذي يعين السياق على استنباطه.

- معنى المتكلم، وهو المعنى الكامن أو الموجود بالقوة.

ولعل أوجز تعريف للتداولية هو: "دراسة اللغة في الاستعمال **in use**، أو في التواصل

in interaction ؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها.

ولا يرتبط بالمتكلم وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في

سياق محدد (مادي واجتماعي ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما".²

أما عن تعريف التداولية في الدرس اللغوي العربي، فنجد محمد عناني يستخلص مفهوم

المصطلح من الدراسات الغربية التي تناولته فيحدده في أنه: "دراسة استخدام اللغة في شتى

السياقات والمواقف الواقعية، أي تداولها عملياً، وعلاقة ذلك بمن يستخدمها تفريقاً لها عن

مذهب العلاقات الداخلية بين الألفاظ **syntactics** وعلاقة الألفاظ بالعالم الخارجي أو

دلالاتها **semantics**.³

¹ Thomas, j, Meaning in interaction, An introduction to pragmatics, p 02.

² محمود أحمد نحلة، آفاق لغوية في البحث اللغوي المعاصر، ص 14.

³ عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيمو طيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص 03.

وفي الدرس النقدي يعرفها صلاح فضل بأنها " تعنى بالشروط والقواعد اللازمة والملائمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به، أي العلاقة بين النص والسياق ¹ " فهي عنده ذلك الفرع العلمي المتداخل مع مجموعة العلوم اللغوية التي تختص جميعها بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل، ووصف علاقة النظام اللغوي بالاستعمال، وتحليله وكيفيات التحقق، والعمليات الذهنية ومستويات الإنتاج والفهم اللغويين، وفهم مقاصد الخطاب وأدوار المتلقي في فك شفرات رسالة المتكلم وتفسيرها وتأويلها واستخلاص الاستدلالات اللغوية والافتراضات المسبقة، دراسة تحول القول إلى فعل كلامي إنجازي في ضوء نظرية أفعال الكلام لأوستين وسيرل.²

ومن هذه المفاهيم نلاحظ أن تعريفات التداولية جميعها ترتبط بفكرة الاستعمال التي تردت في ثناياها بشكل أواخر، " فالتداولية هي دراسة اللغة التي تركز الانتباه على المستعملين وسياق استعمال اللغة بدلا من التركيز على المرجع، أو الحقيقة، أو قواعد النحو فهي تدرس استعمال اللغة في السياق، وتوقف شتى مظاهر التأويل اللغوية على السياق، فالجملة الواحدة يمكن أن تعبر عن معان مختلفة أو مقترحات مختلفة من سياق إلى سياق ³ " وقد قام كنت باش (kent bach) بحصر إحصائي لتعريفات التداولية ومفاهيمها التي تدور كلها حول فكرة الاستعمال.

كما يشير ليتش (G.leech) إلى أن موضوع التداولية الذي أصبح مألوفاً إلى درجة كبيرة في اللسانيات، كان نادراً ما يذكر عند اللغويين، وفق رؤية كانت تتعت فيها التداولية بسلة المهملات أو صندوق القمامة التي يودع فيها ركام البيانات المستعصية على التصنيف العلمي اللساني، أما الآن فقد ثبت أنه لا يمكن أن نفهم طبيعة اللغة نفسها فهما حقيقيا ما لم

¹ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 24، 25.

² ينظر: نعمان بوقرة، ملاح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، ص 01.

³ عيد بليغ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص 01.

نفهم التداولية؛ كيف نستعمل اللغة في الاتصال؟. ذلك لأنها تهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام آخذة بعين الاعتبار المتكلم والسياق.¹ وقد عمد الباحثون إلى هذا المنهج ليمدهم برؤى متعددة نتيجة لقصور الدراسات الشكلية البنوية وإهمالها مقارنة اللغة في تجليها الحقيقي، أي في الاستعمال التواصلي بين الناس، حيث تقف عند حدود الوصف الظاهري لعناصر الملفوظ غير أبهة بدلالاته السياقية وأغراضه التواصلية التي لأجلها أنشئ، و لذلك يرى (ليفنسون) أن الأساس الأول في نشوء المنهج التداولي كان بمثابة ردة فعل على معالجة تشومسكي (chomsky) للغة بوصفها شيئاً تجريدياً، أو قصرها على كونها قدرة ذهنية بحتة، غفلا من اعتبار استعمالها ومستعملها ووظائفها، وتبلورت أهم ردود الفعل هذه في عدة اتجاهات مثل: أعمال علماء النفس والاجتماع اللغويين، وتحليل الخطاب الذي يرفض الوقوف عند حد الجملة وكذلك في تحليل المحادثة التي تنزع إلى دراسة الخطاب في المجتمع.

ثم عرض عددا من الدوافع العامة التي كانت وراء تطور المنهج التداولي إذ كان منها ما يتعلق بالتركيب، وتحديد المراجع. ومنها ما يتعلق بدلالة الخطاب في السياق والتعامل الاجتماعي بين طرفي الخطاب.²

ويذكر مسعود صحراوي أن السبب في عدم اتفاق الدارسين حول تعريف واحد للتداولية يرجع إلى كونها ليست "علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتفسير البني اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ومن ثم يدمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره، وعليه فإن الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية تقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة، لأنها تشي بانتمائها

¹ ينظر: عيد بلبع، المرجع نفسه، ص 01 . وينظر أيضا: لحماي فطومة، تداولية الخطاب المسرحي " مسرحية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم أنموذجا"، ص 77.

² ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص21، 574 (هامش رقم 47) .

إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال..الخ.¹

إن المنهج التداولي بصورته الحديثة ينظر إلى اللغة بوصفها كلاما حيا منجزا في سياق معين يتلقاه المتلقي بإدراكه وشعوره، محاولا فك شفراتها وإشاراتنا وتصريحها وتلميحتها من خلال ما ينتجه الخطاب من أثر السلوك الذي ينقل الملفوظ من طبيعته النطقية إلى التحقق الفعلي، ويتحول فيه المجرى إلى محسوس، ومنه تتوحد دلالات الكلام بقرائن اللغة وأحوال المقام من حركات جسمية، وتنغيمات صوتية وثقافة سائدة تؤطر الفعل المنجز، وتوجهه لغايات نفعية معينة يرتضيها المنجز، ويتقبلها المتلقي.

وتتلخص النظرة التداولية الحديثة في حقيقة تداولية كبرى، وهي أن لا كلام إلا بين اثنين، حتى وإن كان الكلام بين المرء وذاته (أو ما يعرف بالمونولوج الداخلي بلغة السرديات)، فتكون علاقة المتكلم بالمستمع علاقة عارض للفكرة ومعترض عليها، ولا يكون الاعتراض إلا بدليل، ولا معترض إلا لطلب الصواب، ولا طلب للصواب إلا بجملة من القواعد.²

ومراعاة السياق ودراسة تأثيره على نظام الخطاب المنجز من جانب أو تحليله في ذهن المرسل من جانب آخر، ليس بالأمر اليسير لأهميته ودقته، ولذلك يعترف رودولف كارناب (Rudolf Carnap) أن التداولية هي قاعدة اللسانيات، وهي درس جديد وغزير لا يمتلك حتى الآن حدودا واضحة، ولها صلة بالفلسفة والأبحاث اللسانية؛ إذ إنها محاولة للإجابة عن أسئلة تطرح نفسها على البحث العلمي، ولم تجب عليها المناهج الكثيرة، وقد لا تسلم من المشكلات، حالها حال أي منهج لدراسة اللغة.³

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 16.

² ينظر: نعمان بوقرة، ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، ص 01 .

³ ينظر: فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، ص 11.

وتشير فرانسواز أرمينيكو (Francoise Armengaud) أن للتداولية اتجاهات مختلفة نتج

عنها تداوليات عديدة منها:

- تداولية البلاغيين الجدد.

- تداولية السيكلوجيين.

-تداولية اللسانيين.

-تداولية الأدباء.¹

كما ترى بأن التداولية درس يسعى إلى الإجابة عن أسئلة كثيرة من قبيل:²

- ماذا نصنع حين نتكلم؟

- ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟

- لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بمايونيز الثوم، بينما يظهر واضحا أن

في إمكانه ذلك؟

- فمن يتكلم إذن وإلى من يتكلم؟

- من يتكلم ولأجل من؟

- ماذا علينا أن نعلم حتى يرفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟

- ماذا يعني الوعد بشيء؟

- كيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله؟

- هل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟

- ما هي استعمالات اللغة؟

- أي مقياس يحدد قدرة الواقع الإنساني اللغوي؟

3/ مبادئ التداولية:

¹ ينظر: فرانسواز أرمينيكو ، المرجع نفسه، ص08.

وينظر: على آيت لوشان ، السياق والنص الشعري، ص 56

² ينظر: فرانسواز أرمينيكو ، المرجع السابق ص11.

يتجلى المظهر التجديدي، بل والجدالي للتداولية في طرحها عددا من المبادئ التي

تأسست عليها الأبحاث اللسانية السابقة موضع تساؤل، والمتمثلة في:¹

- أسبقية الاستعمال الوصفي والتمثيلي للغة.

- أسبقية النظام والبنية على الاستعمال.

- أسبقية القدرة على الإنجاز.

- أسبقية اللغة على الكلام.

4/ مهام التداولية:

وإذا أخذت المعطيات المذكورة في المفاهيم السابقة بعين الاعتبار يمكن ضبط مهام

التداولية كما يأتي:²

- مدى فعالية العبارة اللغوية في الموقف الكلامي، أي بيان الشروط التي تجعل

العبارات اللغوية جائزة ومقبولة في موقف معين بالنسبة للمتكلمين بتلك اللغة؛ إذ لا

تقف القبولية وهنا عند قيود النحو والصوت والدلالة كما هو معروف في اللسانيات

البنوية، بل بالإجراء العملي للعبارة اللغوية الذي يعكس الفعالية التي تقتضيها هذه

العبارة.

يقول فان دايك (van dijk) "فبينما يقدم النحو تفسيرا للغة التي بها يكون محل

العبارة أو موضوعا سائغا مقبولا، فإن أحد مهام التداولية هو أن تتيح صياغة

شروط نجاح إنجاز العبارة، وبيان أي جهة يمكن بها أن يكون مثل هذا الإنجاز

عنصرا في اتجاه مجرى الفعل متداخل الإنجاز الذي يصبح بدوره مقبولا أو مرفوضا

عند فاعل أو آخر" ³ فالتداولية تكشف عن الشروط التي تؤمن فعالية ونجاح

الاستعمال اللغوي للعبارة، وفق ما تقتضيه المواقف الاتصالية.

¹ ينظر: فراسواز أرمسينكو، المرجع السابق، ص 14.

² ينظر: عبد الحليم بن عيسى، النص التراثي وآليات قراءته التداولية (نقد النثر لقدامة بن جعفر أنموذجا)، ص 45.

³ فان دايك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي)، ترعدب القادر قنيني، ص 256.

- الكشف عن المبادئ التي تبين وتحدد اتجاهات مجاري فعل الكلام المتداخل الإنجاز، "والذي ينبغي أن يستوفى في إنجاز العبارة حتى تصبح ناجحة {...} ولما كانت معطيات التجربة متاحة بأوسع ما تكون في صورة العبارة فقط، فيجب أن يكون من الواضح في التداولية كيف تترابط شروط نجاح العبارة كفعل إنجازي، وكمبادئ فعل مشترك الإنجاز التواصلي مع بنية الخطاب أو تأويله"¹. فمن مهام التداولية ضبط مبادئ إنجاز الفعل الكلامي حسب أشكال الاستعمال اللغوي، لأن هذه المبادئ تتنوع كما أن معطيات التجربة تتعدد.
- بيان قواعد الاستدلال والاستنتاج الممكنة التي يصوغ المتكلم عبارته اللغوية بالطريقة الموافقة لها، والتي تمكّن في الوقت نفسه من إدراك أبعاد المقاصد المتضمنة في الفعل الكلامي.
- قواعد التأويل الدلالي التداولي للعبارات، فقواعد النحو - مثلا - تبين كيفية التأويل التركيبي، ذات الصبغة التجريدية، والأمر نفسه في الدلالة حيث تعمل قواعدها على تأويل الموضوعات تأويلا سوريا لعوالم ممكنة، بينما النظرية التداولية " تحوّل هذه الموضوعات إلى أفعال منجزة، وبعبارة أخرى، فإن ما توجد له بنية مجردة لموضوع العبارة ينبغي أن يصير بنية مجردة لإنجاز العبارة، ومن الأفضل أن تحتفظ البنية الأولى على نحو ما في البنية الثانية الأخيرة كما لو كانت قواعد تأويل دلالي لكن مقولة من مقولات البنية التركيبية وعملية تحويل الخطاب إلى أفعال منجزة يمكن أيضا أن يسمّى تأويلا تداوليا للعبارات"². فالتأويل التداولي للعبارة اللغوية تتجلى قيمته من خلال الانتقال بالبنية المنجزة للموضوعات إلى أفعال منجزة، لها علاقة بمقام الاستعمال، باعتبار أن لكل مقولة تركيبية قواعد إنجازية خاصة، تحدد تأويلا تداوليا خاصا بها.

¹ فان دايك، المرجع نفسه، ص 256.

² فان دايك، المرجع السابق، 257.

- صياغة شروط النجاح التداولي للأفعال في أي موقف من المواقف إذ يجب " أن تنزل هذه الأفعال في موقف معين وأن تصيغ الشروط التي تنص على أي العبارات تكون ناجحة في أي موقف من المواقف. أعني أننا نحتاج إلى وصف مجرد لهذا الموقف لفعل كلامي متداخل الإنجاز. واللفظ التقني الذي نستخدمه في مثل هذا الموقف هو مصطلح "السياق"، وكذلك بالمثل فنحن نحتاج إلى لفظ مخصوص حتى ندل به على صفة اطراد النجاح التداولي للعبارة المتلفظ بها؛ لأن هناك أوجه أخرى لنجاح نحوي، بل وأيضا نجاح سيكولوجي ومجتمعي. وفيما يخص النجاح التداولي، فإن لفظ المناسبة يمكن أن يستعمل، وعلى ذلك فإن الشروط المناسبة والملاءمة يجب أن تعطى في حدود ألفاظ الخواص المجردة للسياقات المحددة في البنيات النموذجية التداولية"¹. فبينما يكون الموقف التواصلية بكل معطياته يحتوي على عدد كبير من الأحداث التي ليس لها ارتباط مباشر بالعبارة كدرجة حرارة المتكلم أو طوله... فإن السياق يحتوي على معطيات تساعد على نحو مطرد على اختيار العبارات المناسبة تحقيقا للنجاح التداولي. ومن المعينات السياقية أفعال كلام المشاركين وتكوينهم الداخلي (اعتقاداتهم، ومقاصدهم، وأغراضهم، ومعارفهم)، والأفعال المنجزة في حد ذاتها وبنياتها والصفة الزمانية والمكانية للسياق.

5/ درجات التداولية:

يعدّ الهولندي هانسون (Hansson) أول من حاول التوحيد النسقي بين مختلف مكونات التداولية سنة 1974، وذلك بوضع برنامج ونظام يطور ويربط بين مختلف أجزائها بطريقة مستقلة نسبيا، فميز بين ثلاث درجات للتداولية تتفق في اهتمامها بالسياق وتختلف في كيفية توظيفه. وهذه الدرجات هي:²

¹ فان دايك، المرجع نفسه، ص 257.

² ينظر: فرانسواز أرمينسكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، ص 52، 53.

• **تداولية الدرجة الأولى:** هي دراسة الرموز الإشارية، أي: التعابير المبهمة ضمن ظروف استعمالها، أي سياق تلفظها، فتهتم التداولية بما يحيل إلى المتكلمين والزمان والمكان، وكل ما يشير إلى عنصر الذاتية في الخطاب، محددة مرجعيتها ودلالاتها من سياق الحديث، ومن ثمة فالسياق الوجودي والإحالي هو سياق تداولية الدرجة الأولى بما يتضمن من مخاطبين ومحددات من الفضاء والزمن. كما تعد العناصر: "الأنا" و"هنا" و"الآن" من مكونات الدرجة الأولى عند هانسون، ويطلق عليها مصطلح "الإشاريات" Deictiques (Deixis) وهي تعابير تختلف إحالتها بحسب ظروف استعمالها، أي وفقا لمفوضها في السياق، فتشير بدء إلى الترابط اللساني المنبثقة عنه قبل إحالتها على فرد (متكلم)، وعلى مكان، وفترة زمنية. وهي تحدد قصدية الملفوظ ويمكن القول إن:

- **الأنا:** المتكلم الذي ينتج الخطاب فيصدر عنه، أو هي جميع ضمائر المتكلم والمخاطب
- **هنا:** المكان الذي ينتج فيه الخطاب، أو هي جميع أسماء الإشارة المعروفة وظروف المكان.
- **الآن:** اللحظة التي يتم فيها التواصل، والزمن الذي ينتج فيه الخطاب، أي الظروف الزمانية التي يمكن أن تكون بارزة أو مضمرة.

فهناك إشارات صريحة وإشاريات مضمرة، والغالب أن تكون الإشارات ضمنية، لكن الخطاب اللغوي لا يتضمن دائما هذه الإشارات في البناء السطحي، بل يبقى عليها في البناء الضمني الموجود عند جميع المتكلمين بشكل موحد، أي إنها تبقى في المكون البلاغي الذي يتولى تفعيلها بشكل ضمني.¹

¹ ينظر: فرانسواز أرمينيكو، المرجع السابق، ص 54. وينظر: فطومة لحمادي، تداولية الخطاب المسرحي "مسرحية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم أنموذجا"، ص 79.

- **تداولية الدرجة الثانية:** تعدّ تداولية الدرجة الثانية حسب هانسون دراسة للطريقة التي ترتبط بها القضية بالجملة المعبرة عنها، إذ يجب أن تميز القضية المعبر عنها في كل حالاتها عن المعنى الحرفي للجملة، أي؛ أن تدرس كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلميحي (الضمني). وأهم نظرياتها: قوانين الخطاب، ومبادئ المحادثة، والحجاج، والأقوال المتضمنة... وغيرها .
وبعد التعميم الذي قام به "ستالناكر" في الدرجة الأولى مصدرا لتداولية الدرجة الثانية؛ إذا إنها توسيع لمفهوم السياق. لأنها لا تهتم بمظاهر المكان والزمان، بل تتعداها إلى السياق المتعارف عليه عند المتخاطبين (الاعتقادات المتقاسمة بينهم).

كما تهتم هذه الدرجة من التداولية بسلمية الخطاب وتعتبر أن إنتاج الملفوظات اللغوية لا يمكن أن يكون نهائيا في دلالته، لأنه يؤدي دائما إلى وجود اقتضاء يتضمن في ثناياه اقتضاء تداوليا آخر فهي لا تنظر إلى اللغة على أنها طبقة نهائية من الإنتاج الخبري، بل إن كل منطوق يحمل في ثناياه طبقة دنيا وطبقة عليا، فعندما يقول شخص، (أنا متوسط الطول)، فإنه يلغي من ذهن السامع تأويلين اثنين هما:

لست فارغ القامة أو ممتازا (درجة عليا)، و لست قصير القامة (درجة دنيا).

ويكون كلامه بهذه الكيفية عبارة عن سلميات متدرجة دلاليا كما هو مبين في الشكل الآتي:

أنا طويل أنا رائع المزاج

أنا متوسط أنا معتدل المزاج

أنا قصير أنا سيء المزاج

وكلما أنتج المتكلم ملفوظا كانت تحته درجة أضعف أو فوقه درجة أخرى أقوى منه دلالة.¹

تداولية الدرجة الثالثة: تنطلق النظرية الكلاسيكية لأفعال اللغة من الاعتقاد القائل: إن الوحدة الدنيا للتواصل الإنساني ليست هي الجملة ولا أي تعبير آخر، بل هي إنجاز بعض أنماط الأفعال.

ويعتقد ج. ل. أوستن رائد هذه النظرية أن الأقوال المتلفظ بها لا تصف الحالة الراهنة للأشياء فقط، بل إنها تنجز أفعالا وعلى الفعل ذاته ألا يختلط بالجملة-وبالتعبير اللساني (كيفما كان)- المستعملة في إنجازها والسياق في هذه النظرية هو الذي يحدد فيما إذا كان الملفوظ أمرا، أو نهيا، أو تحذيرا أو استفهاما، أو غيرها.

ويهدف هذا الاتجاه إلى تحديد القوة الإنجازية للملفوظ التي ترتبط بالموقع الاجتماعي للمتكلم، كما تحدد من خلال قوتها الإيحائية الدافعة للإنجاز والحائثة عليه، وعليه فإن الإنجاز سيكون خلاف الإخبار.

إذ يعتبر منظرو اللغة أن من الأساسيات تمييز الفعل الإنجازي، وهو فعل دقيق في اللغة عن الحصول على آثار إخبارية يمكن أن تأتي كنتيجة لوسائل غير لسانية بالضرورة.²

6/ متضمنات القول (les implicites):

قد يُحمل المتكلم في مواقف عدّة على توجيه خطابه بطريقة غير مباشرة، ويضمنه أشياء تظل خفية دون معرفة قوانين الخطاب والقواعد التي ينتظم بها الكلام، فيجبر السامع على التفكير في هذه الأشياء غير المصرح بها والكشف عن الكلام المتضمن في القول الصريح

¹ ينظر: فطومة لحمادي، المرجع السابق، ص 80. وينظر: فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، ص 68.

² ينظر: فرانسواز أرمينيكو، المرجع السابق، ص 80، 81.

وينظر: فطومة لحمادي، تداولية الخطاب المسرحي "مسرحية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم أنموذجا"، ص 80.

دون أن يفصح به هو الآخر عن طريق عمليات استنتاجية تتحكم فيها معطيات السياق، بما في ذلك المنطق والتجربة.

ويجمع التداوليون على أن الأسباب التي تجعل المتكلم يلمح ولا يصرح متعددة، منها: المجتمع وما يحتويه من عادات وأخلاق ودين... الشيء الذي ينعكس على اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية، إضافة إلى بعض المقامات التي تضطر المتكلم إلى استخدام متضمنات القول خشية خدش مشاعر المخاطب، أو أن يكون التلميح غاية في ذاته عملاً بمقولة " التلميح أبلغ من التصريح".

ويتجلى هذا المفهوم التداولي الإجرائي في نمطين رئيسيين هما الافتراض المسبق، والقول المضمر.¹

أ/ الافتراض المسبق (pre-supposition): آلية ذات طبيعة لسانية تدخل ضمن المشاكل التي يدرسها علم الدلالة، فالمتكلم الذي تأخذه في السياقات المختلفة هو المسوّغ لدراسته تداولياً، وهو مصطلح وضعه الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه (G. Frege) (2). يقول أوركيني: " إن الافتراض المسبق التداولي هو تلك المعلومات التي يحتويها الكلام والتي ترتبط بشروط النجاح التي لا بد أن تتوفر لكي يكون الفعل الكلامي المزمع تحقيقه قابلاً لأن يفضي من الناحية التأثيرية".³

ومن الباحثين المعاصرين من يطلق على الافتراضات المسبقة مصطلح "الإضمارات التداولية"⁴. ويشمل الافتراض المسبق للمعطيات الأساسية التي تنتقل من المتكلم إلى المتلقي

¹ ينظر عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 111، 112.

² ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 31 (الهامش).

³ ينظر عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 118.

⁴ ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 30. (الهامش).

وتكون معروفة، ولكنها غير صريحة عندهما، كما يشكل خلفية ضرورية لنجاح التواصل، خلفية منظمة في القول ذاته، أو إنه تلك المعلومات التي لم يُفصَح عنها، فإنه وبطريقة آلية مدرجة في القول الذي يتضمنها أصلاً، بغض النظر عن خصوصيته على حد تعبير أوركينيوني¹

ويقر ديكرود في موضع آخر " إذا كان القول المقرّ (فعل الإخبار) هو ما أصرح به باعتباري المتكلم، وإن كان القول المضمّر هو الذي جعل سامعي يستنتج، فإن الافتراض المسبق هو ما أقدمه معروفًا بين طرفي الحوار وإذا شَبَّهنا ذلك بنظام الضمائر نقول: إن الافتراض المسبوق مقدم بطريقة تناسب "نحن" أما القول المقرّ فيناسب "أنا" والقول المضمّر يناسب "أنت"².

ولعل هذا القول يقودنا إلى التساؤل عن أهمية الافتراض المسبق ما دام لا يقدم معرفة جديدة وإنما يحتوي على معلومات معروفة لدى المتكلم والسامع معاً؟.

إن علم طرفي الخطاب بالافتراض المسبق لا ينفي أهميته ولا ينقص من قيمته، ذلك أنه يمثل القاعدة الأساسية التي يركز عليها الخطاب في تماسكه العضوي. هذا ما يؤكد (ديكرود) بقوله: " أما الافتراضات المسبقة فإن كان لها وظيفة فهي تمثل الشرط الأساسي للتماسك العضوي للخطاب"³.

ب/ القول المضمّر (les entendus): تشكل الأقوال المضمرة النمط الثاني من متضمنات القول التي تستنتج من السياق ووضعية الخطاب، ويعبر القول المضمّر " عن محتوى موجود في الملفوظات بصفة غير مباشرة وكونه بدون دال يميزه، فإن محتواه

¹ ينظر: الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترمحمد يحياتن، ص 34 وما بعدها.

وينظر: ج ب براون وج يول، تحليل الخطاب، تروتج محمد لطفي الزليطي و منير التريكي، ص 37 وما بعدها .

² ينظر: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 114.

³ حمّو ذهبية، لسانيات التلطف و تداوليات الخطاب، ص 179.

مرتبط بالمحتوى الصريح الذي يتميز بداله الخاص وبذلك يمكن اعتبار المحتوى الأول أنه موجود ضمناً، ولكنه غائب على السطح".¹

وتعرفه أوركيني بأنه: " كل المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث"² ، ومثال ذلك جملة: " إن الحساء ساخن" التي يمكن أن يستنتج السامع من خلالها قائمة من التأويلات حسب السياقات الواردة فيها كأن يعتقد أنها:

- دعوة للحد من احتراق لسانه.

- أمر بالتخلي عن فكرة تناول الحساء وقضاء أمر آخر أهم.

- أو رغبة في تغيير نوعية الأكل...

إلى غير ذلك من التأويلات الممكنة. إن ما يثير التأويل في كل الأحوال ليس السؤال: ماذا يقول المرسل؟ إنما لماذا يقول ما يقوله في هذا السياق بالذات؟³

إن الافتراض المسبق والقول المضمر وعلى الرغم من انتمائهما إلى نمط الحديث نفسه واستنادهما إلى حسابات تأويلية واستنتاجية إلا أنهما يختلفان في أن الأول وليد ملاسبات الخطاب بينما الثاني وليد السياق الكلامي، أي إن الافتراض المسبق " يتعلق مباشرة بالبنى التركيبية العامة (القول ذاته) على عكس القول المضمر الذي يتم استنتاجه انطلاقاً من

¹ حمّو ذهبية، المرجع نفسه، ص 178 . وفي معنى هذا القول ينظر: ج ب براون وج يول، تحليل الخطاب، ترويح محمد لطفي الزليطي و منير التريكي، ص 39 وما بعدها.

² عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 118.

³ ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، ص 144 وما بعدها. وينظر: حمّو ذهبية، لسانيات التلفظ و تداوليات الخطاب، ص 179.

الملكة البلاغية التداولية الموسوعية والمنطقية للمستمع والمتكلم¹ على حدّ تعبير أوركينيوني.

7/ الإشارات :

هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم، مع التفريق الأساسي بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه⁽²⁾، و ترتبط الإشارات ارتباطا وثيقا بالسياق الذي يتم التلقظ بها فيه فلا تُفهم ولا تُفسر بمعزل عنه فإذا أخذت جملةً مقتطعةً من سياقها التداولي مثل: "إنهم سيدرسون اليوم في حجرة أمام حجرتنا" . بدت شديدة الغموض، مُستغلة الفهم، فالضّمائر :الهاء ،الواو، النون، وظرف الزمان (اليوم) وظرف المكان (أمام) ،كُلّها أدوات لغوية خالية من أيّ معنى في ذاتها، تُحيل إلى مراجع مُختلفة وغير ثابتة تتحدّد في سياق الخطاب التداولي.

و ميّز الباحثون بين خمسة أنواع منها ، هي:

الإشارات الشخصية ،والإشارات الزمانية، والإشارات المكانية ،والإشارات الاجتماعية،والإشارات الخطابية النصّية ،مع اختلاف في الأخذ بها جميعا أو ببعضها فقط. فكل خطاب لا يتم إلا بحضور الأدوات الإشارية الثلاثة (الأناء، الهناء، الآن) .ولذلك لا يعترف كثير من الباحثين إلا بالأدوات الإشارية الثلاث الأولى.

أ/الإشارات الشخصية:

وتتمثّل بشكل عامّ في الإشارات الدّالة على المتكلم المفرد (أنا) ،أو المتكلم المعظمّ نفسه أو معه غيره (نحن)، والإشارات الدّالة على المخاطب مفردا أو جمعا، مذكرا أو مؤنثا،

¹ عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 120.

² ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 81..

والإشارات الدالة على الغائب إن كان حراً لا يُعرف مرجعه في السياق اللغوي، أمّا إذا عُرف، فلا يدخل في الإشارات .

و"الأنا " لا يُضمّنُها المرسل في خطابه شكلاً .لأنّها حاضرة في بنية الخطاب العميقة، فيُفرّق بين المرسل وغيره من خلال تلفظه بالخطاب .وهي موجودة بالقوّة في ذهن المرسل إليه حتى يستطيع تأويل الخطاب تأويلاً صحيحاً اعتماداً على معطيات السياق، وممّا يدل على ذلك إحالته لفظاً للمرسل إذا ما نقل عنه الخبر فيقول:هو كذا وكذا ... فيوظّف أداة إشارية تناسبه إفراداً وتذكيراً و غيبة .

ب/الإشارات الزمانية: هي أدوات لغوية تدلُّ على زمان معيّن يُحدده السياق قياساً إلى زمان التكلّم الذي يشكل مركز الإشارة الزمانية، التي يجبر المرسل إليه على تحديدها حتى يتمكن من تأويل باقي العناصر اللغوية المكونة للخطاب بناء على معرفتها. لهذا "يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطاً قوياً في مرحلة أولى ،ونربط كذلك بين الزمن والفاعل لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية"(1).

ففي قولي مثلاً: سأكلّمك بعد ساعة،يلزم المرسل إليه العلم بلحظة التلفظ حتى يبني توقعه عليها ،ويتعرّف الوقت المقصود بدقّة.

وقد تحيل هذه الإشارات إلى زمان يستغرق المدّة الزمنية كلّها مثل:اليوم الجمعة، وقد يستغرق بعضها مثل :قرأت درسا خاصا يوم السبت، أي في جزء محدد من اليوم،كما يمكن أن يخرج للدلالة على زمان أوسع وأشمل نحو:بنات اليوم،ليشمل العصر الذي نعيش فيه،ولا تحدد بيوم فيه أربع وعشرون ساعة فقط.

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص 83 .

وهذه العناصر الإشارية تدلُّ على الزمان الكوني، كما تدلُّ أيضا على الزمن النحوي اللذين يمكن أن يتطابقا على الرغم من اختلافهما أصالة في كثير من أنواع الاستعمال⁽¹⁾.

ج/الإشارات المكانية:

يُضمّن المرسل خطابه عناصر إشارية للدلالة على المكان نحو: أسماء الإشارة: هذا، وذاك، وهنا، وهناك... وسائر ظروف المكان: فوق، وتحت، وأمام ووراء، ويمين، ويسار... ، ويتمُّ تفسيرها اعتمادا على مكان التلفظ، وقت التلفظ، أو ما يسمّى "مركز الإشارة المكانية". أو قياسا على مكان آخر معروف لدى المتكلم والمخاطب على السواء في السياق المادّي المباشر الذي قيلت فيه، دون الخروج عن الإطار المعنوي الذي يقصده المتكلم، "فيقوم بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي".⁽²⁾

فإذا قال قائل ما:أريد البقاء هنا.فلا يمكن تفسير العنصر الإشاري (هنا) إلا بالنظر إلى المكان المقصود الإشارة إليه من قبل المتكلم .

. كما يوجد مصطلح "التقابل الإشاري" الذي يعني أن هناك عديدا من الأفعال التي تحمل في ذاتها معنى إشاريا مثل: الفعل (يأتي) الذي يدلّ على الحركة باتجاه المتكلم. والفعل (يذهب) الذي يشير إلى حركة معاكسة (من المتكلم إلى غيره). إلى غير ذلك من الأفعال، نحو: أخذ ، وأعطى....⁽³⁾

د/الإشارات الخطابية (النصّية):

وهذا النوع من الإشارات مُختلفٌ فيه بين الباحثين؛ لالتباس إحالتها إلى سابق أو إلى لاحق، فأسقطها البعض من الإشارات نهائيا. والفرق الجوهرى بينها وبين باقي الإشارات

¹ ينظر محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 20-21 .

² عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص 84.

³ ينظر: محمود أحمد نحلة ، المرجع السابق ، ص 21-22-23 .

أنها تخلق المرجع الذي تحيل إليه ،فقد تكون في خضم سردك قصة ما ، فتذكرك فجأة بقصة ثانية ،فتتوقف قائلاً: وتلك قصة أخرى. فإنك هنا تحيل إلى مرجع جديد ،وهو شبيه بما يسمّى في علم السرد :الاستذكار الذي يستعمله الروائيون بوصفه تقنية لتبطيء الزمن أو تطويله .

وللخطاب إشارات تُعدُّ من خواصه ،كالعبارات التي تستخدم لترجيح رأي على آخر ، أو الوصول إلى نتيجة نهائية بعد مناقشة طويلة لأمر ما .نحو: ومهما يكن من أمر ... أو العبارات التي تُستخدم للاستدراك أو العزوف عن كلام سابق نحو: لكنّ أو بل ، أو إضافة شيء جديد إلى آخر سبق فيه القول نحو : فضلا عن ...

وقد يستعين النّص بإشارات زمانية أو مكانية حيث تُستخدم كإشارات خطابية ،فيمكن أن يُقال :الفصل الماضي من الكتاب ،أو الرأي السابق قياسا على الإشارة الزمنية : العام الماضي مثلا ... كما يمكن أن يقال:هذا النص إحالة إلى نص قريب ، أو تلك القصة إشارة إلى قصة ذكرت سابقا (1).

ه/الإشارات الاجتماعية:

وهي ألفاظ تُستخدم للدلالة على نوع العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين ،من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة عادية (علاقة ألفة ومودة).

ف نجد أن العلاقات الرسمية تسودها صيغ التبجيل والتفخيم في مخاطبة من هم أكبر سنًا وأرفع مقاما ومستوى، مثل استخدام (أنتم) للمفرد، و (نحن) للمفرد المعظمّ نفسه، وتشمل أيضا الألقاب نحو:السيد الرئيس، جلالة الملك، سُمُو الأمير....

أمّا الاستعمال غير الرسمي، فهو خال من مثل هذه الألفاظ ومتحرر من قيودها، كالنداء بالاسم مجردًا أو مرخّما ،أو إلقاء التحية الحميمية كصباح الورد أو الفلّ....الخ.

(1) ينظر: محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 24 .

كما يمكن أن نجد في مجتمعنا العربي إشارات اجتماعية للدلالة على طبقة اجتماعية بعينها مثل: حرمه، وقرينته، وعائلته..... إشارة إلى الحياة الزوجية. (1)

8/ الحجاج:

أ/ مفهوم الحجاج: تتجاذب مفهوم الحجاج حقول معرفية متباينة منها: اللسانيات والمنطق والسياسة والقضاء والفلسفة... فكل منها يجعله موضوعا خاصا به. وقد كان شايم بيرلمان (ch.perlman) وميشال مايير (M mayer) من منظري نظرية الحجاج المعاصرة، ويشير عندهم هذا المصطلح إلى الخطاب الصريح أو الضمني الذي غايته الإقناع والإفحام.² يقول مايير: "يعرّف الحجاج عادة بكونه جهدا إقناعيا (إفهاميا) ويعتبر البعد الحجاجي بعدا جوهريا في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه"³ وفي النظرية الحجاجية المعاصرة عرّف الحجاج من زوايا شتى، ولعل أقربها إلى جوهر الحجاج ما يأتي:

1/ توافر الاستمالة أو الموالاتة كأهم عنصر في النص الحجاجي، إذ إن الحجاج عند بيرلمان(perlman) وتيتكا(tytca) وريك(rieke) وسيلارز(silars) طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم، أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة.⁴

2/ اعتبار الحجاج فعلا لغويا أو عملية اتصالية أو جنسا من خطاب تفاعلي مع إبراز أهم مكوناته، فأوتس ماس (utz mass) يعرّف الحجاج بأنه سياق من الفعل اللغوي تعرض فيه فرضيات (أو مقدمات) وادعاءات مختلف في نشأتها تشكل مشكل الفعل اللغوي في ذلك

¹ ينظر: محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 25 .

² ينظر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، ص 99..

³ Meyer michel ; logique, language et argumentation , p 136.

⁴ ينظر: محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، ص 02.

الموقف الحجاجي، أما ديورا شيفرين (deborah schiffrin) فيجعل من الحجاج جنسا من الخطاب تبني فيه جهود الأفراد عامة مواقفهم الخاصة في الآن ذاته الذي يدحضون فيه دعامة موقف خصومهم.

والحجاج عند هاينمان (heinemann) وفيغجر (viehweger) عملية اتصالية

يتم خلالها عرض ضروب البراهين التي تعلل الفرضيات والدوافع والاهتمامات.¹

ومحصلة هذه التعريفات أن الحجاج جنس من الخطاب يبني على فرضية أو قضية خلافية يعرض فيها المتكلم موقفه اتجاهها مدعوما بتبريرات مترابطة ترابطا منطقيا قاصدا إلى إقناع الطرف الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو دعواه تجاه القضية ذاتها.

ب/ الحجاج في اللسانيات والدراسات التداولية:

من البديهي أن يكون الحجاج بعدا جوهريا في اللغة فحيثما وجد خطاب العقل واللغة، فإن ثمة استراتيجية نعد إليها لغويا وعقليا، إما لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا وهذه الاستراتيجية هي الحجاج، فكل خطاب تمنحه اللغة العناصر الأولية والقاعدية لكل حجاج، أي عناصر الاستدلال والتدليل.

وإن الخروج بالحجاج إلى دلالاته النظرية والاستعمالية الواسعة يفضي إلى فضاءات متشعبة لأكثر من سياق وحقل وظيفي له. لنخلص إلى حجاج خطابي بلاغي، وحجاج قضائي قانوني، وحجاج فلسفي أورياضي...، لذلك كان من الطبيعي أن يكون للحجاج وسائل معقدة متجددة مع المنطق والبرهان، أو مع البلاغة أو الفلسفة، أو مع اللسانيات والتداوليات. ثم إن فصل الحجاج عن حقل بعينه وعن خطابه المرجعي أمر يصعب، إذ

¹ ينظر: محمد العبد، المرجع السابق، ص 02.

نصبح كمن يبحث عن حجاج متعال خالص مجرد من أسباب وجوده، والتركيز على ضرب حجاجي أمر يقلص من بعد النظر ومن وضوح المعالجة.¹

وسنركز من الزاوية النظرية على مفهوم الحجاج وعلاقته بكل من اللسانيات العامة والتداولية.

ب1/ الحجاج في اللسانيات:

إن الطرح اللساني للظاهرة الحجاجية لا يجعل من الحجاج عنصراً يضاف إلى اللغة، بل إجراء يسري فيها سريانا طبيعياً من خلال المقاربة اللسانية التلغظية له، فقد حاولت اللسانيات معالجة الحجاج كظاهرة لسانية نصية تفسر بإبراز مراتب المتكلمين وأدوارهم من خلال الأفعال الكلامية الصادرة عنهم وبالوقوف على الروابط الحجاجية كأدوات لسانية مساعدة على التحليل، ثم تشريح المنطوقات والأقوال واستنتاج العلائق والمراتب الحجاجية بينها في شكل "سلام حجاجية".

إن التحليل اللساني للحجاج - بدءاً بالجملة وانتهاء عند النص - يسعى إلى صياغة قواعد ومعايير تساعد على قراءة النص الحجاجي لسانياً بصرف النظر عن حقله الأصلي (نص صحفي، أو سياسي، أو أدبي، أو اقتصادي، أو فلسفي...)².

بدأت بذور هذا التحليل عند بينفينيست (Benveniste)، و طوره وعمّقه أ.ديكرو (o.Ducrot) وآخرون، فبينفينيست يرى في اتجاهه أن اللغة لا تتحقق فعلياً إلا

¹ ينظر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، ص 100.

² ينظر: حبيب أعراب، المرجع السابق، ص 103، 104.

بالأداء أي: التلفظ (Enonciation) ، وقبل ذلك فهي ليست سوى إمكانية لغوية، أما بعد التلفظ فهي خطاب يصدر عن ذات متكلمة في شكل صورة ناطقة، تستهدف ذاتا أخرى مستمعة تبعث تلفظا آخر ارتجاعيا.¹

وامتدادا لأفكار بينيفست يتصور ديكرو أن المتكلم هو المصدر والمسؤول عن الخطاب بصفة عامة وعن الحجاج داخل الخطاب بصفة خاصة ، وذهب إلى الاعتقاد بأن المعنى لا يحدد من دون العودة إلى مقاصد القول وحجابه ،وحجاج هذا الخطاب يتجلى في العلاقات بين المنطوقات والأقوال.²

إن القيمة الحجاجية لقول ما - حسب (ديكرو) - ليست هي حصيلة المعلومات التي يقدمها فحسب ، بل في المواقف والتعابير أو الصيغ التي يمكن أن تشتمل عليها الجملة (حتى، لكن، إذا، فإن، عندما... الخ) التي بالإضافة إلى محتواها الإخباري تعطي توجيهها حجاجيا للقول، وتوجه المتلقي الوجهة المناسبة.

أما على مستوى النص، فالأمر يتعلق بالتحليل المنطقي وفق الطريقة البرهانية الحجاجية الكامنة فيه.

ب/2 الحجاج في التداولية:

إن إدراج بعض اللسانيين الحجاج ضمن موضوعات واهتمامات التداولية له مبرراته، إذ لو بحثنا في الخطاب الحجاجي لوجدنا أفعالا كلامية لها المرجعية أو السياق نفسه بين المتخاطبين، كما أنه خطاب يخضع كغيره من الخطابات لقواعد وشروط القول والتلقي، وبالتالي تظهر فيه مكانة القصدية والتأثير والفاعلية، أي قيمة ومكانة الذات المتخاطبة.

¹ ينظر: حبيب أعراب، المرجع نفسه، ص 104, Benveniste(Emile):probleme du linguistique ,
générales,p81 p82.

² ينظر: حبيب أعراب، المرجع السابق ص 104, Duerot (as world): les echelles argumentatives,

يحتوي الخطاب الحجاجي على البعد التداولي على مستويات عدة، فعلى مستوى أفعال الكلام المتداولة في الحجاج هناك الأفعال العرضية المستعملة لعرض وشرح المفاهيم، مثل: أنكر، وأكد، وأجاب، واعترض، وهب، وفسر.. الخ، أما على مستوى السياق، فنجد تعابير وأدوات توحى ضمناً أو صراحة بحجاجية خطاب ما¹: ففي بعض الخطابات نجد "تعابير إنجازية موجهة إلى ربط قول ما بباقي الخطاب وبكل السياق المحيط، من هنا نعثر على "أجيب، استنبط، استخلص، وأعترض... وتأتي هذه التعابير لتربط القول بالأقوال السابقة وأحياناً بالأقوال اللاحقة"²

وهناك مستوى ثالث يظهر فيه البعد التداولي للخطاب الحجاجي، هو: "الحوارية"، بل إن أساس الحجاج في منظور بعض الاتجاهات التداولية هو الحوارية، إذ "تعد الحوارية مكوناً لكل كلام، وتعرف كتوزيع لكل خطاب إلى لحظتين توجدان في علاقة حالية. ويقدم المبدأ الحواري من خلال الحدود التالية: كل تلفظ يوضع في مجتمع معين، لا بد أن ينتج بطريقة ثنائية، تتوزع بين المتلفظين الذين يتمرسون على ثنائية الإصااتة وثنائية العرض، على حد تعبير فرانسيس جاك F-Jacques"³

فأنماط التحوار ومراتب الحوارية المتنوعة تتطلب عمليات حجاجية متباينة أيضاً ومناسبة لكل نمط.

وقد قسم طه عبد الرحمان الحوارية إلى: "الحوار" و"التحوار" و"المحاورة" فكل منها يخضع لمنهج حجاجي استدلاي وآلية خطابية وبنية معرفية وشواهد نصية"⁴.

¹ ينظر : فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، ص 62.

² فرانسواز أرمينكو، المرجع السابق، ص 65.

³ فرانسواز أرمينكو، المرجع نفسه ص 85.

⁴ طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 61.

وعلى الرغم من ذلك لا يمكن أن نحصر كل مستويات الخطاب الحجاجي، إذ كل عملية تواصلية هي حجاجية في ذاتها.

9/ الاستلزام الحواري (أو نظرية الاقتضاء):

(L implication conversationnel | The Orry implicature)

إن البحث في ظاهرة الاستلزام الحواري بدأ مبكراً في بحوث اللغويين الغربيين بعد اهتمامهم بمباحث فلسفة اللغة وإشكالات معالجة اللغة لما تحمله من معنى تواصلية ونسق تأثيري، وقد ازداد هذا الإشكال حدة لاختلاف المعاني في التخاطب الإنساني، والتفريق بين ما "يقال" وما "يُعنى".

ويعدّ الاستلزام الحواري من أهم المبادئ التداولية، وتعود نشأته إلى الفيلسوف غرايس (Grice H.P) في بحث له بعنوان "المنطق والحوار" الذي حاول فيه التفريق بين ما يقال وما يقصد في الخطابات المختلفة، فهناك من يقصد ما يقول، وآخر يقصد عكس ما يقول، وثالث يقصد أكثر مما يقول، فما يقال هو ماتحمله الألفاظ والعبارات من معنى حرفي (القيمة اللفظية). أمّا ما يقصد، فهو ما يريد المرسل إيصاله إلى المرسل إليه بطريقة غير مباشرة، باعتبار هذا الأخير قادراً على التفسير والاستعانة بمختلف المعطيات السياقية لإدراك مراد المرسل، فكان الاستلزام الحواري حلقة الوصل بين المعنى الحرفي الصريح والمعنى المتضمن.

"ابتكر غرايس مصطلح الاقتضاء *implicature* والفعل *implicat*، واشتقه من الفعل *imply* بمعنى يتضمن أو يستلزم، والذي اشتق بدوره من الفعل اللاتيني *plicare* بنفس المعنى... إنه يعني عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنه شيء يعنيه المتكلم ويوحى به ويقترحه ولا يكون جزءاً مما تعنيه الجملة بصورة حرفية".¹

¹صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، ص 78.

ويرى غرايس أن هناك نوعين من الاستلزام:

أ/ الاستلزام العرفي(الحرفي): ويتمثل فيما اصطلح عليه أصحاب اللغة الواحدة من دلالات و معاني ألفاظ معينة لا تتغير إلا بتغير السياقات و التركيب مثل:(لكن) في العربية التي تستلزم أن يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقعه السامع .

ب/ الاستلزام الحواري: وهو متغير دائما حسب السياقات التي يرد فيها، ولإيضاح الاستلزامين نصوغ المثال الآتي بين مرسل (أ) و المرسل إليه(ب):

أ) هل الجو ممطر في الخارج ؟

ب) عليك أخذ المظلة و ارتداء معطفك أيضا.

فهذا التركيب حامل لمعنيين اثنين في الآن نفسه ،فمعناها الحرفي هو المتضمن نصيحة (ب)ل(أ) بضرورة أخذ المظلة و ارتداء المعطف عند الخروج ، بينما الإجابة المتضمنة للسؤال المطروح (الجو ممطر خارجا).

يمكن القول إذن "إن الاقتضاء شيء يعنيه المتكلم و لايمثل جزءا من المعنى الحرفي للجملة، أو قل إن الاقتضاء لدى المتكلم هو المعنى غير المباشر لدى المتكلم :معنى شيء عن طريق معنى شيء آخر"¹

ولوصف ظاهرة الاستلزام الحواري أوجد (غرايس)مبدأ حواريا آخر سمّاه "مبدأ التعاون" تحكمه مبادئ فرعية أربعة ،بحيث يركز عليه المرسل للتعبير عن قصده مع ضمانه قدرة المرسل إليه على فهمه و تأويله .

أما المسلمات الأربع التي يقوم عليها مبدأ التعاون، فهي:²

¹ صلاح إسماعيل، المرجع السابق، ص 79.

².....

✓ **مبدأ الكم:** و يعني وجوب التزام المسهم في الحوار بالقدر المطلوب من المعلومات دون أن يزيد أو ينقص.

✓ **مبدأ الكيف:** مفاده أن لا يساهم المتكلم في الحوار بما يعتقد أنه كاذب ،وبما لا يستطيع البرهنة عليه.

✓ **مبدأ الملاءمة (المناسبة العلاقية):** وينص على أن المشاركة في موضوع الحوار تكون مناسبة وفي الصميم (أي مفيدة).

يقول ديكرو: "على المخاطب تقديم المعلومات اللازمة التي يملكها عن موضوع الخطاب و غرضها إفادة المخاطب"¹

✓ **مبدأ الطريقة:** و توجب أن تكون المشاركة في الحوار واضحة ،موجزة ،مركبة و بعيدة عن اللبس و الغموض .

و بخرق إحدى هذه القواعد الأربع تحصل ظاهرة الاستلزام الحواري.

وللاستلزام الحواري عند غرايس خواص تميزه، و هي:²

1. يمكن إغاؤه و ذلك بإضافة قول من قبل المتكلم ينكر ما يستلزم من كلامه و يحول دونه .

2. إنه متصل بالمعنى الدلالي للتركيب ،ولاعلاقة له بالصيغة اللغوية، فلو استبدلت مفردات و عبارات بأخرى ترادفها ينقطع الاستلزام.

3. إنه متغير بتغير السياقات التي يرد فيها، فيمكن لتعبير واحد أن يؤدي إلى استلزمات مختلفة إذا ما تباينت السياقات .

4. إنه يمكن تقديره ،بمعنى؛ إن المتكلم بإمكانه أن يقوم بمجموعة من الاستنتاجات أو العمليات الذهنية بناء على ما يسمعه من كلام، وصولاً إلى الاستلزام المطلوب بعيداً عن المعنى الحرفي.

¹ حمو ذهبية، لسانيات التلظ وتداوليات الخطاب، ص 176.

² ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 38، 39.

✓ **مبدأ التأدب:** أضافت روبين لاکوف (Robin Lakoff) إلى مبدأ التعاون مبدأ آخر نفترض وجوده أثناء التخاطب، سمته 'مبدأ التأدب' في مقال لها بعنوان "منطق التأدب" و جعلته واحدا من الافتراضات المنطقية و التداولية المكملة لسياق التلفظ و المؤدية دورا هاما في نجاح عملية التواصل بين طرفي الخطاب. كما وضعت لها قاعدتين متلازمتين متمثلتين في الأثر، تعزز كل منهما الأخرى أو تهمشها حسب السياق التلفظي سمتهما "قاعدتا الكفاءة التداولية"، و صاغتهما على النحو الآتي :

1. كن واضحا .
2. كن مؤدبا.

ويكون المرسل المسؤول عن تغليب إحدى القاعدتين على الأخرى فإن كان يهدف إلى التواصل مع الآخرين و تبليغ قصده، بحيث لا يخطئه المرسل إليه، سعى جاهدا إلى أن يكون واضحا. أمّا إذا كان يهدف إلى التعبير عما يكنه للمرسل إليه، سعى إلى أن يكون مؤدبا قدر المستطاع، مع أن الوضوح في بعض الأحيان ضرب من التأدب.¹

ويتفرع عن مبدأ التأدب ثلاث قواعد أخرى سمتها "قواعد تهذيب الخطاب"، وهي:²

1. **قاعدة التعفف:** وهي تلزم المرسل بأن لا يفرض نفسه على المرسل إليه، وذلك بحفظ مسافة معينة بينهما، وعدم التطفل على شؤونه الخاصة إلاّ بعد الاستئذان .
2. **قاعدة التخيير:** وتفرض على المتكلم أن يترك للمرسل إليه مجالا للاختيار واتخاذ قراراته بنفسه وإبقاء خياراته مفتوحة.
3. **قاعدة التودد:** وتعني تودد المرسل للمرسل إليه، فتنشأ بينهما صداقة تخاطبية حميمة تعويضا للصداقة الحقيقية، ممّا يوّلّد شعورا بالارتياح لدى المرسل إليه لإحساسه بالتساوي مع المرسل، واعتباره من قبل هذا الأخير صديقا مرغوبا فيه .

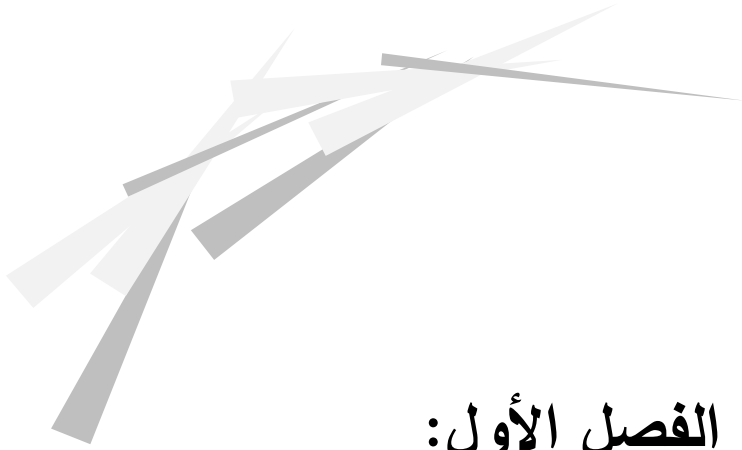
¹ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 97 وما بعدها.

²ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص100.

وتستنتج "لاكوف" أن هناك علاقة بين مبدأى التعاون والتأدب من ناحيتين: الأولى ناحية اتفاق. و الثانية ناحية اختلاف. فأما الاتفاق، فتجسده قاعدة التعفف، وذلك عند إنتاج خطاب رسمي واضح حيث يجد المتكلم نفسه مطبقاً مبدأ التعاون لقواعده، حفظاً للوقت، وابتعاداً عن التطفل على المرسل إليه أو إحراجه. أما الاختلاف، فيكمن في إنتاج خطاب وفق قاعدتي التخيير و التودد، الذي يكون غالباً في الحوارات غير الرسمية تقوية للعلاقات الاجتماعية دون الاهتمام بتبليغ المعلومات، وفي هذا خرق لقواعد مبدأ التعاون¹

والعناية بالقصد هو صلب نظرية غرايس ، من خلال اقتراحه مبدأ التعاون المؤدّي إلى تفاعل طرق الخطاب تفاعلاً ناجحاً، ممّا يؤدّد توأصلاً ناجحاً أيضاً.

¹ ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق ص 102 .



الفصل الأول:

التداولية: أصول وامتدادات فلسفية ولسانية



1/ الأصول الفكرية والفلسفية للتداولية:

عدت التداولية لفترة من الزمن سلة مهملات يلقي فيها اللسانيون كل القضايا التي عجزت اللسانيات الوصفية عن حلها، ولكنها ما فتأت تأخذ مكانتها شيئا فشيئا، حتى أضحت المنهج اللساني المطواع الذي غير كثيرا من وجهات النظر في الفلسفة والنقد والسرد والأسلوبية والبلاغة...، فدرست المعنى اللغوي في سياق استعماله، بعد أن دُرِسَ فلسفيا ولغويا، وقدمت فيه النظريات الدلالية المختلفة تحليلاتها محاولة استخراج المعنى الكامن وراء المفردات والتراكيب (مباحث علم الوضع اللغوي)، فكانت دراسات شكلية صورية تهمل السياقات المحيطة بالخطاب وتخرجها من حيز الدراسة، وهنا يصعب فهم الخطاب ويصعب الوصول إلى مقصوده، يقول جيفري ليج "لا نستطيع فهم طبيعة اللغة ذاتها إلا إذا فهمنا التداولية كيف نستعمل اللغة في الاتصال" ¹

وتجاوزت اللسانيات التداولية حدود الوضع اللغوي الأصلي و. إن كان الخطاب يبني عليه . لتدرس استعمال اللغة في سياق التخاطب؛ " لأن مقاصد المتخاطبين لا يمثلها الوضع اللغوي المجرد فقط، ولا يمكن الوصول إليها إلا من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال المتجدد بتجدد مقاصد المتكلمين، يستند فيه المتخاطبون على الوضع اللغوي، ويتجاوزونه تلبية لمقاصدهم وأغراضهم الدلالية". ²

والمعنى وطبيعته المعقدة يتداخل في دراسته عدة علوم [الفلسفة، والمنطق، وعلم النفس، وعلم الاجتماع...]. ، وكون التداولية علم يبحث في المعنى، فلا شك أن لها علاقة بكل الدراسات المتعلقة به، لذلك فإن البحث في أصول الدرس التداولي المعاصر لا نجد له مصدرا واحدا، بل مصادر كثيرة، ساهمت مجتمعة في بلورة

¹ عادل الثامري، التداولية ظهورها وتطورها، ص 1.

² وائل حمدوش، التداولية دراسة في المنهج ومحاولة في التصنيف، ص 1.

مفاهيمه الكبرى، حيث تعد الفلسفة الينبوع المعرفي الأول محصورة أساسا في الفلسفة
البراغماتية (الذرائعية) والفلسفة التحليلية.

أ/ الفلسفة البراغماتية وعلاقتها بالتداولية:

على الرغم من اختلاف التداولية (pragmatism) عن المذهب الذرائعي
الفلسفي pragmatism ، فإن معظم الباحثين يرون أنه أولى مصادرها، والبراغماتية
أو كما عربها المحدثون إلى "برجماتيك" أو "براغما طيقا" إلى غير ذلك، أو كما
تترجمها القواميس إلى "الذرائعية" أو "النفعية" أو "الغائية" هي كلمة يونانية الأصل
وتعني "العمل" أو "الفعل"، وورد في الموسوعة البريطانية أن أول من استعمل هذا
المصطلح المؤرخ الإغريقي بوليبيوس المتوفي سنة 118 ق.م، الذي أطلق هذه
التسمية على كتاباته لتعني آنذاك "تعميم الفائدة العملية". ومنها اشتقت اللغة
الإنجليزية جميع المفردات التي تتعلق بكلمة (pragmatism) وأهمها (practical)
التي من رحمها ولدت الفلسفة الذرائعية أو البرغماتية (pragmatism) التي كانت
بدورها سببا في ظهور مصطلح آخر في القرن العشرين هو (pragmatics) الذي
أشرنا في مدخل هذا البحث إلى الاختلاف في تعريبه صيغا ومعاني.¹

من المعلوم أن أوستن (1911-1961) وتلميذه سيرل (1932) هما اللذان
وضعا أساس بناء التداولية في الحقل الفلسفي، وبخاصة فيما سمي في تاريخ الفلسفة
اللغوية "فلسفة اللغة المستعملة" (أو فلسفة اللغة العادية)، فابتكرا متصور الفعل
اللغوي انطلاقا من نظرة المنطق التحليلي، الذي يوافق طبيعة اختصاصهما، ففي
فترة الستينيات أولى الفلاسفة عناية كبيرة في دراساتهم الأدبية بالتأثيرات الجمالية
للخطاب، في حين نجد آنذاك أوستن أول من بعث نظرية "الأعمال اللغوية".

¹ ينظر: دنحا طوبيا كوركيس، البراغماتية والفائدائية، ص 01.

والواقع أن اهتمام الفلسفة باللغة كان منذ القدم، حتى إن كثيرا من النقاد عدوا البلاغيين القدامى أقرب من غيرهم إلى المنهج التداولي، لأن اهتمامهم في حقل البلاغة انصب على البحث في العلاقات القائمة بين اللغة والمنطق، وتحديدًا دراسة اللغة الحجاجية وتأثيرات الخطاب في السامعين، وهو ما اتسمت به البلاغة منذ أفلاطون وأرسطو وصولًا إلى سيناك وشيرون وكونتليان، إذ كان هدف البلاغة يقوم على معرفة الأهواء والانفعالات. وذلك كما نجده عند أرسطوطاليس مثلًا حينما حاول التفريق بين نوعين من الخطاب، فدعا أحدهما "الخطاب الجدلي" الذي يوجه إلى شخص واحد مجرد ويختزل في وضعية السنن اللساني، وسمى الثاني "القول الخطبي" الذي يوجه إلى مخاطب واقعي يتقن المجادلة والمناقشة، وممتلك لأهواء وعادات ثقافية، ثم قسم الأقوال الخطابية إلى ثلاثة أجناس بحسب معيار العلاقة بين القول والمستمع دون النظر إلى مضمونه، وهي: ¹

1. جنس مشاجري: وهو الجنس الذي يتضمن أحكامًا تخص الأعمال المنتهية الحدوث.
 2. جنس منافري: يتضمن الأعمال التي بصدد الوقوع.
 3. جنس مشاوري: يقترح حلولًا ممكنة التحقق وهي مستقبلية أساسًا، وهي الأعمال التي كانت محل اشتغال "أوستن" و"سيرل".
- فالخطابة عند أرسطو وسيلة مقالية للتأثير تتجلى في الخطاب، أما عند أفلاطون، فهي أداة واقية ذات هدف أخلاقي، والخطيب الحاذق - في نظر أرسطو - هو ذاك الذي يتمثل للسامع حضورًا نقديًا، حتى وإن توارى ذلك الحضور وراء حوار باطني، وقد وصل هذا الفهم للحوار إلى التداولية الحديثة.

¹ ينظر: رخور أحمد، التداولية ومنزلتها في النقد الحديث والمعاصر، ص 01.

الفلسفة البراغماتية (pragmatism) اسم أطلق على الحركة التي نشأت في أمريكا في أواخر القرن 19، التي تجمع عددا من الفلسفات المختلفة التي تشترك في مبدأ عام هو "الفكرة الصحيحة هي المفيدة والنافعة عمليا في الحياة"، وكان أول من صاغ هذا المصطلح هو الفيلسوف تشارلز ساندرز بيرس (C.S.Pirce) (1839-1914)، وذلك في عدد يناير 1878 من مجلة البوبيولار سانييس مونتلي popular science Monehly ، ومعناه "عملي" أو "صالح لغرض معين" أو "يؤدي إلى الغرض المطلوب"، فوضع أسس فلسفة البراغماتية، ووجه التفكير الفلسفي الحديث إلى وجهة غير التي كان يسير عليها، وذلك حينما نشر مقالين له: الأول سنة 1978 بعنوان "كيف نجعل أفكارنا واضحة" أو "كيف نوضح تفكيرنا" how to make our ideas clear؟، والثاني سنة 1905 بعنوان: ماهي البراغماتية؟ what pragmaties is؟ ، فالفكرة إذن عند تشارلز بيرس أو عند البراغماتية، إنما هي مشروع أو خطة للعمل، وليست حقيقة في ذاتها، ففي فكرة "صغير القطار مثلا" لا معنى لأن نبحث في أصلها ومنشئها، وإنما معناها هو التفكير في تغيير خطة السير، أي في النتيجة المحسوسة التي تحدثها.¹

ثم طورها بعد ذلك الفيلسوف وعالم النفس الأمريكي وليام جيمس william (1842-1910) james من خلال كتاباته الفلسفية التي لقيت صدى كبيرا في الأوساط الفلسفية، وأدت دورا هاما في الفلسفة المعاصرة بدءا بمحاضراته " التصورات العقلية والنتائج العملية" سنة 1898 . فإذا كان بيرس قد زعم في مفتح البراغماتية أن الفكرة هي خطوة تمهيدية للعمل، ولإحداث النتائج في العالم المحسوس، فإن جيمس زاد على ذلك أن كل فكرة تؤدي نتيجة مرضية أو حسية، إنما هي حقيقيه، فليست الفكرة مشروعا للعمل فقط، وإنما النتائج أو التغييرات التي تحدثها في الدنيا

¹ ينظر: محمد مهران رشوان، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص 41.

المحيطة بنا هي الدليل على صحتها، أي إن البراغماتية تتناول الفكرة من حيث وظيفتها. The Truth of an idea.

ثم ساندتهما بعد ذلك الفيلسوف جون ديوي (John Dewey) (1859-1952) الذي حاول في مختلف كتاباته أن يجعل منطلقا للتفكير البراغماتي، وأن يضع كل مجالات التطبيق من خلال نظريته التي سماها الآلية (instrumentalism)، فالأصل في الفكر أو العقل ليس المعرفة، فليس العقل أداة للمعرفة، وإنما أداة للحياة، ثم تلت هذه الخطوة من ديوي خطوة أخرى من الفيلسوف الإنجليزي ف.س.س. شيلر (F.C.S. Shiller) (1864-1937) وهي النظرية البشرية (Humanism) التي ترى أن الحقيقة ليست في التطابق بين الاصطلاح وبين الأشياء الخارجية، وإنما هي معيار الحقائق الذي هو في خدمة الجنس البشري.¹

إضافة إلى فلاسفة آخرين أقل شهرة من أمثال تشوستي رايت (1830-1875)

ch-wright جون جرين j-Green (1835-1876) وألفروندل هولمز O.W. Aohnes (1841-1935).²

والبراغماتية في معناها العام الذي قدمه ديوي في "قاموس القرن" Dictionary century (1909) هي: "النظرية التي ترى أن عمليات المعرفة وموادها إنما تتحدد في حدود الاعتبارات العملية أو الغرضية، فليس هناك محل للقول بأن المعرفة تتحدد في الاعتبارات النظرية التأملية الدقيقة أو الاعتبارات الفكرية المجردة"³

¹ ينظر: محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، ص 175.

وينظر: محمد مهران رشوان، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص 41.

² ينظر: محمد مهران رشوان، المرجع نفسه، ص 41.

³ محمد مهران رشوان، المرجع السابق، ص 41.

وبهذا المعنى ترفض البراغماتية الفلسفات التأملية أو العقلية المثالية التي تتميز باستخدامها الوضع المثالي ونزوعها إلى التنظير، محاولة فرض نظام واحد على العالم المتعدد المختلف، وتقيم فلسفة قوامها أن قيمة الأفكار المجردة تقاس بمدى انطباقها على الواقع أو بإمكانية تبلورها عمليا، وحتى حينما تكون الأفكار غير عملية، فإن الواقع التاريخي والعملي يظل مهيمنا عليها.¹ فصحة الفكرة تعتمد على ما تؤديه من نفع، أيا كان نوع هذا النفع، أو على ما تؤدي إليه من نتائج عملية ناجحة في الحياة، تطبيقا لقول بيرس وجود الشيء يعني كونه نافعا، يقول جيمس في سياق دعوته إلى تغيير العالم بواسطة العمل، حيث تكون الأفكار نفعية وتؤدي إلى نتائج عملية: "إن البراغماتي عند معالجته لبعض الإشكالات بدلا من أن يعالجها بالتأمل المعجب، تقفز إلى الأمام في نهر الحيرة، إذ يعيش فيها كما تعيش الأسماك في الماء".²

فهو يؤكد على ضرورة عدم الاكتفاء بالوصف التأملي لبعض الأفكار، أو البحث عن منشئها، بل الأهم هو نتائجها العملية التي تؤثر في سلوكنا وتغير واقعنا نحو الأفضل، أي: تحقق لنا المتعة الخاصة، ويضيف جيمس تأكيدا للفكرة نفسها "إن كل عقيدة تؤدي إلى نتيجة مرضية أو حسنة، إنما هي عقيدة حقيقية، فليست الفكرة مشروعا للعمل فقط، وإنما العمل أو النتائج هي الدليل على صحة الفكرة... فقيمة الفكرة ليست في الصور والأشكال التي تثيرها في الذهن، وليست في انطباقها على حقائق الموجودات وإنما في الأعمال التي تؤدي إليها هذه الفكرة وفي التغيرات التي تنتجها في الدنيا المحيطة بنا و لا يهم في هذه الحالة حقائق الأشياء في ذاتها"³

¹ ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ص102 وما بعدها .

³ محمد كحلاني، فلسفة التقدم، 108.

³ عبد بلبع، التداولية البعد الثالث في سميو طبقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص05.

كما اتجه ديوي j.Dewey نحو أدائية التفكير، لأن الفكرة هي فرضية الفعل وتقودنا وحدها فعليا نحو الحقيقة، هذه الأخيرة التي يؤكد المنهج التداولي على أنها عمل إنساني محض، ويؤكد شيلر أنه: " لا توجد حقيقة مطلقة، وإنما كل حقيقة فهي إنسانية...وعلى هذا فإن الحقيقة لا تعلن مرة واحدة وإلى الأبد، وإنما هي ديناميكية، وفي سيرورة مستمرة".¹

فالحقيقة نسبية وليست مطلقة، تتغير بتغير واقع الإنسان وحاجاته المتجددة، وفي إحدى قواعد المنهج التداولي ميز جيمس بين صدق قضيتين متشابهتين من خلال الأثر الذي تتركه كل منهما. يقول: " إذا اعتقدت في صدق قضيتين فأنظر في أثر كل منهما على سلوكك العملي، فإن اختلف سلوكك في كلتا الحالتين فالقضيتان مختلفتان، وإن لم تختلف النتيجة، فالقضيتان قضية واحدة، ولكن بصورتين مختلفتين".²

وهنا تبدو البراغماتية نظرية في المعنى أيضا، يقول بيرس وجيمس: " إن المعنى ليس مفهوما ثابتا، بل يختلف باختلاف مكانه في سلم الموجودات"³ ومما سبق يمكن القول إن نقطة الالتقاء بين المذهب الفلسفي والتداولية يتحدد في الواقع العملي الذي يجمع بينهما، فإذا كان المذهب الفلسفي ينطلق من أن معنى فكرة ما، أو معتقد أو مسألة ما ليست في الصور الشكلية التي تثيرها في الذهن، وليست في مطابقتها لحقائق الموجودات في الواقع، وإنما في النتائج العملية التي تؤدي إليها هذه الفكرة، فإن التداولية تتجاوز تفسير اللغة في ذاتها إلى تفسيرها أثناء الاستعمال، بما يحمل ذلك من ردة فعل على المذاهب التي اكتفت بوصف اللغة والتنظير لها بمعايير تفسيرية أو تقويمية كلية شأن البنوية مثلا. وإذا كانت التداولية

¹ محمد كحلاني، فلسفة التقدم، ص119.

² محمد كحلاني، المرجع نفسه، ص119.

³ إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، ص163.

قد قيدت أثناء تطورها بالممارسة الفلسفية البراغماتية، فإنها أخذت في صيانة استقلالها بوصفها حقلا لغويا بديلا بمحافظتها على حيز وجودها العملي بالمعالجة والاهتمام بالمعنى اليومي الذي يهتم بالاستعمال اللغوي المتعلق بالمقاصد التي تحققها الظواهر اللغوية في التواصل.¹

ب/ مفهوم الفلسفة التحليلية وأهم فروعها:

إن تأثير الفلسفة في ظهور التداولية المعاصرة لم يتلخص في الاتجاه الذرائعي الأمريكي فقط، بل نجد كذلك اتجاها آخر يعرف "بالفلسفة التحليلية"، فلقد شكل هذا التيار الفلسفي بمختلف اتجاهاته واهتماماته وقضاياها الخلفية المعرفية التي انشقت منها أكثر المفاهيم التداولية أهمية متمثلة في "مفهوم الأفعال الكلامية، ومفهوم القصدية، فكانت بذلك السبب المباشر في نشوء اللسانيات التداولية.

إن المقصود بمصطلح التحليل (Analyse) ، تلك العملية التي تقوم على تقسيم عقلي أو فعلي ل"كل ما" إلى مركباته الأساسية، ثم إعادة تكوينه من خلال تلك الأجزاء. واستُخدم هذا المصطلح في تاريخ الفلسفة للدلالة على تيار فلسفي معاصر نُظِر إليه على أنه ثورة في مجاله، ساد إنجلترا و الولايات المتحدة الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية، وجاء تطورا للأفكار السائدة عند حلقة "فينا" والوضعية المنطقية، وردا عمليا على "المثالية" التي برزت إلى العالم مع مجموعة من الأدباء من أمثال "صمويل كولوردج" و كاريل و برادلي و بوزكوبت.²

وفي هذا الجو الفكري اقترن مصطلح التحليلية بفلسفة المدرسة الانجليزية الحديثة من أمثال جورج مور، برتراند راسل (1872-1970) ، فتخبشتاين المتأخر، ثم كارناب وآير في أواخر القرن العشرين. ولقد انصبت محاولات فلاسفة التحليل من

¹ عبد بلع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة ، ص 06.

² ينظر: العياشي إدراوي، الفلسفة التحليلية بين مأزق لغة الكون وأفق لغة الإنسان ، مجلة علامات، ع37،

2014، ص88.

أمثال برتراند راسل وفلاسفة جماعة فيينا على إيجاد مناهج علمية في الفلسفة متخذين من التحليل المنطقي أساساً لهدفهم. ولعل ما يساعدهم في ذلك الإنجازات التي أحرزها المنطق في مجال الرياضيات خاصة، ولكن التحليل بوصفه إجراء علمياً وطريقة في التفلسف ليس جديداً، بل يمكن أن نعود بجذور التحليل الفلسفي إلى زمان فلاسفة اليونان أمثال أفلاطون وأرسطو وبعض فلاسفة العصور الوسطى، وكثير من الفلاسفة المحدثين الذين استوعبوا هذا التراث الفلسفي وكان له تأثيره على اتجاهاتهم.¹

ويذهب سكوليموفسكي إلى أن الفلسفة التحليلية اسم يطلق على نوع من فلسفة القرن العشرين تتميز بالخصائص الآتية:²

1. اعترافها بدور اللغة الفعال في الفلسفة، أو بعبارة أخرى، ما يمكن أن نسميه اتجاهها الشعوري المتزايد نحو اللغة.

2. اتجاهها إلى تفتيت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة بمعالجتها جزءاً جزءاً.

3. خاصيتها المعرفية.

4. المعالجة البين ذاتية intersubjective لعملية التحليل.

ويمكن القول إن الفلسفة التحليلية تدل على عديد أعمال ومواقف فلاسفة معاصرين ساهموا بتحليلاتهم اللغوية في تشكيل هذا التيار الفلسفي.

ومن فلاسفة فيينا الذين كانت لهم اليد الطولى في تبلور المفهوم الصارم

للفلسفة التحليلية، الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه GOTTLLOB FREGE

(1848، 1925)، إذ كان لدروسه التي ألقاها على طلبة الفلسفة والمنطق بالجامعة

¹ ينظر: العياشي إدراوي، المرجع السابق ص88.

وينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص7 وما بعدها.

² ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص07.

الألمانية أثر بالغ في جميع أنحاء أوروبا خاصة ألمانيا والنمسا، بل لقد كان طرحه عند بعض فلاسفة اللغة يمثل ثورة أو انقلابا فلسفيا جديدا في نطاق البحث اللغوي ، ومن أهم تحليلاته اللغوية ذات الصلة الوثيقة بالتداولية تمييزه في رؤيته الدلالية بين اسم العلم والاسم المحمول، وبين المعنى والمرجع، والاسم العلم هو المسند إليه، والمحمول هو المسند في القضية الحملية، والوظيفة الأساسية لاسم العلم عند فريجه هي إشارته إلى شيء فردي معين، أما وظيفة المحمول فهي دلالاته على مجموع الخصائص التي تستند إلى اسم العلم أو بعضها والاسم المحمول هو الذي تدخل عليه ألفاظ التسوير لتفيد معنى جديدا، فالعلم لا تدخل عليه ألفاظ التسوير الكلية أو التبعية.

كما ربط أيضا بين مفهومين تداوليين عامين هما: الإحالة والاقتضاء، فأوجد لذلك قطيعة معرفية بين الفلسفة القديمة والحديثة، وكان كل ذلك من نتائج اعتماد التحليل منها فلسفيا جديدا.¹

إضافة إلى أن أعمال غ. فريجه أدت إلى الفصل الواضح للغة العلمية عن اللغة العادية، فاللغة العلمية ضرورية في البرهنة الحسابية ويجب أن تكون صريحة لا تحتمل إلا معنى واحدا، أما اللغة العادية فتحتمل معاني متعددة كي تتمتع بثناء الممكنات التي تهيب لها تأدية وظائفها التواصلية بالشكل الصحيح، ومنه فقد وضع غ. فريجه حجر الأساس لعلم الدلالة ومن ورائها التداولية وذلك بتبسيطه مفهوم الروابط الدلالية الموضوعية التواصلية. وانطلاقا من مسألة تعدد المعنى ووظائف اللغة العادية . التي تمثل صعوبة منطقية. نشط أوستن أعماله اللغوية.²

¹ ينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص13.

وينظر: عبد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيموطبقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص185.

² ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترصابر الحباشة، ص30

اقتفى الفيلسوف الإنجليزي ذو الأصل النمساوي لودفيغ فتجنشتاين (1889-1951) L.WILL genstien، أثر فريجه حيث نشر سنة 1921 رسالة في المنطق والفلسفة (Tractatus Logico – Philosophicus)، لخص فيها وظيفة الفلسفة، ووضح منطق اللغة والفحص الدقيق لكيفية عملها، وأكد فكرة مفادها أن الأقوال المنطقية هي من تحصيل الحاصل، ومن ثمة فهي فارغة من المعنى، إذ إنها لا تحيل إلى الواقع، بل تشكل إطارا صوريا ما قبلها للمعرفة العلمية.¹

يقول فتجنشتاين "إن معظم القضايا والأسئلة التي كتبت عن أمور فلسفية ليست كاذبة، بل هي خالية من المعنى، فلننا نستطيع إذن أن نجيب عن أسئلة من هذا القبيل. وكل ما يسعنا هو أن نقرر عنها أنها خالية من المعنى، فمعظم الأسئلة والقضايا التي يقولها الفلاسفة إنما تنشأ عن حقيقة كوننا لا نفهم منطق لغتنا، فهي أسئلة من نوع السؤال نفسه الذي يبحث فيما إذا كان الخبر هو نفسه الحمل على نحو التقريب، وإذن فلا عجب إذا عرفنا أن أعرق المشكلات ليست في حقيقتها مشكلات على الإطلاق"²

وفي حدود سنة 1930 شارك فتجنشتاين في حلقة فيينا مع ثلة من المناطقة تمحورت جهودهم حول برنامج متأثر بأعمال راسل، تهدف إلى بناء علم للدلالة متناسق عبر تحليل اللغة. وعقب سنة 1930 وبعد وضعه كتابه "رسالة منطقية فلسفية" ترك فتجنشتاين تحليل البنية المنطقية للغة العلمية، ليؤسس اتجاها جديدا سماه "فلسفة اللغة العادية" رفض من خلاله ما روجه الوضعيون المناطقة، خاصة مفهوم الافتراض السابق الذي كان هو نفسه مشاركا في وضعه من خلال كتابه سالف الذكر.

¹ ينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص 43 وما بعدها.

² فليب بلاشيه، المرجع السابق، ص 30 .

وبهذا التوجه جعل فتجنشتاين مهمة الفلسفة وصف الاستعمال الشائع للغة ودراسة حالات ورودها ضمن فكرة "ألعاب اللغة" التي يبدو أنها شديدة التنوع ولا يمكن حصر استعمالاتها، فدحض بذلك النظرة الشائعة القائلة بانفصال اللغة عن الفكر، فأقر أنهما غير منفصلين، بل يبني أحدهما الآخر بشكل متبادل، وهما يسعيان في تفاعلها لغاية واحدة، هي الغاية التواصلية، فلا وجود للغة خاصة بالفرد، بل الفرد في تراكيبه يتبع لغة مجتمعه، فاستبدل بذلك معنى التواصلية في اللغة بالتعبيرية، فاللغة بهذا المفهوم ليست وسيلة للفهم أو تمثيلاً للعالم، بقدر ما هي وسيلة تأثير في الآخرين، لارتباطها بمواقف التخاطب والتواصل.¹

إن فكرة ألعاب اللغة تعبير "في معناه الأولي يوضح كم هو مهم أن تأخذ بعين الاعتبار سياق الملفوظية إذا تعلق الأمر بفهم دلالة التعبير اللغوي أو شرحه".²

وكشف فتجنشتاين مفهوم التلاعب بالكلام من خلال كتابه "بحث في الفلسفة والمنطق 1921" هذه الفكرة التي أصبحت فيما بعد أحد دعائم التداولية، ذلك أنه مرتبط بالمعنى الفعلي الذي منحه للملفوظات أي إنه يقوم على ممارسة التأويل من خلال الأداء الفعلي للغة³، وعبر عن ذلك بالقول: "كل ما نستطيع أن نقوله يجب أن يبقى في طي الكتمان"⁴

إن الأفعال التي نتلفظها - في نظر فتجنشتاين - ترتبط بطبيعة المجتمع والممارسات التي نحيها داخله، أي تنحصر في استعمال المتكلمين في إطار

¹ ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 42.

وينظر: فيليب بلاتشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، ص 31

² خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص 42.

³ ينظر: خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص 42

⁴ فتجنشتاين، بحث في الفلسفة والمنطق نقلا عن: بيار أشار، سوسيلوجيا اللغة، تعريب: عبد الوهاب ترو،

ص 96.

العلاقة بين العلامات ومستخدميها، وينتج عن الاختيارات المتواضع عليها في تنظيم الخطاب، كونه مجموعة منظمة من وجهات النظر. وهو بذلك يكون قد ميز بين المعنى المحصل المرتبط بالكلام، وبين المعنى المقدر المرتبط بالجملة، وهي نظرية الاستعمال التي فحواها أن معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة.¹

شاع هذا الاتجاه في البداية في كمبريدج وضم مجموعة من الفلاسفة المتأثرين بشكل مباشر بفتجنشتاين، و منهم: جون وزدوم (J.Wisdom) 1904، ومالكوم (N. Malcolm)، وج. أ. بول (G.A.Paul)، وليزرويت (Lazerowitz)، وأنسكومب (Anscombe)، وفايزمان (Waisman)، ولم يكن فتجنشتاين المتأثر الوحيد بالتجديد الفلسفي الذي جاء به فريجه، بل تأثر به فلاسفة كثيرون، من أمثال: هوسرل (Husserl)، وكارناب (Carnap)، وأوستن (Austin)، وسيرل (Searle) وغيرهم الذين تجمع بينهم مسلمة عامة مشتركة مفادها أن اللغة هي أداة الإنسان لفهم ذاته وعالمه، وهي الوحيدة المعبرة عن الفهم.² إذ "إن جميع الحالات الموضوعية لشؤوننا وجميع العلاقات الغائية مع الأفراد والمجتمع، ومع تاريخ الجنس البشري، قائم على أساس لغوي، إن أراد أن يكون له معنى -فالتابع اللغوي مرتبط دائما وأبدا بالفهم، مادام المعنى الذي تنقله لنا اللغة لا يصير ملموسا إلا على هذا النحو، فالوجود الذي يمكن أن يكون مفهوما أولا هو اللغة".³

ويمكن أن نجمل مفهوم الفلسفة التحليلية في مطالب واهتمامات ثلاثة هي:⁴

¹ ينظر: الجبلاي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 18 وما بعدها.

² ينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص 43 وما بعدها.

³ رودنجر بونتر، الفلسفة الألمانية الحديثة، تر: فؤاد كامل، ص 81.

⁴ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 21.

وينظر: العياشي إدراوي، الفلسفة التحليلية بين مآزق لغة الكون وأفق لغة الإنسان، ص 89.

1. ضرورة التخلي عن منهج البحث الفلسفي الكلاسيكي خاصة الميتافيزيقي، وإتباع طريقة التحليل المنطقي للغة ، إذ عد بمثابة المنهج العلمي الجديد في الفلسفة من حيث كونه منهجا فرض كفايته في القدرة على التمييز بين مفاهيم وقضايا الميتافيزيقا من جانب، وإيجاد ضوابط علمية صارمة تشمل الاستدلال والاستقراء في مقام أول من جانب آخر.

2. الانتقال من "نظرية المعرفة" إلى "التحليل اللغوي" بوصفه موضوعا للبحث الفلسفي.

3. تحديد وتعميق بعض المباحث اللغوية، خاصة الدلالة وما يتفرع عنها من ظواهر لغوية.

كما يمكن التمييز داخل الفلسفة التحليلية بين جملة من الاتجاهات الفكرية أبرزها: ¹

1. **الاتجاه الوضعي المنطقي: (positivisme Logique)** بزعامة رودلف

كارناب R.Carnap (1891/1970) حيث جعل أتباع هذا الاتجاه آخر الأفكار التي انتهى إليها أستاذهم كارناب " منطلقا لوضع تعريف دقيق للمفاهيم الأساسية للعلوم، وذلك في إطار لغة اصطلاحية صرفة"²

2. **الظاهراتية اللغوية: (phénoménologie du Language)** بزعامة

إدموند هوسرل Edmond Husserl (1859/1951).

3. **فلسفة اللغة العادية: (phélosophie du Language Ordinaire)**

بزعامة فتجنشتاين L.Wittgenstein (1859/1951) ، المعروفون اتفاقا

بالفلاسفة العلاجيين لكونهم ينظرون إلى الفلسفة على أنها نوع من العلاج

¹ ينظر: العياشي إدراوي، المرجع نفسه، ص89.

وينظر: محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، ص178 وما بعدها.

² بوخنسكي، تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر محمد عبد الكريم وافي، ص115.

المنطقي، كما عرفت هذه الحركة الفلسفية باسم "مدرسة أكسفورد" أو "فلاسفة أكسفورد".

وقد خرج الاتجاه الوصفي المنطقي عن اهتمامات التداولية بسبب استبداله اللغات الطبيعية بلغات أخرى مصطنعة، فأقصى القدرات التواصلية التي تمتلكها هذه الأخيرة، واهتم بافتراض مجال تواصل يميز بالمحدودية والرسمية والتخصص العلمي الضيق الخاص باللغات البديلة، أما الظاهراتية اللغوية فيؤخذ عليها أنها ابتعدت هي الأخرى عن الاستعمال العادي للغات الطبيعية واهتمت بما سماه سوسير (F.d.Saussure) بالمرحلة السديمية، وهي مرحلة ذهنية ما قبل وجودية بالغة التجريد ولا علاقة لها بالاستخدام اللغوي، ولا بظروف التواصل ولا بأغراض المتكلمين...، ولذلك اعتبروا هذا التيار غير تداولي، إلا أن هذا التيار أتى بمبدأ إجرائي تداولي هام هو مبدأ "القصدية intentionnalité" الذي استثمره أوستن في دراسته أفعال الكلام وطوره تلميذه سيرل في تصنيفه القوى المتضمنة في القول، فلم يبق إذن إلا تيار فلسفة اللغة العادية.

ج/ مدرسة أكسفورد (فلسفة اللغة العادية):

كان فتجنشتاين يحاضر في كمبريدج منذ عام 1930، وهي الفترة التي حاول فيها التخلص من بعض أفكاره التي طرحها في "الرسالة"، ودعا في الوقت نفسه إلى أفكار أخرى كانت بمثابة إرهابات الأفكار المتأخرة. وبعد تأثر مجموعة من الفلاسفة الشبان بهذه الأفكار أسسوا مدرسة عرفت بمدرسة كمبريدج (الفلاسفة العلاجيون) الذين سبق ذكرهم.

غير أن مركز الاهتمام الفلسفي في انجلترا قد تحول بعد وفاة فتجنشتاين في أربعينيات القرن الماضي من كمبردج إلى أكسفورد بزعامة جون أوستن j-Austen (1911-1960) وجلبرت رايل G-Rayle (1900-1976) وسار في ركابهما بتراستراوسون P.F.Strawson وهير R.M.Hare، وهيرت H.L.Hart، وهامبشير S.Hampshir، وتولمن S. E.Taulmin، ونويل سميث p.Nowell.Smith وأشعيا برلين I.Berlin، وأرنوك I.G.Warnok¹.

لم يكن فلاسفة هذا الاتجاه على رأي واحد في كل التفاصيل، بل إنهم لم يتفقوا إلا على الأسس العامة التي شكلت محور اهتمامهم، وفي مقدمة ذلك جعل اللغة العادية أساس البحث الفلسفي ومنطلق النظر التحليلي، مع الأخذ بعين الاعتبار اجتماعية اللغة، حيث تُقَارَبُ وفق هذه الخاصية وليس من زاوية مثالية أو ميتافيزيقية كما كانت تفعل بعض الفلاسفات الكلاسيكية. ولعل ما أثير من نقاش حول اختلاف فلاسفة هذه المدرسة، وما إذا كانت أعمالهم تشكل حركة من نوع ما يعود إلى اختلاف المصادر التي قامت عليها فلسفة أكسفورد، إذ يلتبس البعض ثلاثة مصادر أساسية معترف بها لهذه الفلسفة وهي على النحو الآتي:²

1. أعمال كل من هارولد آرتر برتشارد (1871، 1947) prichard، ووليم

دافيد روس rose (1877، 1940) وذلك لعنايتهما بالخواص اللغوية

للمسائل الأخلاقية.

2. كتابات فتجنشتاين المتأخر و ويزودوم وهنري هابرلي برايس price (1899)

ورايل؛ لأنهم قادوا الثورة ضد الفلسفة التقليدية في أكسفورد في أواخر العقد

الثاني من القرن الماضي.

¹ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 13-14 .

² ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص 15.

3. مجموعات المناقشة الأسبوعية التي كانت تضم عددا من أساتذة أكسفورد الشبان، وخاصة أوستن وبرلين.

ويرى برلين أن المصدر الثالث أكثر المصادر أهمية حيث يقول: "لقد نشأ الاتجاه الفلسفي الذي عرف فيما بعد باسم مدرسة أكسفورد بصورة أساسية في المناقشات الأسبوعية التي كانت تدور بين جماعة قليلة العدد من فلاسفة أكسفورد الشبان كان أكبرهم سنا في السابعة والعشرين، وبدأ ذلك في العام الجامعي 1936-1937 وفي آخر صيف 1936 اقترح أوستن أن تعقد مناقشات فلسفية دورية حول الموضوعات التي تشغلنا ويحفل بها معاصرونا من فلاسفة أكسفورد، وأراد أن تلتقي المجموعة على نحو غير رسمي أو بدون أي تفكير في نشر نتائجها، واتفقنا على أن ندعو آير وماك ناب Mak Nab ووزلي Woozly الذين كانوا يدرسون الفلسفة في أكسفورد عندئذ، وانضم إلى هؤلاء ستيوارت هامبشير وماك كيتون Mackinnon ، وبدأت اللقاءات في وقت ما من 1936-1937 (وأظن في ربيع 1937)، وجرت هذه اللقاءات في يوم الخميس من كل أسبوع في حجرات بكلية أول سولز Au Sauls بعد الغداء، واستمرت مع فترات انقطاع قليلة حتى صيف عام 1939"¹

إن ما تميزت به فلسفة اللغة العادية التي تمثل مرحلة متطورة من مراحل الفلسفة التحليلية إيمانها بأن تحليل المفاهيم أجدى من بناء الأنساق الميتافيزيقية، إضافة إلى دراسة استعمال الكلمات في سياقها العادي غير الفلسفي، يقول غرايس P.Grice " إن الموقف الوحيد الذي حظي بموافقة عامة من فلاسفة اللغة

¹ صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع السابق، ص 16.

العادية من وجهة نظري هو أن الفحص الدقيق الجوانب التفصيلية في الخطاب العادي مطلوب كأساس للتفكير الفلسفي¹

ويذهب فيلسوف اللغة العادية إلى أن اللغة خير وسيلة للتواصل ولا تحتاج إلى تعديل أو تنقيح لمفرداتها: " فالتعبير عن الوقائع أو القدرة على توصيل المعلومات من فرد لآخر ليست هي الوظيفة الوحيدة للغة، بل للغة عدد لا متناه من الوظائف، مثل: إعطاء الأوامر أو إلقاء أسئلة أو تقديم شكر أو صب لعنة أو أداء صلاة أو تمثيل دور على المسرح... إلخ بل اكتشف هؤلاء الفلاسفة أن اللغة وحدها هي التي مكنت الإنسان من أن يدرك الأشياء من حوله ويفكر فيها لأن أي إدراك أو تفكير يجب أن يصاغ في لغة، وأن العالم الذي نعيش فيه ونعرفه حدته مناهجنا اللغوية في وصفه"²، وهذه اللغة التي نستعملها في حياتنا اليومية هي الملائمة للأبحاث الفلسفية، وبالتالي يكون تأثيرها وترسيخ الأفكار بها أكبر ما دام الباحثون يصوغون آراءهم ومعتقداتهم بلغة عادية، فتكون اللغة أداة الفلسفة لحل جميع مشكلاتها، وأن الاستعمال هو الذي يكسب تعليم اللغة واستخدامها.

طور فلاسفة مدرسة أكسفورد أفكار فتجنشتاين، فدرسوا الكلام عامة، واعتبروا كل قول هو إنجاز لفعل ، فانصب اهتمامهم على تحليل اللغة انطلاقاً من تحليل أفعال الكلام les actes du Language معتبرينها أساساً لكل فعل تواصلية لاسيما جون أوستن الذي كان سابقاً لهذه الدراسة بظهور كتابه "نظرية أفعال الكلام العامة" (كيف ننجز الأشياء بالكلام) سنة 1962 ، وتلميذه سيرل في دراسته للقوى المتضمنة في القول³.

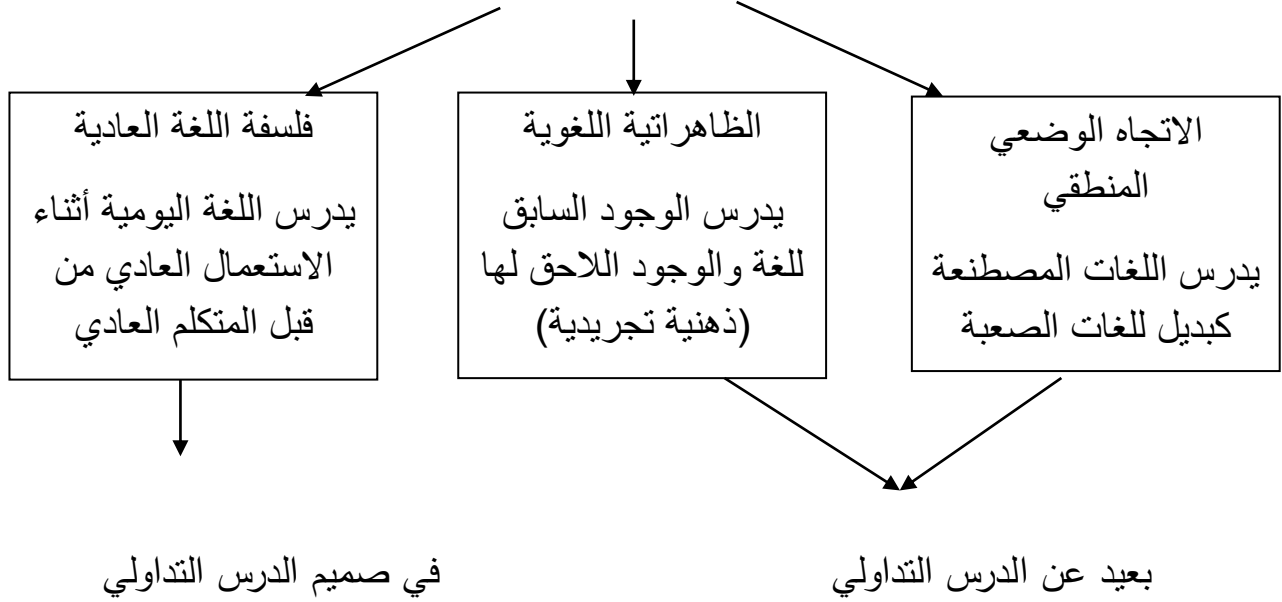
¹ العياشي الإدراوي، الفلسفة التحليلية بين مآزق لغة الكون وأفق لغة الإنسان، ص 89.

² محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص 07.

³ ينظر: يوسف تغزاوي، التداوليات وتقنيات التواصل، ص 14

ويمكن أن نلخص مساهمات الفلسفة التحليلية باتجاهاتها الثلاث في نشأة التداولية في الخطاطة أدناه:¹

الفلسفة التحليلية



2/ الأصول اللسانية للتداولية:

أ/ مساهمات بيرس:

يدين الدرس التداولي في نشأته كذلك إلى بيرس الذي سبقت الإشارة إلى جهوده أثناء الحديث عن الجذور الفلسفية للتداولية، وبمقتضى كونه سيميائياً أيضاً فقد قام بدور أساس في النشأة المفهومية للمقاربة التداولية، حيث: **ارتبطت التداولية عنده بالمنطق ثم بالسيموطيقا²**، وارتبطت كذلك بميدان المعرفة والمنهج العلمي. وظهرت ملامح التداولية الأولى عنده من تصوره لفكرة الدليل اللغوي وأبعاده الثلاثة بعد تأثره بالمثالية الألمانية لدى كانط (kant) في تمييزه بين ما هو براغماتي وما

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 24.

² نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 198.

هو عملي، يقول الجيلاني دلاش في مؤلفه "مدخل إلى اللسانيات التداولية": " لقد كان للعالم السيميائي ش.س بيرس اليد الطولى في المنعطف الذي حصل صوب اللسانيات التداولية"¹.

وهذا ما أشارت إليه خولة طالب الإبراهيمي في كتابها "مبادئ في اللسانيات" وهي توطئ للحديث عن لسانيات الخطاب، تقول: "وحقيقة القول إن إرهافات أولية ظهرت أوائل القرن الماضي، وبداية هذا القرن مع دعوات بيرس الذي عاصر دي سوسير...دعواته إلى تناول الدليل اللغوي في أبعاده الثلاثة حتى وإن كانت في الواقع موجودة مجتمعة في كيان واحد، فإن ضرورة التحليل تقتضي فصلها للدراسة"².

والملاحظ على هذا القول أن الباحثة قد أشارت إلى معاصرة بيرس لفردينان دي سوسير Ferdinand de Saussure (1857-1913)، صاحب النبوءة بميلاد المجال الذي تتحرك داخله التداولية الذي سمّاه السيميائية، يقول سوسير: "اللغة نظام إشاري يعبر عن الأفكار...وبذلك يمكن مقارنته بالنظام الكتابي وبالنظام الأبجائي للصح والبكم، وبالنظام الإشاري العسكري، وبالنظام الإشاري النقشي...، إن العلم الذي يدرس حياة الإشارة في مجتمع من المجتمعات يمكن أن يكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي، ولهذا سوف أدعو هذا العلم سيميولوجيا (Sémiologie)، هذا العلم يستطيع أن يبين بنية الإشارات، ويبين بالتالي الأنظمة والقوانين التي تحكمها، ومادام هذا العلم غير قائم فلا أحد يستطيع أن يعرف ما يعنيه، ولكن على أية حال ، إنه في سعي دائم لتحقيق وجوده، وذلك منذ أن ضربت أوتاده مسبقاً"³.

¹ الجيلاني دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 08.

² خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 158.

³ بيير جيرو، علم الإشارة السيميولوجية، ص 13.

وإذا كانت سيميوطيقا بيرس هي التوأم لسيميولوجيا سوسير إلا أنها تختلف عنها اختلافات جوهرية إلى حد رأى فيه بعض اللسانيين أنه بينما كانت سيميولوجيا سوسير تمثل الموقف المضاد من التداولية، جاءت سيميوطيقا بيرس حبلى بأفكار حملت في ثناياها بذور التداولية، فالسيميوطيقا لا تدرس ما تشير إليه بوصفه علامات فقط في كلامنا اليومي، وإنما تدرس كل شيء يشير إلى شيء آخر، فتأخذ العلامات شكل الكلمات والصور والأصوات والإيماءات، فالسيميولوجيا إذن عند سوسير علم يدرس دور العلامات بوصفها جزءا من الحياة الاجتماعية، بينما هي عند بيرس مبدأ شكلي للعلاقات يتصل بعلم المنطق اتصالا وثيقا.¹

جاء في نص تعريف بيرس للسيميولوجيا قوله: "...إنني من أوائل - بل من المؤسسين في عملية بدء وتوضيح ما أسميه سيميوطيقا، وهي الدستور والقانون للطبيعة الأساسية والتنوعات الرئيسية للسيميوزيس Semiosis الممكنة... وأعني بالسيميوزيس الحدث أو التأثير الذي هو أو الذي يتضمن تعاوننا بين ثلاثة موضوعات مثل العلامة **signe** وموضوعها **object**، وموئلها **interpretant** (المقصود هنا المسؤول غير البشري أو المفسرة)، وهذا التأثير ثلاثي العلاقة لا يمكن أن يوجد بحال من الأحوال في تفاعل بين طرفين فقط"²

وبذلك يتضح أن نظرية العلامة (**representemen**) كانت محط اهتمام بيرس انطلاقا من مفاهيمها الفلسفية، فعدّها أساس النشاط السيميائي، حيث أضحت عنده أوسع من مجالها اللغوي إلى حد أن الإنسان - حسب قوله - علامة حتى حين يفكر فهو علامة³، والعالم لا يتم إدراكه إلا عن طريق التفاعل بين الذات والنشاط السيميائي، وهذا لا يحصل أساسا إلا بوساطة الأدلة (**Signées**)، هذه

¹ ينظر: عيد بليغ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص 95.

² عيد بليغ، المرجع نفسه، ص 96.

³ ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 15.

الأدلة التي تقيم علاقة مع الناس، وتشكل رموزا تمثل الواقع مما يحملهم على السعي والتحرك.¹

وهو يربط فهم اللغة بإطار التواصل، ويقرن المعنى بسياق وظروف الاستعمال. يقول بيرس: "لكي نبلور دلالة فكرة ما، يجب علينا بكل بساطة تحديد العادات التي تولد هذه الأدلة، ذلك أن دلالة شيء ما إنما تتمثل ببساطة في العادات التي تتولد عنها، إن السمة المميزة للعادة إنما تكمن في الكيفية التي تحملنا على العمل، لا في الظروف المحتملة فحسب، بل كذلك في الظروف ممكنة الحصول، بل حتى في تلك التي يتعذر تصورها".²

تقوم نظرية العلامة عند بيرس أو عملية توليد الدلالة (Sémiosis) على أبعاد ثلاثة:³

1. العلامة signe: اللغوية أو غير اللغوية، أو المادة الدالة المكونة من حامل ومحمول (support/ véhicule)
2. الموضوع object: الذي تحيل إليه هذه العلامة، أو المدلول الذي يمثله الدال.
3. المؤول (المفسرة) L'inter prétont: الذي تتم من خلاله إحالة العلامة إلى الموضوع.

إن العلامة هي شيء ما يحتل موقع شيء آخر وهي ذات بعد تواصلية، إذ تشير في فكر المتلقي إلى علامة مرتبطة بها (signe Coneie)، وهذه العلامة المرتبطة بها تتطابق وإياها على درجة تزيد وتقص مع ما يسميه بيرس "المؤول" ولقد استمر هذا التصنيف من نظرية المقولات الترנסدنتالية التي أحدثها كانط.

¹ ينظر: الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 08.

وينظر: نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 182.

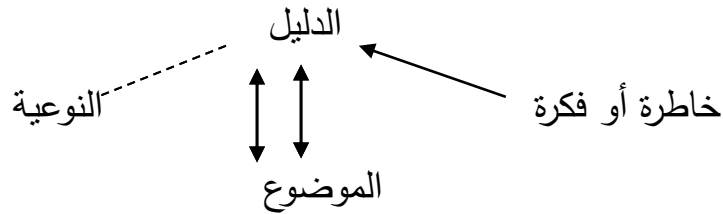
² الجليلي دلاش، المرجع السابق، ص 08

³ ينظر فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، ص 41.

ميز بيرس بين ثنائية التعبير بعدّه نمطا (type) وبين ما يقابله أثناء الاستعمال (الورود to ken)، " أما النمط فهو ظهور العلامة بما هي كيان مجرد مثالي وتقع في اللسان بالمعنى السوسيري للفظ، أما الورود فهو الاستعمال الملموس للنمط في السياق، فالمعنى الحرفي هو من النمط، أما الدلالة في السياق فهي من الورود ويمكن أن يكون الملفوظ حقيقة بما هو نمط، في حين أنه عندما يكون ورودا فإنه يمكن أن يكون كاذبا بالنسبة إلى المرجع"¹

ويمكن توضيح تصور بيرس الدليل اللغوي في خطاطة، تتوفر على ثلاث

علاقات تتحقق بواسطة سيرورة متجانسة تدعى السيميوزيس.²



فالدليل يتوفر على علاقة ثلاثية الأبعاد:

1. يؤول فكرة.

2. هو مجعول من أجل موضوع بعينه وبدل على الشيء نفسه الذي يقوم بتأويله

3. هو موجود على نحو من النوعية التي تضعه في علاقة مع موضوعه.

وهذه الأبعاد المشكلة لكيان الدليل عرفت عند بعض الباحثين "بمقولات بيرس

العامة"³ وإن كانت هذه الأبعاد موجودة في الواقع مجتمعة، فإن ضرورة التحليل

تقتضي فصلها للدراسة فنجد:⁴

¹ فيليب بلانشيه، المرجع السابق، ص42.

² ينظر: نصر الدين وهابي، الأربعون حديثا للشحامي من منظور تداولي، ص20 (الهامش).

³ نصر الدين وهابي، المرجع السابق، ص20.

⁴ خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص159.

1. **البعد التركيبي:** ويتناول الدليل كدال مجرد كامن غير معين وغير مختص، فالأحمر مثلا هو صفة في المطلق ذو دلالات عديدة، فقد يدل على اللون، أو على أمر بالتوقف سواء للمارة أو للسيارات، أو على الغضب، أو الخجل عند احمرار الوجه.....

2. **البعد الوجودي أو الدلالي (المعنوي):** ويقضي بالضرورة وجود العلاقة التركيبية؛ لأنه يربط الدليل بما يحيل إليه.

3. **البعد التداولي:** الذي ينظر إلى الدليل في علاقته بمؤوله وكيف يكون بموجب ذلك قانونا عاما في التبليغ والدلالة.

ولقد صنف بيرس العلامات في مجموعات ثلاث هي:¹

1. **العلامة الرمز:** وترتبط بالمرجع بوساطة عرف ثقافي، وقد أكد دي سوسير اعتباريتها.

2. **العلامة الإشارة:** وهي علامة لا تشتغل إلا في الوجود، طالما أن وجودها يتبع سياقها، مثل الدخان والنار.

3. **العلامة الأيقونة:** وهي علامة تشارك المرجع في عدد من الخصائص التي يتوفر عليها، مثل الرسم، والتصوير.

وبالانتقال إلى تحليل اللغة، نجد أن العلامة الإشارة توافق الواصل أو العنصر الإشاري من قبيل ضمير المتكلم "أنا"، وتوافق العلامة الأيقونة أصوات محاكاة الطبيعة".

إن إضافات بيرس في رؤيته السيميائية تجاوزت- في رأي أغلب الباحثين - رؤية سوسير، فهي لا تقف عند حدود حملها للبذور الأولى للتداولية، بل تأتي مثقلة بفكرة التداولية، أما أهم الخطوط الفاصلة بينهما فتحدد في شيئين:

¹ ينظر فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، ص 42، 43.

1. السيميوزيس: (SEMIOSIS)

2. المفسرة (المؤول غير البشري) (INTERPRETANT)

*السيميوزيس Semiosis: كنا قد أشرنا آنفا إلى نص بيرس الذي يشرح فيه معنى السيميوزيس حين قال: " وأعني بالسيميوزيس الحدث أو التأثير الذي هو، أو الذي يتضمن تعاوناً بين ثلاثة موضوعات مثل: العلامة sign ، وموضوعها

object ومؤلها interpretant¹

وبهذا الحد كان بيرس أول من أدخل مفهوم السيميوزيس في مجال السيمياء، ضمن مفهوم المفسرة أو (النظام الدلالي)، أي إن إنتاج الدلالات يمر عبر مفسرات في سيرورة تشتغل خلالها العلامة، إلا أن العلامة هنا لها دلالات غير منتهية، فالدلالة المحال إليها غير مفسرة هي علامة للمفسرة التالية، وهكذا تستمر هذه السيرورة إلى ما لا نهاية....، ومن ثم تكون النظرة إلى التجربة التأويلية باعتبار لانهائيتها في المطلق الكوني.²

ويمكن فهم هذه السيرورة السيميوزيسية في ضوء فكرة الكناية في البلاغة العربية، فالكناية تشتغل من خلال حلقات استدلالية تحيل كل علامة فيها إلى مفسرة، ثم تصبح تلك المفسرة علامة أخرى تحتاج إلى مفسرة أخرى وهكذا....، ويمكن التمثيل لذلك بالكناية العربية المشهورة في رثاء الخنساء أخيها "رفيع العماد" رفيع العماد علامة تفسر بأن عماد بيت هذا الإنسان رفيع وعال عدا بيوت القوم الآخرين، ثم هذا العلو يصبح علامة تفسر بأن هذا البيت مميز عن باقي بيوت القبيلة وهذا التميز يصبح علامة تفسر بأن صاحب هذا البيت من كبار القوم وسادتهم.³

¹ بيرس (تشارلز ساندرس)، تصنيف العلامات، ص 138 .

² ينظر: عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة ، ص 99.

³ ينظر: عيد بلبع، المرجع السابق، ص 106 (الهامش).

يفرق بيرس بين موضوعين للعلامة: الموضوع المباشر والموضوع الديناميكي، وتتعلق السيرورة السيميوزيسية بالموضوع الديناميكي، ولا تقف عند حد المؤول الديناميكي. ولا يوجد فيما ترجم من أعمال بيرس مفهوم مصطلح السيميوزيس، ولكن يمكن استنتاجه من خلال ما كتب في ذلك، فالعلامة "توجه لشخص ما، بمعنى أنها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة، أو ربما علامة أكثر تطوراً... وربما قصد بيرس بالعلامة المعادلة، أو العلامة الأكثر تطوراً عملية السيرورة التي تتم عبر المفسرات (المؤولات غير البشرية)، والمؤولين (البشريين)".¹

• المفسرة interpretant: إن المفسرة هي الحد الثالث داخل البناء الثلاثي للعلامة في تصور بيرس الذي أولاهما اهتماماً خاصاً يلائم دورها في عملية التأويل، إذ ذهب إلى تقسيم المفسرات إلى ثلاثة أنواع "هناك في المقام الأول المؤول المباشر الذي يكتفي بتقديم المعلومات الأولية الخاصة بموضوع (معنى الواقعة أو العلامة)، وهناك المؤول الديناميكي الذي يخرج بالعلامة من دائرة التعيين البسيط إلى التأويل بمفهومه الشامل فهذا المؤول لا يكتفي بما تقدمه العلامة في مظهرها المباشر، بل يمنح عناصر تأويله من المحيط المباشر وغير المباشر للعلامة، ويرى بيرس أن هذه القوة الهائلة التي يطلق عنانها هذا المؤول يجب أن تتوقف في لحظة ما لكي تستقر الذات المؤولة على دلالة ما، إن هذه الوظيفة التحجيمية يتكفل بها مؤول ثالث يطلق عليه المؤول المنطقي النهائي".²

ولعل ذكر المؤول الديناميكي يذكر بالمدلول (الموضوع) الديناميكي عنده أيضاً، إلا أن الاختلاف بينهما هو توقف المدلول (الموضوع) الديناميكي عند حدود

¹ عيد بليغ، المرجع نفسه، ص 99.

² أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيرية، هامش رقم 05 في تعليقات المترجم، ص 139، 140.

تاريخ العلامة الدلالي والثقافي أو ما يطلق عليه بأنه نبش في ذاكرة العلامة، أما المؤول الديناميكي فهو لانهائي، ومن ثم فالتأويل الديناميكي لا نهائي أيضا.¹ ويؤكد إيكو أن العلامة عبر هذه المفسرات تكون سببا في معرفة شيء آخر، وهذه السلسلة من المعاني المضافة تدل على أن الانتقال من مؤول إلى آخر يكسب العلامة تحديدات أكثر اتساعا سواء كان ذلك على مستوى التقرير أو على مستوى الإيحاء، "إن التأويل باعتبار موقعه داخل السيميوزيس لامتناهية، يقترب أكثر فأكثر من المؤول النهائي المنطقي، فالسيرورة التأويلية تنتهي في مرحلة ما إلى إنتاج معرفة خاصة بمضمون الماثول(العلامة) أرقى من تلك التي شكلت نقطة انطلاق هذه السيرورة".²

من كل ما سبق يمكن القول إن إسهامات بيرس في تبلور المقاربة التداولية ظهرت جليا في تمييزه بين الموضوع المباشر والموضوع الديناميكي الذي يعد-بشكل ما- المدلول، فالموضوع المباشر معطى مع العلامة ذاتها بشكل مباشر، أما الثاني فيحتاج للوصول إليه إلى النبش في ذاكرة العلامة، ومثال ذلك: إذا أخذت كلمة "ورد" فإنني سأكون أمام معرفتين: الأولى هي ما تقوله الكلمة مباشرة من خلال موضوعها(مؤلها) المباشر (نبات جميل، يوجد في الطبيعة ويأخذ ألوانا عديدة نتيجة عوامل طبيعية وعمليات تقوم بها ككائن حي....)، يطلق بيرس على هذه المعرفة الموضوع المباشر، لكن المتكلم يعرف عن "الورد" أشياء كثيرة ويتعلق الأمر بمجمل رموزه المباشرة وغير المباشرة كالحب والوفاء، والغيرة.... إلخ، وهذه المعرفة غير المباشرة هي ما يطلق عليه الموضوع الديناميكي.³

¹ ينظر: عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة ، ص101.

² أمبرتو إيكو، المرجع السابق، ص120/121.

³ أمبرتو إيكو، المرجع السابق، هامش رقم 05 في تعليقات المترجم، ص 139، 140 .

ومنه فالعلامة عند بيرس تأخذ بعدين في علاقتها بالموضوع: البعد الأول هو البعد المباشر، والبعد الثاني متعلق بالتاريخ الدلالي للدال.

إن المتلقي بوصفه مؤولا" ليس كيانا هامدا، ولهذا فإنه يفعل في النص ويلونه بما يحمله من قناعات وأفكار وعواطف، وهكذا فمقابل الباث الذي ينتج رسالة متسلحا بكفاءات لغوية ومصاحبة للغة وإيديولوجية وثقافية ومحددات سيكولوجية ومحاطا بعالم الخطاب، نجد المتلقي المسلح هو أيضا بنفس هذه الكفاءات التي لا تكون متطابقة مع مثيلاتها عند الباث، وهذا التباين الطبيعي هو الذي يجعل المتلقي لا يعيد إنتاج الرسالة التي يتلقاها، وإنما يعمد إلى تأويلها".¹

ويمكن التنبيه هنا إلى أن هذا المفهوم الذي يشمل التداولية متداخل مع المفهوم العام للدلالة - دون أن يدخل في المقارنة بينهما - لأنه يهتم بعناصر توليد الدلالة في صورتها الكلية بعناصرها اللغوية وغير اللغوية، كملابسات الموقف بما يشتمل عليه من أبعاد تداولية، لذلك "فالمعنى الدلالي نقصد به المعنى المعتمد على التفسير الحرفي لمنطوق الجملة، أي تحديد العلاقة بين الدوال ومدلولاتها، والمعنى بشكل مطلق، ونقصد به المعنى معتمدا على العناصر المؤثرة في إنتاجه في الأبعاد اللسانية وغير اللسانية، وضمنه يدخل المعنى التداولي أو المعنى السياقي. فالتداولية تتطرق إلى اللغة بوصفها خطابا تواصليا يركز على أطراف الفعل الكلامي، ومن ثم ينتقل الاهتمام من التمييز بين اللغة والكلام ليصبح في الاهتمام التداولي تمييزا بين الملفوظ الذي يقصد به ما يقال والتلفظ بوصفه فعلا للقول، وبذلك يمكن للتداولية أن تصبح دراسة للعلاقات الأكثر عمومية بين المتلفظ والمخاطب".²

¹ محمد الولي، السيميوطيقا والتواصل، ص 94.

² فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، ص 08.

ومفهوم الدلالة عند بيرس مرتبط بمفهوم السيميوزيس. وهو مفهوم يشير إلى القدرة على إنتاج دلالة ما استنادا إلى روابط صريحة تشكل جوهر العلامة وشرط وجودها. هذا من جهة ومن جهة ثانية يشير إلى سيرورة التأويل التي هي إوالية ضمنية داخل أي سيرورة لإنتاج المعنى، ومنه ارتبطت فكرة التأويل عند بيرس بفكرة إنتاج الدلالة ذاتها، فالسيميوطيقا لا تبحث عن دلالات جاهزة أو معطاة بشكل سابق على الممارسة الإنسانية، بل هي بحث في شروط الإنتاج والتداول والاستهلاك. وتهتم بالمعنى من حيث تحققات متنوعة تكمن مزيتها في التمتع والاستعصاء على الضبط، وليس المعنى المجرد المعطى كاملا جاهزا، وذلك وفق ما تسمح به السيرورة السيميوزيسية التي تتضمن الشروط التي تنتج الآثار المعنوية، فعمليات الشرح والتسنيبات التي تتقلنا من سنن إلى آخر.

وتمفصل المعنى في شكل دلالات يؤكد مفهوم الشيء في ذاته، ومن ثم يؤكد أن المعنى هو المادة التي تشتق منها الدلالات ليس بمعنى وجود المعنى في عقل المؤول، بل وجود المعنى في ذاته، والدلالات هي التي تشتق منه، وهي التي تكونه في آن واحد.¹

وباهتمام بيرس بالعلامة أثبت أن وضع العلامة موجه نحو الفعل ما دامت فكرة صنع الإنسان أشياء لنفسه تعادل الآثار الملموسة والممكنة بواسطة تلك الأشياء التي نخلقها، وبالتالي ألزم الدراسة اللغوية بالمنظور التواصلي والدلائلي الذي تتم به المقاربة التداولية التي تعنى باستعمالات العلامة في السياقات المختلفة.²

ب/ مساهمات موريس:

¹ ينظر: عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص133.

² ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوسنن إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، ص 43.

إن أعمال بيرس السيميائية وجهوده في منظوره للدليل قد شكلت نقطة انطلاق الفيلسوف والسيميائي الأمريكي تشارلز موريس (1901-1938) charles moris الذي أسهم بدوره في تأسيس درس السيميائي إلى جانب بيرس. وتصنف بحوثه وتصورات الواسعة للدليل ضمن البحوث الفلسفية، وتعدّ امتدادا لبحوث علم اللغة السلوكي المهيمنة على اللغة في فترة سابقة، حيث إن بنية اللغة في نظره نظام من السلوك، ذلك أنها تهيي المتلقي إلى ردة فعل ما، بناء على البنية التي يتلقاها، وهو في عمله هذا يحاول اتخاذ منظور يلتحق بمنظور "فريجه" و"رسل" بالإضافة إلى "فتجنشتاين" في كتاباته الأولى، وهو منظور اللغة العلمية. فأسس نظرية العلامات العامة التي تتوحد فيها المقاربات اللسانية والمنطقية والسيكولوجية والبلاغية والأنثروبولوجية أو البيولوجية، فالرغبة في توحيد العلوم الفيزيائية والإنسانية بأن تشملها نظرية عامة للعلامات كانت من بين طموحاته.¹

وبالنسبة إلي " موريس": " فإن الدلائلية تدرس الأشياء عبر الوسائط العلامية التي تعتبر بمثابة أشياء موصوفة (métachose)، فهي تشكل بالاستتباع أداة مفهومية للخطاب الذي يصف العلم (métascience) أي الدراسة التي تدرس العلم باعتباره علامة، ويلتحق بهذا الفهم من الاقتراح الكانطي القاضي بتحليل الموضوع عبر الدلالة".²

أسس موريس السيميوطيقا على أجزاء ثلاثة استمدها من بيرس يتعانق فيها علما الدلالة والنحو بالسيميوطيقا على امتدادات المجالات اللغوية التقليدية الأخرى، إلا أنه عدل لفظ المدلول في الثالوث الدلائلي لبيرس وأعاد مفهومه واضعا له مصطلحا

¹ ينظر: فيليب بلاتشييه، المرجع نفسه، ص43.

وينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، ص25.

وينظر: خليفة بوهادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص46.

² فيليب بلاتشييه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، ص43.

جديدا هو "المسمى" (designatum). والمسمى يظل مختلفا عن المؤول (L'interpretant) أو الشيء المحيل أو الشيء المرجعي (dénotatum)، ولكنه يحيل على أشياء عديدة لا شيء محدد. كما أدخل موريس في تحليله مفهوم درجة توليد الدلالة (dugré de sémiosis)، فإذا لم تقم العلامة إلا بإثارة انتباه المستقبل إلى الشيء المرجع، تكون درجة توليد الدلالة ضعيفة، أما إذا تمثل المستقبل بعض خصائص الشيء فحسب بعد سماعه العلامة، تكون الدرجة وسطى، بينما تكون الدرجة قوية إذا مكنت العلامة المستقبل من تمثل مجموع خصائص الشيء، وهو غائب ماديا. وهكذا فإن المسمى يمكن أن يكون جزئيا في دلالاته، كما يمكن أن يكون مشتملا على كل خصائص مدلوله، أو لا يكتفي إلا بلفت انتباه المتلقي. 1.

إن وجود العلامة في نظر موريس لا يشترط الوجود الملموس للمرجع المشار إليه، ولهذا يكون بمقدورنا الحديث عن أشياء لم يعد لها وجود في عالم الموجودات، وهو ما لا يمنعها من أن تكون موجودة في العالم السيميائي وهو عالم المسمى والعلامة. 2.

إن الوظيفة الثلاثية للدليل عند بيرس، قد أعاد تطويرها موريس بكيفية نظامية؛ لأنها تنظر إلى الدليل من حيث معناه لضيق (الناقلات المادية للسيرورة السيميائية، الأشياء المدلول عليها والمؤولات)، والأدلة يجب تصورها كسيرورات السلوك. فالجسم من حيث هو جسم يفعل في المحيط وينفعل به، علما بأن وظيفة المحيط و أهميته عاملان حاسمان في إرضاء حاجاته. ومن ثم فإن هناك تفاعلا

¹ ينظر: فيليب بلانشه، المرجع نفسه، ص44.

² ينظر: فيليب بلانشه، المرجع نفسه، ص44.

بين هذين العاملين . ويضيف موريس أن الدليل في سيرورته ينتظم من خلال أربعة

عناصر هي:1

- الناقل الذي يقوم مقام الدليل.
- المدلول عليه الذي يحيل الدليل إليه.
- الأثر الحاصل لدى المرسل إليه الذي يبذله وكأنه الدليل أو المؤول.
- المؤول.

إن هذه العناصر الأربعة التي تنتظم بشكل غير تراتبي في بناء السيرورة السيميائية للدليل، وبالتالي توليد الدلالة ووضع العلامات (أي التواصل في الواقع)، تجعل التداولية أحد الأسس التي يقوم عليها علم السيمياء. يقول فرانسوا لاترافارس: "إن مجموع المقترحات والتعريفات والفرضيات التي قدمها موريس في كل المجالات تسعى إلى تمييز هدفين: يتعلق الأول بتعريف هذه المجالات وتحديد عدد الاحتمالات والخصائص التي يمكن أن تكون ممثلة للأفكار الجاهزة ومن ناحية أخرى، دمج المجالات وضمها، ثم تعريف بنيتها بالنسبة إلى مجموع السيمياء. والتداولية تباشر عملها ضمن أسس أجوبة هذين الهدفين".2

وبذلك ترسم علاقة العلامة بأبعادها الثلاثة:3

- **الدلالة Semantics**: علاقة العلامات بما ترمز إليه.
- **التركييب أو النظم: Syntactics (or syntax)**: العلاقات الشكلية أو البنوية بين العلامات والنحو.

¹ ينظر: الجبالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 10،11.

وينظر: بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص185.

² خوسيه ماريا بوثيلو إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، تر: حامد أبو أحمد، ص 232.

³ . Flatraverse.la pragmatique. p74

- **التداولية pragmatics** : علاقة العلامات بالمؤول، "أثناء وصف السيميائيات تفترض اللسانيات التداولية مسبقا كلا من الدراسة التركيبية والدلالية.... لأن المناقشة الحصيفة السديدة لعلاقات الأدلة بمؤولها تستلزم معرفة علاقة الأدلة بعضها ببعض، وكذا علاقة الأدلة بالأشياء التي يحيل عليها المؤولون".¹ وهكذا تتولد التداولية نظريا ومنهجيا حسب موريس: "التداولية [...] هي قسم من الدلائلية يعنى بالصلة القائمة بين العلامات ومستعملها"² وبذلك يكون قد وضع أول وأقدم تعريف للتداولية. وفي الوقت نفسه يفرق بين ثلاثة أنواع من القواعد، وفقا للأبعاد الثلاثة المذكورة وهذه القواعد "تقدم الشروط التي تستخدم في إطارها تعبيرات، من حيث إن تلك الشروط لا يمكن أن تصاغ بمفاهيم القواعد النحوية والدلالية".³ ولكن ذلك لا يعني أن وظيفة التداولية الاهتمام بالأبعاد المعيارية التي قد توحى بها كلمة القواعد، فوظيفتها كانت قد حددت في تعريف موريس الذي أقر دور عمليتي التأويل والتواصل دون وضع تحديد لهذه القواعد المشار إليها.⁴ ويؤكد موريس في نهاية تصوره على البعد السلوكي للدليل، فلا تعدو كونها تضطلع بوظيفة نفسية لدى المتلقي وتدفع على اتخاذ رد فعل معين، إيجابي أو سلبي إزاء حدث ما، أو شيء أو مقام ما، فجملة من مثل:

- "احذر سيارة"، تفرض على المتلقي استجابة، كقطع الطريق بسرعة أو الإحجام عن قطعها أصلا.⁵

¹ الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص.11

² تشارلز موريس، تأسيس نظرية العلامات، ص

³ واورزنيك (ستيسلاف)، مدخل إلى علم لغة النص، تر سعيد بحيري، ص.119

⁴ ينظر: عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص121.

⁵ ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص12.

هذا التصور هياً لعالم النفس بوهلر (1934) الذي تميز بانتقاده ورفضه التحليل اللغوي السوسيري، واهتمامه بوظائف اللغة من وجهة النظر الفردية لا الثقافية، وقد حدّد للعلامة اللغوية أو الدليل ثلاث وظائف كبرى هي: ¹

1. **وظيفة التمثيل (أو العرض Darstellung):** حيث يطابق الدليل المدلول عليه دون زيادة، كما في لغة الرياضيات ولغة المنطق.

2. **وظيفة التعبير (Ausdruck):** وفيها يتجاوز الدليل مجرد الإيصال والتبليغ إلى التأثير في المشاعر، كاللغة الشعرية الغنائية.

3. **وظيفة النداء (أو الوظيفة النزوعية Apell):** التي من خلالها يعبر الدليل عن إنجاز سلوك ما ، كالأوامر والنواهي وسن القوانين التي تتطلب الطاعة أو العصيان. وقد يشكل التعبير والنداء وظيفة مزدوجة، كالكلمات اللطيفة أو لغة الشتائم التي ينفعل المتلقي بها فيرد بالمثل، فالمرسل يقوم بوظيفة التعبير، وتقع وظيفة النداء على المتلقي ويحصل من هذا مبادلة بين المرسل والمستقبل، وفي أثناء ذلك تعرض العلامة اللغوية الأشياء والأوضاع على نحو رمزي.

وبناء على هذه الوظائف الثلاث للغة، حاول بوهلر إقامة لسانيات تهتم بالنشاط اللغوي، وحصر اهتمام اللساني في دراسة الاستعمال البشري الخاص للدليل.

ويجدر بنا التنبيه هنا إلى أن أفكار بيرس - باعتباره فيلسوفاً وسيميائياً - ساعدت غوتلوب فريجه (Gottlob frége) ، وفتجنشتاين ليكون لهما دور في بناء المنهج التداولي، وقد أشرنا في موضع سابق من هذا الفصل إلى تمييز فريجه بين الاسم المحمول واسم العلم، وبين المرجع والمعنى، ثم ميز بعد ذلك بين اللغة العلمية واللغة العادية (لغة التواصل)، وبين الظواهر المحددة للحقيقة والمظاهر غير المحددة، فاللغة العلمية ذات روابط منطقية مستقلة في علاقات التفاعل، ولا

¹ ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، ص66.

يهما ما يساعد على تحديد الحقيقة، بل تسعى إلى أن تكون محافظة على المعنى فقط، واللغة العادية تهتم بإنجازها وظيفتها الأساسية، أي مدى نجاح التواصل، فتخضع لعلاقات التفاعل التي تبحث البلاغة والأسلوبية عن قوانينها وقوانين تلوين الفكر على حد تعبير فريجه.¹

هذه النظرية التي كرس فتجنشتاين () جهوده لتطويرها بعد انضمامه إلى فلاسفة أكسفورد قصد دراسة اللغة الطبيعية، ليؤسس نظرية أخرى عرفت بنظرية ألعاب اللغة، ورفض رفضا قاطعا وواضحا النظرية التصويرية للغة التي كان قد أقرها في مؤلفه "الرسالة" ومن الأفكار التي أنكرها الفكرة القائلة: إن الاسم يعني الشيء والشيء هو معناه. وهذه النظرية التي ينتقدها هي في الحقيقة افتراض عام تبناه أوغسطين مفاده أن معنى أي كلمة هو الشيء الذي تمثله أو تشير إليه²، ويبدأ فتجنشتاين كتابه "الفحوص" بفقرة اقتبسها من كتاب أوغسطين "الاعترافات" يثبت فيها تبني هذا الأخير لهذا التصور يقول: " عندما كان يسمى الأكبر مني سنا - موضوعا ما - ويتجهون وفقا لذلك نحو شيء، فإنني أرى هذا وأفهم أن الشيء تمت تسميته بواسطة الصوت الذي تلفظوا به عندما كانوا يقصدون الإشارة إليه، وكان قصدهم واضحا عن طريق حركاتهم الجسدية، كما لو كانت اللغة الطبيعية لكل البشر هي: تعبير الوجه وحركة العينين، وحركة أجزاء الجسم الأخرى، ونغمة الصوت التي تعبر عن حالاتنا الذهنية في البحث عن الشيء، والحصول عليه، ورفضه أو تجنبه.... وهكذا، بما أنني استمعت إلى الكلمات مرارا وتكرارا وقد تم استعمالها في مواضعها المناسبة في العبارات

¹ ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، ص 28، 29.

وينظر: Eric . Grillo, La philophie du Langages p 42

² ينظر: أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، ص 263.

وينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 117.

المختلفة، فقد تعلمت شيئا فشيئا أن أفهم الموضوعات التي يعنونها وبعد أن دربت فمي على صياغة تلك العلامات، استعملتها للتعبير عن رغباتي".¹

وعقب فتجنشتاين على التصور الذي تقدمه هذه الفقرة عن ماهية اللغة الإنسانية، فاللغة مجموعة من الكلمات المفردة التي تسمى الأشياء، والجملة مجموعة مؤتلفة من هذه الأسماء، فكل كلمة لها معنى، وهذا المعنى مرتبط بالكلمة، إنه الشيء الذي تشير إليه الكلمة، ثم يشير فتجنشتاين إلى قصور هذه النظرة التي تحصر وظيفة اللغة في جانب واحد من جوانبها، وهو تسمية الأشياء، فيقول: " لم يتحدث أوغسطين عن وجود أي فرق بين أنواع الكلمة، ولو أنك تصف تعلم اللغة بهذه الطريقة فإنك -فيما أعتقد- تفكر أول ما تفكر في أسماء من قبيل " منضدة، ومقعد، وخبز، وفي أسماء الناس، وتفكر تفكيراً ثانوياً في أسماء معينة ووصفات محددة".²

ثم اضطر فتجنشتاين إلى إيجاد حيلة جديدة يمحو بها ما ذهب إليه في نظريته التصويرية، فأوجد "ألعاب اللغة games Language" الذي شكل المفهوم المحوري الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنظرية استعمال المعنى. واستعماله لمصطلح اللعبة جاء من إدراكه للتنوع الموجود بين الألعاب الذي يجعل من مفهوم هذا المصطلح مفهوماً مفيداً إلى حد ما للتعبير عن أفكاره الجديدة حول تنوع واختلاف الاستعمالات اللغوية، لكن فيما يرى موندل (Mundle) فإن هذا الاستعمال كان غامضاً وملتبساً إلى حد بعيد، فهو أشار في تقديمه هذا المصطلح أنه سوف يستعمله بطرائق متباينة، ليبدل به على:

أ- أن هذه الألعاب يتعلم الأطفال عن طريقها لغتهم القومية.

¹ صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع السابق، ص118.

² 

ب- اللغة الأولية التي لا يقصد بها لغة أولية فعلية، بل استعمالات خيالية بسيطة للغة.¹

وبالمقارنة بين ما قاله فتجنشتاين في الرسالة حول بنية اللغة وبين تنوع وتعدد ألعاب اللغة، نجده يرفض التقسيم الثلاثي للجملة الذي تبناه المنطقة: تقرير، استفهام، أمر.... إذ يقول: " كم نوعا يوجد من الجملة؟ هل نقول: التقرير والاستفهام والأمر؟ توجد أنواع لا تعد ولا تحصى، أنواع مختلفة لا تحصى من الاستعمال بما تطلق عليه اسم الرموز والكلمات والجمل وهذه الكثرة ليست محددة ولا يتم تقديمها نهائيا وبصورة حاسمة، وإنما جاءت أنماط جديدة من اللغة إلى الوجود، وأصبحت الأنماط الأخرى مهملة وصارت في زوايا النسيان"²، فالذي يخفي الاستعمالات اللغوية الكثيرة المتنوعة ويهملها هو المظهر المتسق الخادع للغتنا، " فنظل غير مدركين للتنوع الضخم في ألعاب اللغة في الحياة اليومية وذلك لأن مظهر لغتنا يجعل كل شيء متشابها"³.

قدم فتجنشتاين قائمة بألعاب اللغة من خلال مجموعة من الأمثلة تعكسها على النحو الآتي:

"- إصدار الأوامر والامتنال لها.

- وصف المظهر الخارجي لشيء، أو تقديم أحجامه.

- بناء الشيء من الوصف (الرسم).

- التقرير عن حادثة.

- التفكير حول حادثة.

- صياغة الفرض واختياره.

¹ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص118، 122.

² صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص123.

³ صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص123.

- تقديم تجربة في لوحات ورسوم بيانية.
 - تأليف قصة وقراءتها.
 - تمثيل.
 - غناء الأغاني.
 - تخمين الأحاجي.
 - تأليف النكات وسردها.
 - الترجمة من لغة إلى أخرى.
 - التساؤل والتفكير والسب والترحيب والتوسل".¹
- كما يشير فتجنشتاين إلى أن النشاط اللغوي لا يختلف في قواعده وقوانينه وتنوعه وتطوره، وإمكاناته المتواصلة عن الحياة الاجتماعية، ويؤكد أن كلا من الألعاب واللغات تستلزم استخدام القواعد، فقدم فلسفته الخاصة، بألعاب اللغة مبنية على مفهومين أساسيين هما: الدلالة والقاعدة. فأما مفهوم الدلالة، فيفيد من خلاله وجوب عدم الخلط بين المعنى المحصل والمعنى المقدر؛ لأن في ذلك خطأ بين الجملة والقول، فالجملة لها معنى مقدر في حين أن القول له معنى محصل، والجملة لا تكتسب معناها الحقيقي إلا من خلال صلاتها بغيرها من الجمل التي تتضمن تحت نظام معين، كما لا يمكن التحقق من هذا المعنى الحقيقي إلا في صلب الممارسة اليومية لألعاب اللغة.
- أما مفهوم القاعدة، فيرى أنه ذو وجوه اجتماعية واستبدالية ونحوية، فوجه القاعدة الاجتماعية يكمن في أنها تواضع واصطلاح، وهذا بدوره يقود إلى أمر هام وهو نفي وجود لغة فردية خاصة، فاللغة تركيبيا اجتماعية ولا حياة لها إلا في إطار الاستعمال الجماعي يقول: "إن كل كلمة تبدو في حد ذاتها كما لو كانت شيئا ميتا وما الذي

¹ صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع السابق، ص124.

يعطيها الحياة، إنها تكون شيئاً حياً أثناء استخدامها، فهل دبت فيها الحياة بهذا الشكل أو أن الاستخدام نفسه هو حياتها؟¹

إن استخدام الأدلة لا يتم اعتباراً بل يخضع لقاعدة "إن إتباع قاعدة ما أو إعطاء معلومة وأمر ولعب الشطرنج كلها ممارسات، أي تقاليد ومؤسسات".²

وكل مستعمل للغة يشارك في اللعبة اللغوية وعليه الامتثال للقواعد الأساسية المصطلح عليها اجتماعياً، دون إهمال القواعد غير الأساسية (القواعد الفردية) هذه الأخيرة التي تشكل مُثلاً تسمح بتتبع النشاط اللغوي؛ لأنها صالحة لعدد كبير من الأحوال والمتكلمين. ودون انفصال عن المفهومين السابقين يأتي مفهوم ألعاب اللغة كأساس لنظرية فتجنشتاين التي تشبه شكلاً من الأشكال الحياة لامتناهية التنوع، فكذاك النشاط اللغوي، حيث إن استخدام جملة ما يتم بطرائق لا حصر لها كالأمر، والوصف، والتمثيل، والشكر، والتحية، والرجاء... الخ.

وتتعد الألعاب اللغوية وتتطور بتطور النشاطات الاجتماعية، حتى إن الأطفال يتعلمون عن طريقها لغتهم الأم وكيفية الاندماج في المجتمع.³

غير أن كثيراً من العلماء وجهوا انتقادات ومآخذ لهذا الفيلسوف أهمها:

أنه غير تداولي بما فيه الكفاية، أو غير حوارى بتعبير سيرل Searle، كما يذهب موندل إلى أن تشبيهه فتجنشتاين قواعد اللغة بقواعد الألعاب أمر مضلل على نحو خطير، وهو أن التشبيه يقوده إلى الحديث كما لو أن قواعد اللغة قواعد قانونية خاصة حينما شابه قواعد اللغة بقواعد الشطرنج بقوله: "إن إتباع القاعدة يكون مماثلاً لإطاعة الأمر"⁴ واللاعب الذي يخالف القواعد لا يلعب اللعبة بالمعنى

¹ أحمد محمد المعنوق، الحصييلة اللغوية، ص 263.

² الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 18، 19.

³ صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 122.

⁴ صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع السابق، ص 130.

الحرفي والمجازي معا للعب اللعبة، وهذا التماثل الذي عقده فتجشتاين بين قواعد اللغة وقواعد الألعاب الذي يبدي قواعد اللغة كقواعد قانونية، وهو رأي رايل الذي يقول: "والتماثل الذي يجيء فتجشتاين ليعقده الآن بين التعبيرات ذات المعاني وبين القطع التي تتم بها ممارسة اللعبة مثل: الشطرنج هو تماثل مرشد إلى حد بعيد."¹

ويظن البعض أن فتجشتاين لو تكلم عن أعراف أو عادات لغوية لكان أفضل من استعماله لمفهوم "القواعد" لأنهم وجدوا أن تعليقاته عن القواعد غامضة إلى حد بعيد، يقول هيث Heath: "إن النظرية Syntactical والدلالية Semantical والاجتماعية Social، وقواعد أخرى تندمج جميعا تحت عنوان "الاستعمال Use"، و يبدو أن فتجشتاين يقلب مضمون هذا العنوان كما يطيب له، بين استعمالات "الاستعمال" تفترض التحول المتقلب للكلام طبقا للمناسبة والسياق و... وصرامة اللغة من حيث هي عرف اجتماعي."²

وفي زاوية مقابلة نجد مؤسسين متناوبين للتداولية هما: "رودولف كارناب" و"يهوسيا بارهيل" اللذين طبعا التداولية بصيغة تجريبية من خلال التمييز بين السيميائية الوصفية والسيميائية المحضة وإعطاء مفهوم التناوب للفعل التواصلية، فلقد "آمن كارناب (Carnap) ، وهو عضو من حلقة فيينا المراحل الأخيرة للانتقال من الدلالية إلى التداولية اللسانية، وقد أثبت الطابع التجريبي الثابت للتداولية مؤكدا أن أي لسانيات هي بالضرورة تداولية ما دامت تحيل على المتكلم، وحتى على مفهوم القاعدة، بما أن كل قاعدة يوجد لها الاستعمال."³

¹ صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص 130.

² صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص 131

³ فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، ص 45.

وقد مهد هذا لظهور نظرية أفعال الكلام لدى أوستن وسييرل، بعد استفادتهما من رؤى كارناب وبارهييل، وبعد مرور عشرين سنة يظهر ستالناكر (Stalnaker) (1972) بتداوليته الشكلية، بعد رفضه لكل الأعمال السابقة التي يصفها بأنها لا تخرج عن إطارين اثنين: فإما أنها ذات طبيعة لا شكلية، وإما ذات طبيعة شكلية، ولكنها اختزالية في الدلالة، فساهم بعد سيرل في تنشيط العمل التداولي، لتدين التداولية بعد ذلك في تطورها لهانسون Hanson سنة (1974) الذي حاول التوحيد النسقي، والربط بين مختلف الأجزاء المتقدمة بطريقة مستقلة نسبياً، وذلك بتمييزه بين ثلاث درجات من التداولية:¹

- تداولية الدرجة الأولى: الإشارات بأنواعها.
- تداولية الدرجة الثانية: التضمن، والاقتضاء، والاستلزام الحواري.
- تداولية الدرجة الثالثة: أو نظرية أفعال الكلام التي وضع أسسها أوستن وطورها بعده سيرل، من خلال التصنيفات التي وضعها حتى أن كثيراً من الباحثين يختزل النظرية التداولية في المفهوم الأوستيني السورلي لأفعال الكلام.

ج/ النظرية السياقية والتداولية:

أشرنا فيما سبق إلى التصورات الفلسفية واللسانية (السيمياء) التي مثلت المرجعية الفكرية والثقافية للسانيات التداولية إلا أن هناك رافداً آخر من روافد التداولية الذي غفل عنه كثير من الباحثين فلم يشيروا إليه وهو المستوى السياقي،

¹ ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، ص 49 إلى 82. وينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانية التداولية، ص 18، 19، 20.

وبعد السياق بعدا جوهريا في التداولية إلى حد أنه دخل معه في تعريفها؛ إذ تدخل فكرة مواقف الكلام (speech Situation) في تحديد الفرق بين الدلالة والتداولية كما أشار إلى ذلك جيفري ليتش (G.Leech) الذي ذكر أن العناصر المكونة لهذه المواقف تتمثل في المرسل والمستقبل، والسياق، والأهداف والمقاصد - قوة فعل- الكلام الملفوظ، ويمكن إضافة عنصر الزمان والمكان، فنتميز التداولية عن الدلالة في كونها تهتم بالمعنى في علاقته بمواقف الكلام

"Meaning in relation to speech situation"¹

ويؤكد فير ستشيرن verschueren (1999) هذه النظرية بقوله: "إن واحدة من التحديدات التقليدية المقبولة بصورة واسعة بين التداولية والدلالية هي قولنا: إن الأخيرة تتعامل مع المعنى المستقل عن السياق، بينما تبحث الأولى المعنى في السياق، فإن التوظيف ذا المعنى للغة بعد صياغته برؤيتنا للتداولية لا يقتصر على (معنى داخل السياق)، الذي يمكن إضافته ببساطة على مستوى آخر من المعنى يدرس بصورة متكافئة في الدلالية".²

يتكون مصطلح السياق context من السابقة اللاتينية "cun" بمعنى "مع" و "Textus" اللاتينية أيضا التي تعني النص أو المتن، ويشير عبد الفتاح البركاوي إلى أن مصطلح السياق context قد " اتخذ عدة معان هي: ما يحيط بالوحدة اللغوية المستعملة في النص، كما يعني قيود التوارد المعجمي، كما يعني النص اللغوي الذي يتسم بسعة نسبية ويؤدي معنى متكاملًا سواء أكان ذلك النص مكتوبا أم ملفوظا، كما يعني أيضا الأحوال والمواقف الخارجية ذات العلاقة بالكلام".³

¹ ينظر: G. Leech. The principles of Pragmatics, p15

² Jef. Verschueren: Understanding pragmatics, p3

³ عبد الفتاح البركاوي، دلالة السياق، ص45.

بدأت النظرية السياقية في الحقل المعرفي الغربي على يد العالم مالمينوفسكي 1923 Malinowski، الذي لم يكن لغويا في الأصل لكنه اهتم بتفسير اللغة وقدم بعض الأشياء المميزة جدا عن القول في اللغة لقد كان عالم أنثروبولوجيا يعنى بشرح الثقافة، ولكنه في مجرى عمله اهتم اهتماما عميقا باللغة من حيث إنها موضوع دراسة في حد ذاتها، فوضع تصنيفا للوظائف اللغوية مرتبطا بعمله عن الموقف والمعنى، وجعل هذه الوظائف في مقولتين اثنتين واسعتين هما: الوظيفة التداولية pragmatic function، والوظيفة السحرية function magical، وعني بالاستعمالات العملية أو التداولية للغة التي فرعها بعد ذلك إلى الاستعمالات الفاعلة active، والاستعمالات السردية narrative، ومن ناحية أخرى عني بما للغة من استعمالات طقوسية ritual، أو سحرية Magical uses، وهي الاستعمالات المرتبطة بالأنشطة الاحتفالية الرسمية cermonial activities، أو الدينية في ثقافة بعينها.¹

ثم اعتمد فيرث firth على مقولات مالمينوفسكي وطور نظرية السياق، حتى أصبح المستوى السياقي عند علماء اللغة بعد فيرث يتجاوز المستوى الدلالي إلى التوافق مع التداولية.

أدرك فيرث أن اهتمام مالمينوفسكي باللغة كان عارضا بوصفه عالم أنثروبولوجيا، ففكرة سياق الموقف عنده لم تكن مقنعة لمقاربة لغوية أكثر دقة في تناول حل مشكلة المعنى، فهو يرى أن سياق الموقف عنده لم يكن إلا جزءا من العملية الاجتماعية كحدث من الأحداث الواردة في المجتمع، فذهب فيرث إلى أن سياق الموقف جزء من أدوات العالم اللغوي مثله مثل الفصائل النحوية التي يستخدمها لتحديد المعنى الذي لا يمكن الوقوف عليه إذا اقتصرنا على المعاني الحرفية

¹ ينظر: محمد العبد، العبارة والإشارة، ص33.

للتراكيب النحوية، فلا يمكننا أبداً أن نحيط بالمعنى كله، بل نطوف وننتقل فقط لكي نصنع تقارير جزئية للمعنى، ومعنى الكلمات والجمل يتعلق بعالم خبرتنا، فكان هذا من أظهر نقاط التلاقي بين نظرية السياق والتداولية.¹

إن اللغة عند مالمينوفسكي وفيرث لا يمكن أن يكتمل وصفها دون الإشارة إلى سياق الموقف الذي فيه تعمل اللغة، فمعنى عناصر اللغة يخضع كلياً لسياقات الموقف الذي استعملت فيه، وإن العناصر السياقية جميعها تمثل في الوقت نفسه عناصر تداولية، يدخل بها السياق بأبعاده المختلفة ضمن المكونات التداولية للمعنى، مما دفع الباحثين إلى القول - في تعريفهم التداولية بأنها " علم الاستعمال اللساني ضمن السياق، وبتوسع أكثر هي استعمال العلامات ضمن السياق".²

بل ذهب بعض المحدثين كماكس بلاك Max Blak إلى درجة أكثر، وهي درجة التطابق بين التداولية والسياقية، فأطلق على التداولية مصطلح "السياقية"، وهي رؤية موسعة تشمل الأبعاد السياقية والعناصر والملابسات المختلفة المتعلقة بالسياق في شتى مستوياته، فبموجب هذه النظرة يصبح كل عنصر سياقي عنصراً تداولياً وفي الوقت نفسه يكون كل عنصر تداولي عنصراً سياقياً، ووفقها تدخل "المستويات السياقية جميعها ضمن الأبعاد التداولية، فهناك السياق اللغوي أو سياق النص بما يشتمل عليه من المستوى الصوتي والصرفي والمعجمي والنحوي".³

فالتداولية إذن نظرة سياقية تأخذ في الاعتبار العناصر السياقية والملابسات المختلفة أثناء عملية تحليل الخطاب، فتتلاقى مع الأبعاد السياقية الخارجية، أو ما أطلق عليه "سياق الموقف"، كما يوضح ذلك جيف فيرستشيرن (1999) بقوله: " يجب عليك فقط

¹ ينظر: عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص132، 198، 199.

² فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، ص 11.

³ F.R. palmer: semantics.p 51.52

أن تتخيل الحاجة لفصل المعنى السياقي والمعنى غير السياقي في جملة: (أنا متعب)، فتجد أن هذا من المستحيل، من ناحية علاوة على ذلك فإن محاولة الفصل هذه تنتهك نظرتنا التداولية، وتعيد إدخالها في مجموعة المكونات التقليدية لنظرية اللغة، والأكثر أهمية أن هذه الخطوة سوف تتجاهل حقيقة أن التداولية تتعامل مع نوع مختلف من المعنى الذي يسمح لنا على سبيل المثال أن نتحدث عن مغزى الاختيارات بين الأنظمة الصوتية، فالمعنى في السياق ينتمي بلا شك إلى هذا النوع من المعنى، ولكنه لا يستأثر به ولا يحول المعنى بالضرورة إلى الفكرة الدينامية التي يجب أن تساعدنا في فهم ما يحدث في استعمال اللغة، وغالبا توخذ معالجات التداولية على أنها دراسة المعنى في السياق، فبينما تسمح بتنوع معاني الصيغ اللغوية تصنف السياق ببساطة على أنه مقياس للاستقرار عند مستوى مختلف" ¹ فتجده يربط التداولية وسياق الموقف على وجه التحديد.

3/ المغالطة الوصفية ونظرية أفعال اللغة:

وإذا كانت العلاقة بين النظرية السياقية والتداولية أكيدة عند أغلب الباحثين، فإن نظرية أفعال الكلام لديهم هي لب النظرية التداولية بما وفرته من مفاهيم وإجراءات ساهمت في توسيع دائرة المنهج التداولي، فهي كسائر النظريات التي بحثت العلاقة بين اللغة والمجتمع. وقد نشأت فكرة "أفعال الكلام" أو "أفعال اللغة" من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة- المجال الذي نشأت فيه التداولية وتطورت- وهو أن " الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه". ²

¹ Jef. Verschueren: Understanding pragmatics, p3,4

² فان دايك، علم النص، ص 18.

غير أن الظن الذي يعد نظرية أفعال الكلام حلقة من حلقات التداولية أو مرحلة من مراحلها شكل خطأ وقع فيه أغلب الباحثين في تاريخ نشأة التداولية، كما يذهب إلى ذلك هنريش بليت؛ لأن البحث في نظرية أفعال الكلام جاء متزامنا مع البحث التداولي، والباحث في مرحلة التنظير للتداولية يجد أن جون سيرل الذي يعتبر أحد أهم منظري أفعال الكلام هو في الوقت نفسه أحد أهم منظري التداولية، وقد لفت غير واحد من المهتمين بالبحث في التداولية إلى العلاقة الوثيقة بين التداولية ونظرية أفعال الكلام ورأوا أن التداولية نسق من أفعال الكلام،¹ وأكد كل من لفسون Levinson، وجون فرنسوا ليوتار jean francois lyotard هذا الرأي عند معالجتهم البعد التداولي، فأشار إلى العلاقة الوثيقة بين نظرية أفعال الكلام ومقولات فتجنشتاين المؤكدة لأثر الاستعمال في المعنى، وذلك في قوله: " المعنى هو الاستعمال **Meaning is use**"، حيث تركز البحث عنده على البحث الدلالي والتركيبي للغة حال استعمالها للوصول إلى حل المشكلات الفلسفية".²

ويشير جون سيرل إلى أن مصطلح أفعال الكلام speech acts كان مستعملا من قبل لغويين بنائين أمثال بلومفيلد Bloomfield في العقد الثالث من القرن العشرين، غير أن معناه الحديث من إبداع جون أوستن الذي أضفى عليه مفهوما خاصا فارتبطت به نظرية أفعال الكلام.³

¹ ينظر: عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص 229.

² ينظر: محمود أحمد نحلة، نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، مجلة دراسات لغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، م 1، ع 1، محرم ربيع 1420هـ / أبريل يونيو 1999م، ص 108، 109.

وينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 14، 29.

³ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع السابق، ص 183.

وقد ربط أكثر من واحد من اللسانيين بين التداولية ونظرية أفعال الكلام بوصفهما مجالين مترامين، كما فعل فان دايك حين شرح الفعل التواصل، يقول: "الفكرة الأساسية في التداولية هي أننا عندما نكون في حال التكلم في بعض السياقات، فنحن نقوم أيضا بإنجاز بعض الأفعال المجتمعية وأغراضنا ومقاصدنا من هذه الأفعال، كما هو الحال في إخراج مقاصد أفعال المشاركين والتكلم، إنما تتأسس من ناحية أخرى على مجموعة المعلومات ومن ضروب المعرفة والاعتقادات أخص خواص السياقات التواصلية هي أن هذه المجموعات تختلف بالنسبة إلى المتكلم والمخاطب وإن كانت تتفق في بعض النواحي، وتتغير صورة معرفة المخاطب أثناء التواصل تبعا لأغراض المتكلم تغيرا ملحوظا وفي معنى مبتذل، فنحن عندما نعد أو ننصح إنما نريد أن يعلم المخاطب أننا نقدم له وعدا ونسدي له نصحا، وهذا العلم أو المعرفة هي ثمرة إخراج وتأويل صحيح لقوة فعل الكلام، وفي ذات الوقت فنحن نريد أن يعلم المخاطب(ما) يحكم به أو ما يكون محكوما به وموجودا ومنصوحا به، أعني [...] ما ينبغي أن نفعل أو سنفعل في بعض العوامل الممكنة، وفي حال تلفظي بالجملة "جون هو مريض"، فإني أعبر عن مضمون تصور القضية، في حال قيامي بذلك أنجز فعلا ذا حالة مرجعية إن أنا قد أشرت إلى أن جون هو الآن مريض.... إن هذه الأفعال المعقدة تتصف إلى حد ما بصفة مجتمعية، كأن أقصد إلى أن أبين بأني حاصل على هذه المعرفة المخصوصة بصدد هذا الحدث المعلوم، وطالما حدث لهذا المخاطب- الملاحظ أيضا هذه المعرفة- فقد يكون هناك شيء أكثر من ذلك البيان الذي أخبر به، ولا شيء يتغير وراء ما فهمه المخاطب من كوني حاصل على بعض تلك المعرفة، وإذا ما حصل غرض في تغيير معرفة مخاطبي نتيجة لتأويل فعلي السيميانتطقي "معنى وإحالة" مما عبرت به عن معرفتي وحالتي النفسية الداخلية، حتى إذا تحقق هذا

الغرض أنجزت فعلا تواصليا ناجحا أستطيع بفضله أن أضيف شيئا لمعرفة مخاطبي مما تتضمنه قضية ما من معلومات".¹

والى الفكرة نفسها أشار جيف فرستشيرن Jef. Verchueren في كتابه Understanding pragmatics حين ناقش الفرق بين التفسير الحرفي للكلام والتفسير التداولي، فوضع أفعال الكلام مكونا أساسيا من مكونات التداولية،² كما نبه ليتش إلى أنه يجب ألا نغفل أن التأصيل لفكرة التداولية كان من قبل فلاسفة اللغة، وأن التأثير الأكثر بقاء في التداولية الحديثة وجد بواسطة هؤلاء الفلاسفة: أوستن (1962) سيرل (1969) غرايس (1975) وهم أنفسهم الذين نظروا لأفعال الكلام، فارتبطت نظرية أفعال الكلام بالتداولية، كما ارتبط اسم أوستن وسيرل وغرايس بنظرية أفعال الكلام وارتبطت بهم. وتصرح فرانسواز أرمينكو أنه على الرغم من تأثير نظرية الأعمال اللغوية في إثراء النظرية التداولية "تشاء سخرية التاريخ ألا يستعمل أوستن وسيرل تسمية التداولية".³

ويقول محمد محمد يونس عن الدور الهام الذي أداه هؤلاء الثلاثة في فلسفة اللغة وفي اللسانيات التداولية: "ولعل أهم ما ينبغي أن يذكر في سياق الحديث عن البراغماتية الدور الهام والمؤثر الذي قام به فلاسفة اللغة في تطوير هذا المجال ومن المهيمنين هنا إضافة إلى بول غرايس P. Grice.... أوستن Austin وسيرل Searle اللذين قدما للسانيات نظريتهما المعروفة بأحداث الكلام".⁴

¹ فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر عبد القادر قنيني، ص 292.

² ينظر: Jef. Vershueren: Understanding pragmatics, p22

³ فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، ص 60.

⁴ محمد محمد يونس، أصول المدارس اللسانية الحديثة، ص 166.

ويعدم هذا الرأي كلام آخر جاء في كتاب introduction Linguistique contemporaine " إن التداولية منهج شهد تطوره الواسع لما انتهى إلى نظرية أفعال اللغة، وهي تشكل المسار التاريخي الذي تمثل هذه النظرية حلقة الأخيرة، ويعود فضل تطويرها إلى سيرل الذي اتبع خطى أوستين الذي أسس لوجودها".¹

وهو الرأي الذي نميل إليه ونفضله استنادا إلى ما صادفنا من آراء، ولعل الأهم في سياق بحثنا هذا أن التداولية ونظرية الأفعال الكلامية، وباهتمامهما بالمعنى وحال التكلم في السياق، والقصد الإبلاغي للمتكلم، ظهر مبدأ هام هو "القصدية أو المقصدية".

حاول أوستن في هذه النظرية الكشف عن الاستعمالات المختلفة للمنطوقات اللغوية أو الجمل، حيث عدت هذه المحاولة ردا رئيسا ومباشرا على ما سمي بالمغالطة الوصفية (descriptive fallacy) فجسدت موقفا مضادا للاتجاه السائد بين فلاسفة المنطق الوضعي في طرحهم الفلسفي القائل "إن قول شيء ما هو دوما إثبات شيء ما، أي إن دور اللغة يقتصر على الإخبار عن العالم والقضايا النافعة هي التي تقبل الصدق أو الكذب، وما عداها ليس سوى أحكام خالية من المعنى"²

فبعد تمييز المناطق الوضعية لوظيفتين رئيسيتين للغة، إحداها الوظيفة المعرفية Cognitive، التي تعني استخدام اللغة كأداة رمزية تشير إلى الوقائع الموجودة في العالم الخارجي، فيكون عمل اللغة بذلك تصوير هذه الوقائع بعبارات تجريبية، والوظيفة الثانية: الوظيفة الانفعالية emotive التي يستعملها الإنسان لإخراج انفعالاته ومكوناته، كالعبارات التي تتناول مسائل الأخلاق والميتافيزيقا، أقول بعد

¹ Jacques Moexhler et Antoine Auchlin , introduction à La L'inguistique contempaine, 1

p 135

² عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، ص 99.

هذا التمييز أصروا على أن العبارات التجريبية أو الإخبارية هي فقط نوات المعنى، بالإضافة إلى قضايا المنطق وحذفوا ما عداها من عبارات؛ لأنها لا تطابق الوقائع في العالم الخارجي كعبارات الميتافيزيقا والأخلاق والجمال.... فظهر الافتراض القائل: إن مهمة العبارة هي وصف أو تصوير حالة من حالات الوجود الخارجي أو تقرير لواقعة من وقائعه، أي إن اللغة وسيلة لوصف الوقائع الخارجية بعبارات إخبارية، ثم الحكم عليها بالصدق إن طابقت الواقع، وبالكذب إن لم تطابقه. فكل عبارة لا تطابق الواقع لا معنى لها؛ لأنه لا يمكن الحكم عليها صدقا أو كذبا.

وانتقادا لذلك تساءل أوستن: ما الذي يمكن أن نفعله لكل تلك الأنواع من العبارات التي لا تصف العالم الخارجي، وليس لها علاقة بالصدق والكذب؟ من الجمل الطلبية (كالأمر والنهي) inperative، والجمل الاستفهامية interrogative وغيرها مما لا يتحقق في الواقع الخارجي هي جمل خالية من المعنى؟¹ أجاب أوستن عن هذه التساؤلات في محاضراته التي ألقاها سنتي 1952 و1954 في أكسفورد، ودعا لإلقائها في هارفارد سنة 1955 و نشرت عقب وفاته في كتاب بعنوان

"How to do thing with words? كيف ننجز الأشياء بالكلمات 1962"

فكثف عن أن الأقوال اللغوية تعكس أنماطا ونشاطات اجتماعية أكثر من كونها مجرد أقوال تخضع للصدق أو الكذب، ورفض أن تكون وظيفة اللغة مقتصرة على وصف وقائع العالم وصفا صادقا أو كاذبا، وأطلق على هذه الفرضية اسم المغالطة الوصفية أو الإيهام الوصفي، فكثير من الجمل غير الاستفهامية أو التعجبية أو الأمرية لا تصف شيئا في الواقع الخارجي ولا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، بل إنها تغير الواقع أو تسعى إلى تغييره، والناطق بها لا ينشئ قولاً، بل يؤدي فعلاً

¹ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص135/136.

فهي أفعال الكلام¹، فجملة "أمرك بالصمت" أو "أنت طالق" لا تصف واقعا، بل تفيد الانتقال من حال إلى آخر مغاير له في هذا الواقع، فالجملة الأولى هي انتقال من حالة الضجيج والفوضى إلى حالة السكون والهدوء، وجملة الطلاق هي انتقال من حالة إحلال المرأة إلى حالة تحريمها على الناطق بلفظ الطلاق.

ميز أوستن في البداية بين نوعين من الأقوال:²

1. أقوال إخبارية أو تقريرية (المنطوقات التقريرية constative utterances)

أو هي التي تصف العالم الخارجي ويحكم عليها بالصدق أو بالكذب.

2. أقوال إنجائية أو أدائية (المنطوقات الأدائية performative utterances)

(: تؤدي بها - في ظروف ملائمة- أفعال ويحكم عليها بالتوفيق أو الإخفاق

عوض الصدق أو الكذب كالاعتذار، والوصية، والوعد.....

فوظيفة النوع الثاني من المنطوقات ليس تقرير أو تصوير العالم الخارجي، ولا يمكن الزعم أنها خالية من المعنى، بل هي ذوات معنى غير أنها: " لا تصف أي شيء على الإطلاق أو تقرره أو تثبته، وليست منطوقات صادقة أو كاذبة، يعتبر النطق بالجملة أداء لفعل أو جزءا من أدائه، ومن ناحية ثانية لا يوصف بصورة عادية على أنه قول شيء ما".³

فهذه المنطوقات " تحض على فعل أو تنهى عنه، أو ترد أوصافا لأحداث

وميزتها هو أن تلفظها إنما ينجز الحدث الذي تصفه".⁴

¹ ينظر: آن رويول و جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 99، 30، 31.

وينظر: عبد الرحمن بودع، قضايا البحث التداولي، ص 02.

² ينظر: ج. أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ص 13.

³ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 138

⁴ ج. سورل، من سوسير إلى فلسفة اللغة (مقال)، ص 95. **أكمل معلومات المجلة**

وبمجرد نطق هذه الأقوال تنجز أعمال على أن تتوفر شروط نجاح معينة، فهي لا تصف أعمالاً، فهي في حد ذاتها أعمال، فبقولي "أعد" أنجز الوعد، و"أوصي" أكون قد أصدرت وصية، وانطلاقاً من هذا أثبت سيرل فكرة مفادها أن عنصر التواصل الإنساني الأساس ليس مقطعا داخليا في اللغة (مثل الكلمة)، وإنما هو عمل القول أو إنشاء القول " فاستعمال لسان يعني تبني شكلا من السلوك تسييره قواعد... واستعمال اللسان يعني تحقيقا لأعمال لغوية... وإن وحدة التواصل اللسانية ليست - كما تفترض ذلك عموماً - الرمز أو الكلمة أو الجملة ولكنها إنتاج الرمز أو الكلمة أو الجملة، أو بثها أثناء تحقق العمل اللغوي".¹

توصل أوستن إلى نظرية المنطوقات الأدائية عبر مراحل شكلت أساس كتابه "كيف نصنع الأشياء بالكلمات"، حيث تمت صياغتها سنة 1939، ووضعت استعمالاتها في مقال "العقول الأخرى" الذي نشر في مجلة محاضرة الجمعية الأرسطية، المجلد XX سنة 1946، حيث فرق تقريبا واضحا بين المنطوق التقريري، والمنطوق الأدائي. فمنطوق العبارات الواضحة المتعلقة بالشعائر . مثلا في ظروف ملائمة ليس وصفا للفعل الذي يقوم بإنجازه، بل أداء له، فالمنطوق "أنا أهب" فلا أقول "إنني أهب، أي إنني لا أقول قولاً، وإنما أنا أهب بالفعل".²

ثم أعلن أوستن عن الفكرة في وضوح أكثر في مقاله "الصدق" سنة 1950 حين ناقش صدق العبارة وكذبها، ليشرحها بعد ذلك بشيء من الإسهاب في مقاله "الأدائي - التقريري performatif- constatif"، ثم عالجهما ويسط فيها القول في

¹ جون. سيرل، الأعمال اللغوية، ص 52،53، نقلا عن: فيليب بلانشيه، ص55

² ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص،139،140

مقال "المنطوقات الأدائية، وعاد وفحصها فحصا كاملا في كتابه "كيف نصنع الأشياء بالكلمات"¹.

وتتفرد الأقوال الأدائية (أو الإنجازية) حسب أوستن بخصائص تميزها عن الأقوال الإخبارية، فهي غالبا ما تكون فعلا مبنيا للمعلوم مسندا إلى ضمير المتكلم كمعيار نحوي، فيتضمن فعلا من قبيل "أمر" "وعد" "أقسم" مما يفيد معناه إنجاز عمل، غير أنه تراجع عن هذا التمييز لعدم دقته، فالأقوال التقريرية (الوصفية) غالبا ما تعمل على إنجاز فعل الإخبار، كما أن الفعل الإنشائي قد يكون مبنيا للمجهول مثل: "يطلب منك المساعدة" التي تعادل الصيغة التالية: "أطلب منك المساعدة" أو قد يرد في صيغة الأمر الذي غرضه الترحي أو التوسل مثلا: "ساعدني" التي تعادل بدورها صيغة "أرجوك ساعدني"، وعلى العكس من ذلك، فإن قولاً غير إنشائي مثل: "أنمو" لا يتمثل في القيام بفعل النمو، بل في وصفه، وهو يتوفر على الشكل النحوي نفسه الذي نجده في الفعل الإنشائي المطروح من قبل أوستن، زيادة على ذلك، فإن إتباع الصيغة التي يتم تحويل الفعل بوساطتها من غير إنشائي إلى إنشائي بتوخي البنية التالية: فعل مسند إلى ضمير المتكلم المفرد + أن المصدرية (أو المصدر) (أو كما في الأصل الفرنسي je+ verbe+que/de) غير ناجحة دائما، إذ هناك صيغ لا يتم تحويلها بهذه الصيغة إلا إذا أجرينا تعديلا دلاليا مثل: يا أبله تحول إلى: "أسبك يا أبله"، إذ توجب تغيير الفعل كما أن صيغة الأمر بالنسبة لأوستن هي قول إنشائي في حين أن الأمر قد يخرج إلى أغراض أخرى تستفاد من السياق كالنصح، والإرشاد، والتهديد، والالتماس، وهذا ما جعله يعدل عن التعويل على المعايير النحوية؛ لأنها غير كافية، ليعتمد على معايير دلالية.²

¹ ينظر: إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص 140

² ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من غوفمان إلى أوستن، تر صابر الحباشة، ص 56.

إن هذا الأمر سمح لأوستن بمواصلة تحليله فقد ميز بعد ذلك بين الإنشائيات الأولية والإنشائيات الصريحة المباشرة، فالإنشائيات الأولية (عبارات الأمر مثلا) أصناف أخرى من العبارات يمكن أن تكون إنشائية في معناها المضمرة دون أن يبدو أنها كذلك نحو: السيارة خلفك، يمكن أن تشكل تحذيرا يتلفظ به كالاتي: أحذرك من اصطدامك بالسيارة.

فهذا الإنشاء الأولي ليس وصفا لعمل تام، ولكنه تجلّ لقصد تداولي لدى المرسل، فلا ينسحب عليه معيار الصدق والكذب، ويشكل قيمة القول (Valeur D'anomciation)، لا معنى قول ما (Le sens d'un énoncé) ، أما الإنشائيات الصريحة نحو: أطلب منك الخروج وهو ضرب يختص بقول العمل اللغوي الذي أراده المتكلم بدقة، فهو يقول ويفعل في الوقت ذاته الذي يتم فيه القول بالفعل.¹

إن الوظيفة الأساسية للأفعال الإنجازية (أو المنطوقات الأدائية) ليست التطابق مع الواقع، فلا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، غير أنها لا تؤدي وظيفتها بشكل صحيح في جميع الحالات، فيخفق المنطوق في أداء وظيفته بطريقة أو بأخرى، أي يكون غير ملائم. وأطلق أوستن على الأسباب التي تجعل عمل المنطوق غير ملائم اسم "المخالفات" (infelicities) ، كما ترجمها صلاح إسماعيل عبد الحق، أو شروط الملاءمة كما ترجمها كثير من الباحثين العرب (محمود أحمد نحلة مثلا في كتابه آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر)² . يقول سيرل معبرا عن تأثره بهذه

¹ ينظر: فيليب بلانشيه، المرجع نفسه، ص57.

² ينظر: إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص142

الفكرة: " إن فكرتي عن الخلل defect في الفعل الغرضي متصلة اتصالاً غير منفصم العرى بفكرة أوستن عن المخالفة".¹

وهذه الشروط هي: ²

1. وجود إجراء عرفي مقبول (conventional procedure) وله أثر عرضي معين، وأن يتضمن الإجراء نطق كلمات محددة يتلفظ بها أشخاص معينون في ظروف معينة، كالزواج أو الطلاق مثلاً....
2. أن يكون الأشخاص معينين متلائمين مع الظروف في حالة معينة لأجل تنفيذ هذا الإجراء.
3. أن يكون الأشخاص مؤهلين لتنفيذ الإجراء.
4. أن يكون التنفيذ تنفيذاً صحيحاً.
5. أن يكون التنفيذ تنفيذاً كاملاً.
6. يجب على الأشخاص المشاركين في تنفيذ الإجراء أن يكون لديهم أفكار ومشاعر ونوايا معينة، وعليهم العناية بتوجيه أنفسهم.
7. على المشاركين في الإجراء توجيه أنفسهم في الواقع فيما بعد.

والشرطان الأخيران هما شرطان قياسيان أضافهما غرايبس ليسا لازمين لأداء الفعل، بل لأدائه أداءً موفقاً وغير معيب، ويقصد بهما أن يكون المشارك في الإجراء صادقاً في أفكاره وفي مشاعره وفي نواياه، وأن يلتزم بما يلزم نفسه به. وغياب الصدق في

¹ ينظر: إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص 142

² ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 44.

ينظر: إسماعيل عبد الحق، المرجع السابق، ص 135

إنجاز فعل ما يؤدي إلى سوء استخدام فعل الكلام، كقولك " أعدك، وفي نيتك إخلاف وعدك"¹

يقول أوستن: " عندما أقول " إنني أعد وليس عندي نية الوفاء بالوعد، فإنني قد وعدت ولكن...."².

غير أن أوستن ما لبث أن رفض هذا التصنيف بعد أن فحص نظرية المنطوقات الأدائية فحصا دقيقا من خلال محاولته التمييز الدقيق بينها وبين المنطوقات التقديرية، بوضع عدة معايير ووسائل لغوية توضح الفعل الأدائي (معيار الصيغة، ونغمة الصوت، والظروف والعبارات الظرفية، وأدوات الربط، ولواحق المنطوق، وظروف التلفظ بالمنطوق....) حيث تبين له أن هذا التمييز ليس صارما وقاطعا كما كان يعتقد في البداية، فبحث بذلك عن بديل لنظريته، فعاد للإجابة عن السؤال الأساسي: كيف ننجز فعلا حين ننطق قولاً؟

4/ نظرية أفعال الكلام:

لم يكن أوستن أول مستعمل لمصطلح فعل الكلام speech act، بل كان المصطلح مستعملا من قبل لغويين بنائيين، أمثال بلومفيلد Bloomfield، في العقد الثالث من القرن العشرين³، غير أن معناه الحديث من إبداع أوستن، فكل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل له ثلاثة أوجه أو ثلاثة أبعاد لا يستطيع المتكلم أن يؤديها واحدا وراء الآخر، بل هي جوانب مختلفة لفعل كلامي

¹ ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص45.

² j.Autin, how to do things with words, p14,15

³ Magee, B.Men of idess, p192,193

واحد، ولا يفصل أحدها على الآخر إلا لغرض الدراسة فحسب، وتتمثل هذه الأفعال حسب أوستن في:¹

1. **فعل التلفظ (فعل القول، الفعل التعبيري): (Locutionary act):** وهو

الأصوات التي يتلفظ بها المتكلم في بناء نحوي ذي دلالة، أو هو "فعل إنتاج

أصوات وتركيب كلمات في بناء يلتزم بقواعد اللغة ويحمل دلالة معينة".²

وينقسم هذا الفعل بدوره إلى مستويات ثلاثة هي مستويات الدرس اللغوي المعروفة، ويسمى أوستن أفعالاً فرعية لفعل التلفظ وهي:

أ- **الفعل الصوتي a phonetic act:** ويتمثل في إنتاج أصوات تنتمي إلى لغة معينة.

ب- **الفعل الصرفي التركيبي:** وهو إخضاع هذه الأصوات للقواعد الصرفية والنحوية الخاصة باللغة المنتمية إليها، غرض تأليف مفردات وجمل.

ج- **الفعل الدلالي:** وهو جعل هذه المفردات ذات دلالات ومعان محددة،

أو بعبارة أخرى: "...أداء فعل استعمال الوحدة الصرفية التركيبية أو مكوناتها

بمغزى معين.... وإشارة محددة.... والمغزى والإشارة يساويان المعنى ويجوز

أن يطلق على هذا الفعل اسم الفعل الدلالي، والمنطوق هو الوحدة

الدلالية...."³

2. **الفعل المتضمن في القول (فعل قوة التلفظ، الفعل الإنجازي، الفعل الغرضي)**

(illocutionary act): وهو قوة فعل الكلام أو هو العمل الناتج والمنجز بعد

¹ ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 42.

وينظر: عيد بليغ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص 236، 241

² جان سيرفوني، الملفوظية، تر قاسم المقداد، ص 95.

³ صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 184

التلفظ بقول ما، أي المعنى القصدى الذي ينجز به المتكلم شيئاً ما،
 Speaker intention، وسمى الوظائف اللسانية التي تحملها هذه الأفعال
 بالقوى الإنجازية التي تكمن في أن المتكلم يعمل شيئاً أثناء حدث التلفظ نفسه،
 كقول المتكلم: أعد بكذا أو بعت أو اشتريت. عندما تقال هذه الكلمات في سياق
 البيع أو الشراء فإنهما ينعقدان بالفعل بمجرد التلفظ، ولكي تكون أفعال الكلام هنا
 صحيحة لا بد أن يكون المتكلم هو الشخص المخول للإدلاء بهذه الأقوال، أي
 الذي يقول بعت هو الشخص الممتلك لهذا الشيء موضوع البيع.

وذهب مسعود صحرأوي إلى القول: إن هذا الصنف من الأفعال الكلامية هو
 المقصود من النظرية برمتها بكتابة "كيف نصنع الأشياء بالكلمات"، وليس الأمر
 كما ذهب بعض الباحثين إلى أن تمييز أوستن بين المنطوقات الأدائية
 والمنطوقات التقريرية هو الموضوع الأساس لكتابه المذكور.¹

وقد التبس الأمر على أوستن في التفريق بين الفعل التلفظي، وفعل قوة التلفظ أو
 الفعل التعبيري أو الفعل الغرضي، كما ترجمه صلاح إسماعيل عبد الحق، حيث
 حدد الفعل التعبيري بقوله: "قول شيء ما هو فعل شيء ما".²

وحدد الفعل الغرضي بقوله: "في قول شيء ما نؤدى فعل شيء ما"³، وهو تحديد
 تطابق مع الأول فحاول أوستن أن يقدم قائمة كاملة بالقواعد التكوينية التي تتشكل
 بنسبة الفعل الغرضي:⁴

¹ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص194.

² صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص195

³ صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع السابق، ص195.

⁴ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص195.

أ- إن المتكلم إذا أراد تأدية الفعل الغرضي يجب عليه أداء الفعل التعبيري، يقول أوستن " من المسلم به بطبيعة الحال أن أداء الفعل الغرضي هو بالضرورة قول ألفاظ معينة"¹.

ب- يميز أوستن بين معنى الفعل التعبيري وقوة الفعل الغرضي بأمثلة يكون فيها معنى المنطوق (بالمعنى المحدد للمغزى والإشارة)، ولعل أفضل مثال يقدمه أوستن لإيضاح التقابل بين الفعل التعبيري والقوة الغرضية هو جملة " إنه على وشك أن يهجم"، فعلى الرغم من وضوح ما يقوله المتكلم وما يعنيه في هذا المعنى في حدود المغزى والإشارة، فإنه ليس واضحاً إن كان ما يعنيه تحذيراً أو مجرد نبوءة واقعية بأن الثور على وشك الهجوم، والشرط اللازم توفره لكي يكون هذا المنطوق قوة معينة هو أن يقصد المتكلم امتلاك هذه القوة، وهو قصد يختلف عن قصده في تقديم الأصوات كمنطوق للجملة " إنه على وشك أن يهجم"، لكن قصد المتكلم واحد سواء في امتلاك القوة الغرضية أو في القصد في حدود المغزى والإشارة، ولذلك على المتكلم أن يضيف لمنطوقه المذكور آنفاً السابقة "أنا أحذرك" وهو ملمح عام للأفعال الغرضية.

ج- إن نجاح الفعل الغرضي بالنسبة للمتكلم مرتبط بقاعدة " التأكد من الفهم"، أي فهم المجتمع الذي يوجه إليه المنطوق، فالمنطوق السابق "إنه على وشك الهجوم" لا يمكن أن يفهم على أنه تحذير ما لم يتأكد المتكلم من فهم المستمع ذلك، حتى وإن كان المستمع غير مبال بالتحذير فعلاً، فقد لا يقتنع به بالفعل، ولكن يجب عليه إدراك قصد المتكلم التحذير، وإدراك أن المنطوق نطق به على أنه كذلك، يقول أوستن " لا أستطيع أن أقول إنني حذرت المستمع ما لم يسمع ما أقول ويأخذه بمغزى معين، ويجب أن يتم

¹ ج.ل. أوستن، نظرية الأفعال الكلامية (كيف نصنع الأشياء بالكلمات)، ص 113.

إنجاز التأثير على المستمع لو شئنا إنجاز الفعل الغرضي... وبصفة عامة فإن التأثير يساوي إحداث فهم معنى التعبير وقوته، وهكذا فإن أداء الفعل الغرضي يستلزم "التأكد من الفهم".¹

إن الأفعال الغرضية هي أفعال عرفية إذ يقول أوستن "يجب أن نلاحظ أن الفعل الغرضي هو فعل عرفي أي فعل مفعول وفقاً لعرف"² ويقول في موضع آخر: "إننا نؤدي أيضاً الأفعال الغرضية مثل: الإعلام والأمر والتحذير والتعهد، أعني المنطوقات التي لها قوة (عرفية) معينة"³ والمقصود بالأعراف ليست الأعراف اللغوية المتعلقة بتكوين الفعل التعبيري فحسب، على الرغم من أن عدداً كبيراً من الأفعال الغرضية مثل: يعد، ويورث، ويراهن،... تستلزم من بين شروطها التكوينية أعرافاً من هذا النوع، أي الأعراف التي يمارس بها الوعد والتوريث والرهان... الخ، وإنما المقصود بها أعراف ما وراء لغوية، فعدد كبير من الأفعال الغرضية يحتاج إلى أعراف رسمية بالإضافة إلى الأعراف التي تحكم معاني المنطوقات.⁴ ومع أن انتقادات كثيرة وجهت إلى هذه الشروط التكوينية للفعل الغرضي، فإن المتكلم لكي يؤدي الفعل الغرضي يجب عليه:⁵

أ. أداء الفعل التعبيري (س).

ب. أن يقصد ب(س) في هذه الحالة امتلاك القوة (ص).

ت. أن يتأكد من الفهم.

ث. استيفاء أعراف إضافية معينة تحدد ممارسة الفعل في بعض الحالات.

¹ ج.ل. أوستن، المرجع السابق، ص 115/116.

² ج.ل. أوستن، المرجع نفسه، ص 105.

³ ج.ل. أوستن، المرجع نفسه، ص 108.

⁴ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 199.

⁵ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع السابق، ص 201.

لم ينحسم الأمر بشكل تعيدي صارم على يد أوستن حتى بعد وضعه هذه الشروط، فالقوة الإنجازية أو الغرض الإنجازي مرهون بعملية الفهم، أي بوصول رسالة قوة الفعل الإنجازي. وهذه بدورها مرتبطة بظروف سياقية من الصعب تقنينها وتعيدها، ولذلك قدم أوستن طريقة أخرى لتمييز الأفعال الغرضية على الأفعال التعبيرية بالنظر إلى عنصر الملاءمة الذي يتوفر لبعض الأفعال ولا يتوفر لبعضها الآخر.¹

فحدد أربعة أنواع من المخالفة لشرط الملاءمة تتمثل في:²

1. **غموض القوة:** بحيث يكون المنطوق التعبيري الواحد قابلاً لأداء أكثر من فعل غرضي واحد، ولجعل القوة غير غامضة يلزم أن يقصد المتكلم بالفعل التعبيري المعين، امتلاك قوة معينة.

2. **إخفاق القوة:** يحدث ذلك حين يقصد المتكلم أداء فعل غرضي معين، ولكن يأتي فارغاً لسبب من الأسباب، كالكلام بلين ورفق مبالغ فيهما، الكلام بألفاظ لا يفهمها المستمع (خرق شرط التأكد من الفهم)، توجيه الملاحظات إلى الشخص غير الملائم، أو قول الكلام في وقت أو وضع أو سياق اجتماعي غير ملائم (خرق شرط عرقية الفعل الغرضي).

3. **الغموض التعبيري الصرفي التركيبي:** في هذه الحالة يكون محتوى الفعل الغرضي غامضاً وغير مفهوم بسبب خطأ في تلفظ الكلمات، أو خطأ في أداء نطق الجملة، أو أدائها بطريقة أخرى لا تبين محتواها. فمع أن كل الشروط متوفرة لنجاح الفعل (القوة غير غامضة، والتأكد من الفهم، واستغلال

¹ عيد بليغ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص 240.

² ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع السابق، ص 202.

الأعراف المتعلقة بالفعل) ، إلا أن المستمع يتساءل "ما الذي قاله المتكلم بالضبط ؟".

4. الغموض التعبيري الدلالي: في هذه الحالة لا يعرف المستمع ما يعنيه المتكلم بمنطوقه؛ لأنه لم يدرك قصد المتكلم ومغزى منطوقه وإشارته، حتى وإن عرف القوة الغرضية.

3. الفعل الناتج عن القول (أو فعل أثر التلفظ perlocutionary أو الفعل التأثيري): وهو مجموع الآثار المترتبة عن قول ما، فبعد التلفظ بفعل القول وما يحمله من قوة إنجازية يكون من الطبيعي أن يؤثر المتكلم في المخاطب من خلال ردة الفعل التي يبديها، والتي تنبئ عن تغير حاصل على مستوى مشاعره وأفكاره.

وهكذا، فالكلام المنتظم في تركيب نحوي محمل بمقاصد معينة في سياق محدد يعمل على قيام المرسل بثلاثة أفعال في آن واحدة، وهي:

- تبليغ رسالة (فعل القول الموجه إلى المرسل إليه).
- إنجاز فعل بوساطة القول (الفعل المتضمن في القول) .
- فعل التأثير على المرسل إليه كالإقناع، والإغراء، والتضليل، والتحذير... وهو المقصود بأثر التلفظ.

فإذا قال أب لابنه مثلاً: "نظف أسنانك". يكون قد أنجز عمليتين هما: فعل القول حين تلفظ بجملته: "نظف أسنانك"، والفعل المتضمن في القول، وهو الأمر المستفاد من الجملة. وإذا أجابه الابن: "لا أشعر بالنعاس". ينجز الأفعال الثلاثة معاً، وهي: الفعل القولية عند النطق بالجملة، والفعل المتضمن في القول، وهو إخباره وتأكيد انعدام الرغبة في النوم، وفعل التأثير بالقول، وهو إقناع الأب بإمهاله وقتاً لتنظيف أسنانه

مادام لا يشعر بالنعاس¹، والفرق بين الفعلين الإنجازي والتأثيري يتضح من خلال قيامنا بفعل التلفظ، هذا الحدث الذي تتحدد قيمته فيما ننجزه بالتلفظ، أي فيما ينجز من فعل ذي طبيعة أخرى، كالإخبار أو الاستفهام أو التحذير أو التهديد....الخ.²

"فالفعل المنجز حين القول يشكل القيمة الفاعلة للملفوظية، أما الفعل التأثيري للقول، فيعرف من خلال مفهوم الأثر أو التأثير. فقول الشيء -غالبا- يسبب بعض التأثير على المشاعر والأفكار وتصرفات المستمعين، أو على تصرف المتكلم نفسه".³

ويبقى التفريق بين الفعلين نسبيا؛ لأنه لا توجد أعراف واتفاقات يستند إليها للتفريق بينهما، فليس هناك فرق نحوي بين أحذرك وأسميك من حيث القواعد النحوية، ولكن الفعل أسميك ينجز فعل التسمية، ولكن الفعل أحذرك لا ينتج فعل التحذير، وذلك راجع إلى الاتفاقات العرفية التي توفر العناصر السياقية للإنجاز.

وقد لاحظ أوستن أن كل الجمل لا تخلو من أفعال القول، بل لا تكون إلا بها، وأفعال التأثير لا تلازمها دوما فمنها ما لا تأثير لها، فوجه كل اهتماماته للأفعال الإنجازية حتى سميت "النظرية الإنجازية"⁴ ليتخذ فيما بعد من القوة الإنجازية أساسا لوضع تصنيف آخر للأفعال الكلامية على الرغم من عدم رضاه عنه حسب اعترافه وهذه الأصناف هي:⁵

¹ ينظر: آن روبرول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص32،31.

² ينظر: عيد بليغ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص241.

³ عيد بليغ، المرجع نفسه، ص241.

⁴ ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص46.

⁵ J.L-Austin Quand dire c'est faire , P 153-154

- David Zemmour, Intiation à La L'inguistique, P128-129

وينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 222،223

1. **أفعال الأحكام (أو الحكميات verdictifs):** وتقوم على إصدار أحكام تستند إلى أسباب وجيهة، وتتعلق بقيمة أو حدث. والأفعال المتعلقة بحكم هي أفعال قضائية متميزة عن الأفعال التشريعية أو التنفيذية، كما أن لها علاقات واضحة بالصدق والكذب من جهة الحالة القانونية وغير القانونية، ومن أمثلة تلك الأفعال: أبرىء، وألزم، وأضمن، وأميز، وأحكم، وأقدر، وأقيم، وأثمن، وأورخ، وأرتب...
2. **أفعال القرارات (أو أفعال الممارسة Exercutifs):** وتتمثل في إصدار حكم فاصل، أو قرار معين لصالح أفعال معينة أو ضدها، وهو تصنيف واسع جدا ومن أمثلته: أعين، وأوظف، وأورث، وأحذر، وأكرس، وأمنح، وأدعي، وأنصح، وأوصي، وأرفض، وأطلب، وأختار، وأزكي....
3. **أفعال التعهد (الأفعال الإلزامية commissifs):** إن الهدف التام للفعل الإلزامي أن يتعهد المتكلم بفعل شيء ما ويلتزم به، مثل: أعد، وأتعهد، وأقسم القيام بمعاهدة، وأصمم على، وأعتزم، وأتخيل، وأخمن، وسوف أخطط...الخ.
4. **أفعال السلوك (comparatifs):** وتمثل ردود أفعال خاصة اتجاه سلوك الآخرين والأحداث المرتبطة بهم والأقدار والمواقف، وتعبيرات المواقف الخاصة بسلوك سابق لشخص ما، أو سلوك على وشك الحدوث وأمثلة هذا الصنف متنوعة تتضمن سلوكات متباينة، مثل: الاعتذارات والشكر والمشاركة الوجدانية والتحيات وتشمل: أعتذر، وأشكر، وأطري، وأهنئ، وأتعاطف، وأوافق، وأستحسن، وأستنكر.... "ويشير أوستن إلى أن ثمة علاقات واضحة بين الأفعال المتعلقة بالسلوك والأفعال الإلزامية نظرا لأن الإطراء والموافقة هما رد فعل لسلوك وتعهد المرء بنهج معين للسلوك، وتوجد علاقة بين

الأفعال المتعلقة بالسلوك وأفعال الممارسة، لأن الموافقة على شيء قد

تكون ممارسة لسلطة ما أورد فعل سلوك معين".¹

5. أفعال الإيضاح (الأفعال التفسيرية Expositifs): وتستعمل لتوضيح

وجهات النظر، أو تبيان رأي وتوصيل حجة وتوضيح الاستعمالات

والدلالات. ومن أمثلتها مما أورده أوستن: أعترض، وأنكر، وأشكك، وأصف،

وألاحظ، وأخبر، وأجيب، وأسلم، وأبدأ بـ، وأتحول إلى، وأصوغ، وأشير.....

يلاحظ أوستن على هذه الأفعال أنها ليست الوسائل الوحيدة التي بإمكان المتكلم

اعتماده في كلامه، بل هناك وسائل لغوية أخرى، تضاف إلى الأفعال الإنجازية،

منها: الحكم Mode ، والتطويح Accent، والنغمة intonation وعطف النسق

conjunction، وسلوك المتكلم العام (إيماءاته وحركاته) وحال الحديث أو القول

(Situation d'énonciation).² إلا أن ما جاء به أوستن لم يكن كافياً لوضع

نظرية متكاملة حسب اعترافه، ولكنه مهد الطريق لتلميذه سيرل John Regele

لتطوير عدد من المفاهيم الأساسية، وبخاصة مفهوم الفعل الإنجازي والقوة الإنجازية

للأفعال الكلامية، وإعادة تقسيمها.

بدأ سيرل عمله بانتقاده تمييز أوستن بين الأفعال التعبيرية والغرضية تحت تساؤل

هام: هل بعض الأفعال التعبيرية أفعال غرضية؟ ليتخذ تمييزاً مخالفاً بين الأفعال

الغرضية والأفعال القضوية propositional ، فنطق الجملة بمعنى معين - حسب

أوستن - أداء لفعل تعبيرية معين، ونطقها بقوة معينة أداء لفعل غرضية معين.

واعترض سيرل على ذلك، ورأى أن في هذا التمييز لا يوجد فعلاً مختلفان، بل

اسمان مختلفان لفعل واحد؛ لأن نطق الجملة بقوة معينة هي جزء من المعنى،

¹ صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع السابق، ص 223

² الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 23.

والمعنى يحدد بصورة فريدة القوة المعينة، ليستنتج أن الأفعال التعبيرية بعضها أفعال غرضية ففي حالات كثيرة من الجمل يحدد المعنى القوة الغرضية لأي منطوق حرفي جاد ناجح.¹

إن تمييز أوستن بين الفعل التعبيري والغرضي يبقى سليماً؛ لأن تحديده في البداية تضمن أن الفعل التعبيري هو نطق ألفاظ معينة، بمغزى وإشارة محددتين، وبذلك يبقى التمييز قائماً حتى في حالات مثل: "إنني أمرك بذلك أن تتركه"، فالفرق واضح بين نطق الجملة بمغزى وإشارة محددتين (الفعل التعبيري)، وبين النجاح بالفعل في محاولة أداء الفعل الغرضي أداء ناجحاً، وربما قد أنطق بجملة لشخص لا يسمعي، فأكون قد فشلت في أداء الفعل الغرضي مع أنني قمت بأداء الفعل التعبيري طالما أنني نطقت الجملة بمعناها العادي.²

يوجز سيرل التمييز بين الفعلين السابقين بتمييز آخر بين المحاولة والنجاح في أداء الفعل الغرضي، أي محاولة أداء الفعل الغرضي الذي يكمن في نطق الجملة نطقاً جاداً بمعناها الحرفي وبين النجاح بالفعل في أدائه وهذا التمييز أقل وضوحاً من التمييز الأصلي لأوستن ومختلف عنه تماماً.³

ذهب سيرل في نقده لأوستن إلى أبعد من ذلك ليثبت أنه لا يوجد تمييز على الإطلاق من النوع الذي قصده أوستن ليضع سؤالا مغايراً هذه المرة: هل كل الأفعال التعبيرية أفعال غرضية؟

فينطلق من فكرة الفعل الدلالي التي وضعها أوستن لتعيين هوية الفعل التعبيري حين درس بنيته الداخلية، وقابله بالفعل الصرفي التركيبي. والفاحص بدقة لهذه المقابلة بين الفعلين الدلالي والصرفي التركيبي - التي لن نورد هنا كاملة لغرض الاختصار -

¹ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 207، 206.

² ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص 208/209.

³ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص 209.

يجد أن أوستن ميز الأفعال الدلالية بشكل مهمل على أنها أفعال غرضية، وأقر سيرل أنه لا يوجد في الوصف الذي قدمه لنا أوستن عن الأفعال التعبيرية بوصفها مقابلة للأفعال الغرضية أفعال دلالية تقابل الأفعال الغرضية على الإطلاق¹ "وتوجد حقا أفعال صوتية لنطق أصوات معينة، وأفعال صرفية تركيبية لنطق ألفاظ أو كلمات معينة (وجمل) وأفعال غرضية من قبيل طرح الأسئلة وإصدار الأوامر، ولكن لا يبدو أنه توجد أو يمكن أن توجد أفعال لاستعمال هذه الألفاظ في جمل بمغزى وإشارة، التي لا تكون بالفعل أفعالا غرضية مزعومة على الأقل"²

ينتقل سيرل من استنتاجه الأول - بعض الأفعال التعبيرية أفعال غرضية- إلى استنتاج آخر: كل الأفعال التعبيرية أفعال غرضية؛ لأن كل فعل دلالي- ومنه كل فعل تعبيرى- هو فعل غرضي، ثم في إعادة لتصنيف أوستن الأفعال يحذف سيرل الفعل الدلالي مميزا للفعل التعبيري.³

الفعل	الفعل التعبيري (بمغزى وإشارة محددتين) الغرضي
	الفعل الصوتي الفعل الصرفي التركيبي الفعل الدلالي

تصنيف أوستن الأصلي

الفعل	الفعل التعبيري (بمغزى وإشارة محددتين) الغرضي (المؤدي بنجاح)
	الفعل الصوتي الفعل الصرفي التركيبي

¹ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع السابق، 211، 212.

² صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص 213.

³ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، المرجع نفسه، ص 213.

تصنيف سيرل المعدل لتصنيف أوستن

أعاد سيرل تقسيم أوستن السابق وعدله إلى أربعة أقسام للفعل الكلامي بدل فعلين، هما في الحقيقة إعادة لتقسيم الفعل الأول عند أوستن، حيث جعله سيرل¹:

- فعل التلطف بالكلمات (إنجاز فعل التلطف)
- الإحالة والإسناد، أي فعل إسناد الأمر إلى أمر آخر ليكون للجملة قضية أو ما يطلق عليه الفعل القضوي (القضية المتحدث عنها التي تشكل موضوع الجملة)

ليخلص سيرل في النهاية إلى عدم إمكانية وجود تمييز عام بين الأفعال التعبيرية (أفعال القول)، والأفعال الغرضية (الإنجازية).

عندما رغب جون سيرل في تعريف الفعل الكلامي، أشار إلى أن بحثه (ما الفعل الكلامي؟) what is a speech act ينبغي له أن يسمى (ما الفعل الإنجازي؟)²، ففي نظره شكل الفعل الإنجازي الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأن للقوة الإنجازية دليلاً يسمى دليل القوة الإنجازية يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه الجملة، ويتمثل ... في نظام الجملة، والنبر، والتنغيم، وعلامات الترقيم في اللغة المكتوبة، وصيغة الفعل، وما يسمى الأفعال الأدائية³. وكذلك الرأي عند دانيال فان فيكن، فالفعل الإنجازي في رأيه هو الوحدة الأولية لمعنى الجملة، وهو الوحدة الأولية للاتصال⁴.

¹ J.R. serle: speech acts, an essay in the philosophy of language, p 24 -25.

² ينظر: محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ص 04.

³ ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 47.

⁴ ينظر: محمد العبد، المرجع السابق، ص 04.

اهتم سيرل بالفعل الإنجازي وجعله أهم الأفعال حيث ارتبط عنده ارتباطا وثيقا بمقصد المتكلم الذي يبذل السامع جهدا للوصول إليه، ليتأكد بذلك الربط بين العبارة اللغوية وقصد المتكلم، لتأخذ المقصدية دورا مركزيا في نظرية الفعل الكلامي.¹

ولم يكتف سيرل بقصد المتكلم مقابلا وحيدا للمعنى الحرفي؛ إذ لا يمكن الوقوف عليه وحده، بل رأى أن للعرف وما يتضمنه من عناصر تداولية أثرا كبيرا في الوصول إلى المعنى [المعنى: قصد المتكلم + الأعراف اللغوية وعناصرها التداولية].

"Meaning is more than a matter of intention, it is also a matter of convention"²

إن الفعل الكلامي عند سيرل يتخذ مفهوما أوسع أو أشمل من مجرد التعبير عن قصد المتكلم، بل هو نوع من السلوك الخاضع أساسا للعرف اللغوي والاجتماعي الذي تضبطه قواعد خاصة، فإثناء تواصلنا بقول ما ننجز أربعة أفعال في الوقت نفسه³:

- أ. فعل القول (التلفظ بينى صرفية وكلمات وجمل).
- ب. فعل الإنشاء (ربط الصلة بين المتخاطبين بإحالتنا على الأنا والآخر).
- ج. فعل الإنشاء (القصد المعبر عنه في القول تحذير، وعد، وتهديد...).
- د. فعل التأثير (يحصل تغيير فعلي في سلوك المرسل إليه بسبب تغيير أفكاره ومعتقداته لتحقيق المطلوب منه مثلا).

ولننظر في الأمثلة الآتية:

1. أنصحكم بالصمت.

¹ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 206.

² عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيمو طيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص 243.

³ ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 25.

2. أصمتوا الآن فوراً.

3. هلاً صمتم.

4. أتصمتون؟

فهذه الأمثلة جميعها تشترك في قضية واحدة، وأنا صريح ومضمر، والأنتم أو الهو يحيل دائماً على الشخص نفسه (الإحالة بالإشارة)، والإسناد (الصمت)، بيد أن الأفعال الإنجازية تختلف من جملة إلى أخرى، ويتم تأويل كل منها تأويلاً مناسباً اعتماداً على العناصر المقامية للتواصل، فالجملة (1) يمكن أن تفيد النصح أو الأمر، أو التهديد. والجملة (2) قد تعني الأمر، أو التحذير. والجملة (3) قد تكون أمراً غير مباشر (عرض) أو تمن، والجملة (4) يمكن أن تفهم على أنها استفهام، أو تعجب، أو استعلام¹.

ولذلك صاغ سيرل اثني عشر مقياساً يمكن من خلالها التمييز بين الأفعال الإنجازية: فالترجي والأمر. مثلاً. لهما الغرض أو الوجهة نفسها، وهي الطلب من شخص ما القيام بشيء ما، لكنهما يختلفان في القوة، ويمكن التمثيل لذلك بجملة "لو دنوت فأصبت معنا مما نأكل".

يمكن أن يعرض محتواها القضيوي بقوى إنجازية عدة، نحو:

- أدنُ فأصب معنا مما نأكل.

- هل تدنو، فتصيب معنا مما نأكل؟

- ألا تدنو، فتصيب معنا مما نأكل.

- لو دنوت، فأصبت معنا مما نأكل.

فهذه الأفعال الكلامية الأربعة تختلف في القوة التي يعرض بها غرض إنجازي واحد هو الطلب، "عرض الأول بقوة الأمر، وعرض الثاني بقوة الإلتماس أو

¹ ينظر: الجبالي دلاش، المرجع السابق، ص 27/26.

الدعوة، وعرض الثالث بقوة العرض، وعرض الرابع بقوة التمني. يعني هذا أن القوة الإنجازية خصيصة المنطوقات لا الجمل، فالمنطوق الواحد يمكن أن يمتلك قوى إنجازية مختلفة¹.

وهذه المقاييس الاثنا عشر هي:²

1- اختلافات في غاية الفعل أو هدفه : كما في المثال السابق، وهدف أو غاية

نوع الفعل الغرضي سماه سيرل هدفه الغرضي illocutionary point، وهو جزء من القوة الغرضية، فالهدف الغرضي للأمر هو الهدف نفسه للرجاء؛ إذ إن كلاهما محاولتان للتأثير على المستمع ليفعل شيئاً ما، مع أن قوتيهما الغرضية مختلفة. ويمكن القول إن القوة الغرضية هي محصلة عناصر عديدة وتعتبر الهدف الغرضي واحداً منها.

2- اختلافات في توجيه الترتيب بين الكلمات والأشياء لاتجاه المطابقة بين

الكلمات والأشياء (اتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم) **derection of**

fits: وهي اختلافات تكون من الوجهة الإنجازية لبعض الأقوال، وتقوم بترتيب الكلمات حتى تلائم الواقع، أو بالضبط لملاءمة المضمون القضوي للواقع، فبعض الأفعال الغرضية (مع اعتبار صفها الغرضي)، تجعل المحتوى القضوي للكلمات متماثلة مع العالم كالتقريرات. وبعضها الآخر تجعل العالم متماثلاً مع المحتوى القضوي للكلمات (كالوعود والطلبات). ويعطي سيرل مثالا عن رجل يدور في المتجر قصد اقتناء مشتريات معينة، والكشاف يكتب كل شيء يأخذه، وفي النهاية يكون للرجل المشتري والكشاف قائمتان متطابقتان (الأول بالمشتريات الفعلية والثانية

¹ محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ص 05.

² رررررررررر

بأسمائها)، إلا أن وظيفة كل قائمة تختلف عن وظيفة الأخرى، فقائمة المشتري تجعل العالم متماثلاً مع الكلمات (الرجل عنده قائمة باسم المشتريات التي تخص المنزل)، أما قائمة الكشاف غايتها جعل الكلمات متماثلة مع العالم.

ويوضح سيرل هذا الاختلاف في اتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم، فيقول "إن قائمة الكشاف لها اتجاه مطابقة الكلمة إلى العالم (كما تفعل العبارات والأوصاف والتقريرات، والتفسيرات)، وقائمة المشتري لها اتجاه مطابقة العالم إلى الكلمة (مثلما تفعل المطالب والأوامر والعهود والوعود) إنني أمثل اتجاه مطابقة الكلمة إلى العالم بالسهم النازل كالتالي، واتجاه مطابقة العالم إلى الكلمة بالسهم الصاعد كالتالي، واتجاه المطابقة هو دائماً نتيجة للهدف الغرضي".¹

- المطالب	الكلمة
- الأوامر	
- العهود	
- الوعود	العالم

مطابقة العالم إلى الكلمة

- العبارات	الكلمة
- الأوصاف	
- التقريرات	
- التفسيرات	العالم

مطابقة الكلمة إلى العالم

3- اختلافات تمس الحالات النفسية المعبر عنها: فالمتكلم يعبر في كل فعل إنجازي يمتلك مضموناً قضوياً عن موقف اتجاه هذا المضمون القضوي سواء كان مخلصاً أو لا فلا يمكن أن يقول أحد ما: أعد بإنجاز (ب)، وهو لا ينوي إنجازها. أو أنا أقرر أن هذه (س) بيد أنني لا أعتقد أن هذه (س). وهذه

¹ صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 226

الحقيقة اللغوية مسجلة من الحقيقة القائلة إنه من غير المقبول لغويا أن نربط الفعل الإنجازي بغير الحالة السيكلوجية المعبر عنها والحالة النفسية المعبر عنها بنطق الفعل الغرضي هي شرط الإخلاص للفعل.

4- اختلافات في شدة الالتزام المعبر عنه في تقديم وجهة الإنجاز: فجملتنا "أقترح أن نذهب إلى السينما" و"ألح على الذهاب إلى السينما"، لهما وجهة الإنجاز نفسها و الهدف الغرضي نفسه إلا أنهما قدما بقوتين مختلفين.

5- اختلاف مقياس أو وضعية المتكلم المستمع في حدود حساسية قوة إنجاز الفعل : فطلب القائد من الجندي تنظيف المكان يعد أمرا بالتأكيد، أما طلب الجندي من القائد القيام بالفعل نفسه يعد اقتراحا أو طلبا، ويستحيل أن يكون أمرا؛ لأن وضعية المتكلم في الحالتين مختلفة، وهي التي تحدد وجهة إنجاز الفعل. وهذا الجانب نوع لشرط تمهيدي من شروط الملاءمة عند سيرل.

6- الاختلافات في الطرائق التي يرتبط بها القول باهتمامات المتكلم و المستمع: فالاختلافات مثلا بين التهئة و التعزية تكمن في أن الأولى تمس مصالح المتكلم، و الثانية تمس مصالح المستمع، وهو نوع آخر للشرط التمهيدي في تحليل سيرل.

7- اختلافات في العلاقة بمجموع الخطاب و السياق الخطابي : حيث نجد تعابير تربط القول بالخطاب ككل وبالسياق المحيط، مثل : أستخلص ، وأعترض ... وأخرى تؤكد قضية أو تشير إلى وضعيتها داخل الخطاب وقيمتها الموضوعية، مثل : بينما، وبالإضافة، وبالتالي ...

8- اختلافات المضمون القضوي التي تحددها علامات أو وسائل القوة الإنجازية: فالاختلاف بين الاستذكار و الاستشراف هو أن الأول يتجه إلى الماضي بينما الثاني تنبؤ بالمستقبل.

9- الاختلافات بين الأفعال كأفعال لغة دائمة وبين تلك التي تنجز كأفعال لغة

دون خضوع لما هو مطلوب : ويمثل سيرل لذلك بفعل التصنيف نفسه إذ يمكن القول: أصنف هذا في (أ)، وأصنف هذا في (ب) ، كما يمكن أن لا أقول شيئاً، بل أقتصر على وضع (أ) في المكان المخصص ل (أ) ووضع (ب) في المكان المخصص ل(ب)، فليس من الضرورة أن أقول أي شيء على الإطلاق. أي إن فعل الكلام في مثل هذه الحالات ليست له ضرورة.

10- الاختلافات بين الأفعال التي تتطلب مؤسسات خارج لسانية (أعراف) في إنجازها، وتلك التي لا تتطلب ذلك : فكثير من الأفعال الإنجازية تكون

بحاجة إلى مؤسسة خارج لسانية (أعراف غير لغوية)، وغالبا ما تكون في حاجة إلى وضعية المتكلم والمستمع في حصن المؤسسة، مثل إعلان الحرب. فلا يكفي أن يكون فلان صدى لفلان آخر، بل يجب أن يكون للرجل وضع داخل العرف غير اللغوي، ويعتقد أوستين أن كل الأفعال الإنجازية بحاجة إلى أعراف غير لغوية. ولكنها ليست كذلك فعندما يقول المتكلم "إنها تمطر" أو "أعد بأن آتي"، فإنه يحتاج إلى القواعد اللغوية للنقيد بها فقط، دون الحاجة لأعراف غير لغوية. والشرط الأساسي لبعض الأفعال الإنجازية أن يكون للمتكلم وللمستمع أيضا منزلة معينة، وتمنح الأعراف غير اللغوية ذلك على نحو يتناسب مع القوة الإنجازية، ولا تنشأ كل اختلافات المنزلة عن الأعراف.

11- الاختلافات بين الأفعال أو الأفعال الإنجازية المطابقة لانجاز ما أو غير

المتوفرة على ذلك: فليس كل الأفعال الغرضية أفعالا أدائية (يمكن إنجازها) فيمكن للمرء أن ينجز أفعال الأمر والوعد...ولكن لا يستطيع أن ينجز فعل

التهديد أو التفاخر مثلا بتلفظه بكلمات مثل "أنا أقول بتهديدك" أو "إنني بذلك أتفاخر، فهذه أفعال إنجازية غير منجزة

12- اختلافات في أسلوب أداء الفعل الإنجازي: فبعض الأفعال الإنجازية

تستخدم لما يمكن أن نطلق عليه الأسلوب الخاص الذي يؤدي بموجبه فعل إنجازي، فالاختلاف بين المطالبة والائتمان على السر لا يوجب بالضرورة اختلافات في وجهة الإنجاز أو المضمون القضوي، بل يوجب اختلافات في أسلوب الإنجاز.

كما طور سيرل شروط الملاءمة لضمان نجاح الأفعال الإنجازية والتفريق الميسور بين الأفعال الكلامية، وطبقها على الكثير منها تطبيقا محكما وهذه الشروط هي:¹

- شروط المحتوي القضوي *regles du cantenus propositionnels*

- شروط التمهيد (أو التقدم) *regles d'introductions*

- شرط الإخلاص *regles de sincerites*

- الشرط الأساسي *regles essentielles*

ولتطبق هذه الشروط على فعل التحذير مثلا:

- المحتوي القضوي الشخص (ب) أساء إلى الطرف (أ) بواسطة عمل أو قول (ج)

- القاعدة التمهيدية العمل أو القول (ج) قد أساء فعلا

- شرط الإخلاص الطرف (أ) اعترف بتضرره ل (ب) بسبب العمل أو القول (ج)

- الشرط الأساسي الطرف (أ) أنذر (ب) من عواقب العودة إلى مثل تلك الإساءة.

ثم حاول سيرل أن يحصر الأفعال الكلامية في اللغة في خمسة أصناف

رئيسة تقوم على ثلاثة أسس منهجية، فأما الأسس الثلاثة، فهي:¹

¹ ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 48.

1/ الغرض الإنجازي.

2/ اتجاه التطابق.

3/ شروط الإخلاص.

وأما الأصناف الخمسة، فهي:

1-أفعال توجيهية directives: وفيها يهدف المتكلم إلى توجيه المستمع للقيام بشيء معين كالطلب، و السؤال، و الترجي، و الاستجواب...وقد يؤدي غياب قصد المتكلم إلى خلل في عملية التواصل، ويتضح ذلك بالمثال الآتي:

- كم مرة طلبت منك هذا؟.

- ثلاث مرات.

فالأعراف الاجتماعية تشير إلى أن الطلب إذا ما وجه يتوقع استجابة له، ويعتقد بعض الباحثين أنه كلما زاد الاعتقاد بالرفض ازداد احتمال كون التوجه غير مباشر. وقسم أرفين تريب (erwin-trip) التوجيهات إلى خمسة أنواع تتضمن العلاقة بين دور المتحدث، ودور المخاطب، وتفسير اختيار شكل التوجيه.² وهذه الأنواع الخمسة:³

أ. تعبيرات الحاجة desire statement الرغبة الذاتية personal need

مثال: أنا أريد، وأحتاج إلى(كذا)...

ب.الأمر imperative :وهو هنا الأمر الصريح بأساليب الأمر العربية

المعروفة: صيغة الأمر،والفعل المضارع المسبوق بلام الأمر، و أسماء أفعال

الأمر مثال: أعطني كذا...

¹ ينظر: محمود أحمد نحلة، المرجع نفسه، ص49.

² ينظر: عبد الرحمان بودرع، قضايا البحث التداولي، ص 6،7.

³ ينظر: عيد بلبع، التداولية البعد الثالث يسمى طيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص

ج. الأمر غير المباشر imbedded imperative: ويسمى هذا الأسلوب في البلاغة العربية "التلطف" نحو: هل من الممكن أن تعطيني هذا الشيء من فضلك؟.

د. الإذن التوجيهي permission directive: مثال: هل تسمح بإعطائي هذا

الشيء؟ أو هل تبقى لي هذا الشيء؟ أو هل لديك هذا الشيء؟

هـ. التلميح hint (أحيانا مع دعابة)، مثال: هذا لا بد أن يكون قد انتهى، أوماذا

عن هذا الشيء؟، واتجاه المطابقة لهذه الأفعال هو من العالم إلى الكلمات،

وشرط الإخلاص هو: يرغب (غ) (رغبة أو أمنية) والمحتوى يتضمن دائما

مستمعا (س) يفعل فعلا مستقبليا، ويرمز له بالصيغة الآتية:¹

أ غ (س يفعل أ)

2- أفعال إلزامية (تكليفية) commissives وهي الأفعال التي يلزم محتواها

القضوي المتكلم بالقيام بسلسلة من الأفعال في المستقبل، مثل: أفعال الوعد والوعيد،

و الوصية، و العرض، ... والوظيفة التكليفية وظيفية لغوية ثانية لأفعال الكلام، وتعد

تصريحات تعمل كاتفاق على سلوك معين أو رفضه، وتتنوع من حيث القوة، فقد

تكون شديدة الصرامة، أو تكون في غاية الليونة. وتتنوع أشكال التكليفات حسب

العلاقات الاجتماعية، فشكل التكليف يختلف بين استجابتك لرئيس البلدية عند دعوته

لك للغداء، وبين استجابتك لأمك حين دعوتها لك قصد العشاء معا.

إن اتجاه المطابقة في هذه الأفعال هو من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو

القصد (ق)، والمحتوى القضوي هو دائما أن المتكلم من يفعل فعلا مستقبلا (ق)،

لتكون لدينا الصيغة الرمزية الآتية:

رمز أعضاء الفئة (أ) ق (ص يفعل ق).

¹ ينظر عيد بلبع، المرجع السابق، ص 247.

3- أفعال تمثيلية (إخبارية تصويرية) *représentatives*: وهي التي تعبر عن اعتقاد المتكلم بوصفه لواقعة ما، بحيث تلزمه بصدق القضية المعبر عنها، كأفعال التقرير، و الاستنتاج، والاستنباط... ويمكن أن يحكم على الكلام التصويري بناء على قيمة الحقيقة، " فإن غاية أعضاء الفئة التصويرية هو تعهد المتكلم بدرجات متنوعة بكون شيء ما حقيقته واقعة، وبصدق القضية المعبر عنها. وجميع أعضاء هذه الفئة قابلة للتقييم في حدود الصدق والكذب"¹. وتتنوع أفعال الكلام التصويرية حسب توكيد الكلام.

4- أفعال تعبيرية *expressives*: وغرضها التعبير عن الحالة النفسية للمتكلم، ومن أمثلتها: الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والترحيب...، فكل اللغات لديها ملفوظات يمكن أن تصنف على أنها ذات وظيفة تعبيرية، ولا يوجد اتجاه مطابقة للأفعال التعبيرية وصدق القضية المعبر عنها هو صدق مفترض، ويقدم لها الصيغة الرمزية الآتية: ع(س/ت+ملكية).

حيث إن: (ع) تدل على الهدف الغرضي المشترك بين كل الأفعال التعبيرية ، (Ø) هو الرمز الفارغ الذي يدل على عدم وجود اتجاه مطابقة، (ك) المدى المتغير للحالات النفسية المختلفة التي يمكن أن تعبر عنها أفعال هذه الفئة. والمحتوى القضوي ليس فعلا بالضرورة وملكيته محددة مرتبطة ب (ت) أو (س).

5- أفعال إعلانية (تصريحية) *déclaratives*: وهي التي يطابق محتواها القضوي العالم الخارجي، فتحدث تغيرات فورية في سير الأحداث العرفية باعتمادها على طقوس فوق لغوية، مثل: إعلان الزواج، أو الحرب أو طقوس التصوير... ويدعو أوستن هذا النوع من الأفعال بالمنجزات أو المؤديات، وهي التي عندما ينطق بها توجد حالة جديدة، والناطق بفعل التصريح يجب أن يكون الشخص المعتمد الذي

¹ صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 232.

يمتلك السلطة التي تخول له القيام بذلك، وهذا من متطلبات الوظيفة الخاصة التي تلازم ملفوظ التصريح.

إن التصريحات هي فئة خاصة جدا من الأفعال الغرضية عند سيرل، فهي تحدث مطابقة عن طريق إنجازها بنجاح، ومن ثم يرمز لها كآتي:

ص Ø (م).

حيث تدل (ص) على الهدف الغرضي التصريحي، واتجاه المطابقة هو من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات معا؛ لأنها أفعال خاصة. والرمز الفارغ (Ø) لعدم وجود شرط إخلاص، و(م) المتغير القضوي العادي.

كما يضاف إلى هذا تأكيد سيرل وجود أفعال مباشرة وأخرى غير مباشرة لتحليل صيغة التعابير اللغوية المتداخلة والمتبادلة، مشيرا إلى أننا في السؤال الآتي: "هل يمكنك أن تفتح الباب؟" Can you open the door? ننجز طلبا غير مباشر، كما أننا في القول الآتي:

"الجو حار جدا اليوم" (it is too hot today) نكون إزاء طلب غير مباشر أيضا لأن يفتح أحدهم النافذة مثلا¹. لقد أجاب سيرل بذلك عن عديد الأسئلة من مثل: كيف يمكن للمتكلم أن يتلفظ بشيء، وهو يقصد شيئا آخر؟ وكيف للمستمع أن ينتقل من المعنى الحرفي للخطاب ليستنتج معنى آخر هو المقصود من التلفظ؟ وكيف بإمكان السامع أن يفهم الاستفهام مثلا على أنه طلب أو التماس؟...

ويشير "زنسيسلاف" إلى أنه بناء على تحليل شروط التوفيق (النجاح) الخاصة بالأفعال الكلامية (الوعد) يجب أن نفترض بشكل مكمل قاعدتين تأسيسيتين لجميع الأفعال الكلامية، القاعدة الأولى: القاعدة القضية propositionnel التي تعني أن

¹ ينظر: منصور العجالي، نظرية أفعال الكلام كيف ننجز الأشياء بالكلمات، www.alimbaratur.com.

كل فعل كلامي له مضمون قضوي، والقاعدة الثانية: القاعدة الفارقة distinctive التي تعني اختلاف الفعل الكلامي المعني في مقابل الأفعال الكلامية الأخرى¹. يقول سيرل في شرحه طبيعة الأفعال المباشرة وغير المباشرة " هناك حالات يتمكن فيها المتكلم من قول جملة ويريد بها معناها الظاهر، ويدل ذلك على مقولة ذات محتوى إسنادي مغاير، مثلا: يمكن للمتكلم أن يتلفظ بجملة: هل بإمكانك أن تناولني الملح؟ ولا يدل على استفهام، بل طلب بتقديم الملح"⁽²⁾، فالأفعال المباشرة هي الأقوال الحقيقية التي يطابق معناها المعنى الذي يقصده المتكلم ويفهمه السامع.

أما الأفعال غير المباشرة، فهي عكس ذلك، "فعمل اللغة غير المباشر عبارة عن عمل محقق بطريقة غير مباشرة لتحقيق عمل آخر، إذن فهو فعل مزدوج يحوي فعلا أوليا مطابقا للرغبة الأولية للمتكلم، وفعلا ثانويا مطابقا للمعنى الأدبي. والذي هو ليس إلا وسيلة تعبير عن الرغبة الأولى، وهذا التضارب يؤدي إلى تساؤل حيوي: كيف يفهم المخاطب ما يطلبه منه المخاطب" (3).

إن الأقوال غير المباشرة التي سماها سيرل الاستعارات أو الأقوال المجازية، تجبر المستمع على الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يستدعي المتكلم إلى قوله كما في المثال الآتي:

- جارتك أفعى .

فالمستمع الحاذق يدرك تماما أن المتكلم لا يقصد المعنى الحقيقي، أي كون الجارة حقيقة زاحفة من الزواحف (أفعى)، بل ينتقل إلى المعنى المجازي حتى يصل إلى

¹ ينظر: واورزنيك، مدخل إلى علم لغة النص، ص 28.

² عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 164.

³ P130. D.ZEMMOUR. IMITATION à la linguistique.

المقصود، ويمكن أن تساعده في ذلك أدوات أخرى غير لغوية تابعة من السياق كالتنعيم والنبر وملامح الوجه ... فيحتاط من الشخص الموصوف⁽¹⁾.

وانطلاقاً من العدد الوفير من الأفعال الإنجازية غير المباشرة التي ناقشها سيرل، لاحظ أن أهم الدوافع لاستخدامها هو "التأدب في الحديث"، حيث ينقل المتحدث إلى المستمع أكثر مما تحمله الكلمات اعتماداً على الخلفية المعرفية المشتركة بينهما. سواء أكانت لغوية أم غير لغوية، إضافة إلى قدرة المستمع على الاستنتاج والتعقل والتفكير⁽²⁾.

وقد اقترح بعض اللغويين أمثال: ساكس وبراون وبول وفاندايك وغيرهم أساليب يمكن أن نتبعها لدراسة تداولية الخطاب، و من بينها:

- تبادل الأدوار بين المتخاطبين: ويقصد بها التنسيق أو التنظيم التتابعي؛ أي توزيع الكلام عبر متخاطبين. فيطرح ساكس فكرة "الأزواج المتقاربة" ويطلقها على ثنائيات التعبير المتلازمة مثل: السؤال، والجواب، والتحية، ورد التحية، والدعوة، والاستجابة...

- **علامات الخطاب:** وتتضمن استخدام مجموعة من المفردات لا يمكن أن تُفسَّرَ إلا بالرجوع إلى النحو التقليدي أو الدلالة التقليدية للجمل المفردة. مثل: من فضلك، بالتأكيد شكراً....

- **ألقاب التخاطب:** وتكشف هذه الألقاب عن علاقة الأدوار بين المتخاطبين من حيث المركز الاجتماعي والسيطرة والمودة والألفة.....

¹ ينظر: الجبالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 29.

⁽²⁾ علي عزت، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، ص 52.

- **المبادئ التعاونية في الخطاب:** هي مبادئ تتحكم في أصول الخطاب اقترحها بول غرايس (1) .

ولقد خلصت جل الدراسات إلى أن كل الأفعال الكلامية أفعال غير مباشرة فيما عدا الأفعال الأدائية الصريحة، ولذلك فهي تكثر في تواصلنا أكثر من غيرها. " فالأفعال الإنجازية التي لا تستخدم إلا مباشرة قليلة جدا، وهي تقتصر في الغالب على ما يسمى الأفعال المؤسسية أو التشريعية كالتوكيل والتفويض والوصية والتوصية والتوريث والإجازة... ونحوها، لأن الأفعال الكلامية إن استخدمت هنا غير مباشرة فسوف تؤدي إلى اللبس وضياح الحقوق" (2).

ويمكن التمييز بين الأفعال المباشرة وغير المباشرة من خلال ثلاثة فروق جوهرية:

"أولها: إن القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تلغى، فجملة أتسافر معي؟ قد تلغى القوة الإنجازية غير المباشرة وهي الطلب، ليحتفظ الفعل بقوته الإنجازية المباشرة وهي الاستفهام .

ثانيها: إن القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل واحدة لا تتغير في مختلف سياقات ومقامات التلفظ، في حين أن القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة لا تظهر إلا داخل المقام وتتغير بتغيره.

ثالثها: إن القوة الإنجازية غير المباشرة لا تدرك إلا عبر عمليات ذهنية معقدة أحيانا، أما القوة الإنجازية المباشرة فنفهم من التركيب ذاته" (3).

(1) علي عزت، المرجع نفسه، ص 53.

(2) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ص 82،83 .

(3) محمود أحمد نحلة، المرجع نفسه، ص 83.

نقد ومراجعات:

يعد اقتراح سيرل الخاص بإعادة تصنيف الأفعال الإنجازية تعديلا لآراء أوستن، ويأتي هذا الاقتراح في إطار انتقاداته لجوانب كثيرة في نظريته، وليست آراء أوستن فقط هي التي تعرضت للنقد والمراجعة، بل حتى مقولات سيرل كان لها ذلك.

استغل تحليل فعل الكلام بطريقة قيمة في تحليل وظيفة اللغة والتواصل بين الوظيفة وتركيبات القواعد، خاصة فيما يتعلق باكتساب الطفل وظائف معينة، كقدرته على التفريق بين الطلبات المباشرة وغير المباشرة، كما ازدهرت الدراسات اللغوية الاجتماعية التي تبحث في التراكيب اللغوية لأفعال الكلام وكيفية تغيرها، تبعا للجنس والسن، ودور المتحدثين والمستمعين، إلا أن البحث لم يصل حد النظر في التواصل بين النص المكتوب ونظرية أفعال الكلام. وعلى الرغم مما أفادت به هذه النظرية الباحثين إلا أن هناك مشاكل تحول دون تطبيقها على تحليل اللغة، منها:¹

1/ إنه من غير الممكن أن يكون للمفوز الواحد وظيفة واحدة، لذلك لا يمكن الحديث عن لزوم قصد المتحدثين للمفوضات، خصوصا إذا استعمل المتكلم ملفوظا خارج السياق وأن يكون في ذهنه أكثر من قصد، فوظائف الكلام قد تتداخل. وقد يحتمل الملفوز الواحد أكثر من وظيفة واحدة. ومهمة وظائف الكلام لا يمكن أن تكون دقيقة وصحيحة إلا إذا عملت على التواصل بين نيات المتحدثين، فالوظيفة لا تقيم في اللفظ، ولكنها تتأتى من المتحدث الذي يلفظ التراكيب، ودراسة قصد المتحدث من الموضوعات التداولية.

2/ التصنيفات المقدمة غير واضحة، فكيف تتعلق بعضها ببعض؟، هل عن طريق التدرج أو عن طريق الأصل والفرع؟ (مثلا التوجيهات (الأصل) والطلب والالتماس

¹ ينظر: عيد بليغ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص

والسؤال (فروع منها)، ثم كيف تكون هذه التصنيفات مفيدة لنظرية أخرى وللتدريس إذا كانت غير منظمة؟.

قام ستراوسن p.f strawson بدراسة مفصلة عن القصد والعرف باعتبارهما عنصرين تداوليين في نظرية أفعال الكلام بعنوان: intention and convention in speech act يبين فيها أثر العرف في تحديد القوة الإنجازية للأفعال وفقدانها لهذه القوة نتيجة الاستعمال. ويشير ستراوسون إلى أمرين يتعلقان بالعرف والقصد هما¹:

- إن طريقة أدائنا الكلام تخضع للأعراف اللغوية، فهي التي تحدد استعمالنا للفظ ومعناه، وكيف يستهلك المعنى قوة اللفظ، وكيف لا يستنفذها كالتحذير غير اللفظي (بالإشارة فقط) متعارف عليه والتحذير اللفظي هو كذلك أيضا.

- عدم التسليم بأن أي طريقة وضعت بشكل صحيح هي عرفية متفق عليها، فإن كانت مسألة التحذير سميت بأنها طريقة عرفية، فذلك ليس سببا للتأكيد على أن كل الطرائق الإلقائية عرفية أيضا.

يخلص ستراوسون إلى أن بعض طرائق الكلام عرفية وبعضها الآخر ليس كذلك، ويتساءل عن إصرار أوستن إثبات عكس هذا الأمر، هل يمكن أن يكون قد وقع في الخطأ وعم نتائج بعض الأمثلة على حساب نتائج أمثلة أخرى؟، ثم يرى أن المدة الزمنية التي أنفقها في التحقق من هذه الملحوظة تدفعه إلى القول: إنه لا معنى لأن تكون طريقة كلامية ما عرفية ما لم يكن لها معنى أو هدف منها، ولعل الأمر الذي دفع أوستن إلى الإدعاء أن الطرائق الإلقائية بشكل عام عرفية لابد أن يكون متعلقا بمجالات خاصة من خلال شكلها الأدائي للطرف الأول في الحوار².

¹ P.F. Strawson, Intention and comention in speech act, in basic topics in the philosophy of language, p43 -44.

² ينظر، ب،ف، ستراوسون، المرجع نفسه، ص 43 - 44.

إن نظرية أفعال الكلام، وعلى الرغم من كونها من أولى النظريات التي بحثت العلاقة بين الفعل والإيصال، قد واجهت نقدا بسبب معجمها الاصطلاحي، كما أنها اهتمت بالتمييز بين أفعال الكلام الثلاثة وأهملت مفاهيم أخرى ذات صلة وثيقة بها، كمفهوم السياق العرفي المؤسساتاتي.

ويبقى مفهوم العرف ضبابيا في هذه النظرية، ما دفع أوستن إلى التصريح بأنه من الصعب تحديد بداية العرف ونهايته، كما أن النقد وجه إلى كل من أوستن وسيرل بسبب انشغالهما بتقديم وعرض نموذج أحادي لأفعال الكلام (سيرل اهتم بفعل الوعد مثلا)، ولم يهتما بالإيصال ككل متداخل، فلا ينجز فعل معزولا عن الآخر، وحبذا بعض الفلاسفة واللغويين الدارسين لهذه النظرية، لو أنها عرضت ونشرت بشكل واسع، كما فعل فتجنشتاين في نظريته ألعاب اللغة Language games (نشرت في كتابه أبحاث فلسفية 1953)، بل ذهب بعضهم حد التشكيك في طرح أوستن، ناسبين مفهوم فعل الكلام Locutionary act وفعل قوة الكلام illocutionary

act إلى مفهومي فتجنشتاين sentence radical و modal element¹.

كما انتقد اللساني جيفري ليتش نظرية أفعال الكلام وعاب عليها الخلط بين الفعل النحوي (الوظيفي) والفعل الإنجازي، ثم إنه ربط بعد ذلك في طرحه مفهوم التأديب politness، الأفعال التوجيهية والأفعال الإلزامية التي صنفها سيرل بالأهداف التنافسية في مبدأ اللباقة tact maxim، مشيرا إلى أنه كلما كانت قوة الفعل غير مباشرة كلما كان أكثر تأديبا².

كما يلفت "دريدا" النظر إلى أن هناك أخطاء فادحة في نظرية أفعال الكلام وأن القصد في هذه الأفعال يستحيل معرفته والجزم به، كما أن أثر فعل القول لا يمكن التنبؤ به. وهو يسمي هذه الظاهرة كالتفتح الشبيه بانفلاق النبات وانتشار البذور

¹ ينظر: منصور العجالي، نظرية أفعال الكلام كيف ننجز الأشياء بالكلمات، www.alinbratur.com.

² ينظر: leech the principles of pragmatics, p 131.

dehiscence، ثم يذهب إلى أن هذا لا يلغي القيمة الكبيرة لهذه النظرية، خاصة فيما يتعلق بالسياق العرفي والمحيط وعلاقات الأشخاص، وهو الأمر الذي حد من سلطة أحادية المنظور التقليدي على الرغم من أنها وقعت في مأزق شبه هو معالجتها للبنية الصوتية، كفعل التلفظ، وهمشت دور بقية الأبنية الأخرى¹.
 وثم رأي لفرانسييس جاك (francis jaque) 1982 تعرضه فرانسواز أرمينكو يرى أن التحليل وفق المنظور التداولي يقلل من أهمية وذاتية تعلق الحوار بالمتكلم ومنحه المعنى للتخاطب، ليولي ذلك إلى العلاقة التخاطبية ذاتها².
 ويذكر "زنسيسلاف" أن تحليل "سيرل" لأفعال الكلام غير مكتمل، فما وصفه سنة 1971 بأنه أفعال كلامية هي جوانب فقط من المنطوقات اللغوية، كما أن سيرل استخدم أمثلة مفردة دائماً لتوضيح تحليله، وهذا التحليل كما يرى هـ إيزنبرج (h. isenberg) عام للغاية، كما أن مفهوم الفعل الكلامي ضيق جداً لسببين:
 الأول: أن الأفعال تتداخل في أنشطة أكثر تعقيداً مما وصف، والثاني: إجماله لعلاقة الأفعال بأبنيتها السطحية³.

ملاحظات غيره لنظرية الأفعال الكلامية أهمها، ما يأتي:

- إن واقع استعمال اللغة يصعب من عملية وضع معيار للصواب والخطأ، أو للنجاح والإخفاق في أداء الفعل الإنجازي، وبالتالي عدم الفصل في التأثير بين الملفوظية الإنجازية والتقديرية، فالفعل الإنجازي "أعذر" يقتضي التأكيدات الآتية: (هو في صدد الاعتذار ، هو يأسف على تصرفه)، وكذلك الأمر بالنسبة للتقديرات التي تتأثر بما في الإنجازات من إخفاق. فعدم الصدق من شأنه أن يتعلق بالتأكيد،

¹ ينظر منصور العجالي، نظرية أفعال الكلام، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، www.alimbratur.com

² ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، ص 83 وما بعدها.

³ ينظر: واورزنيك، مدخل إلى لغة النص، ص 28 - 29.

كما يتعلق بالوعد، فقولك: هو كذلك دون الإيمان بذلك، يشابه قولك: "أعد" و في نيتك إخلاف وعدك¹.

- كما أن نظرية الأفعال الكلامية لم تضع معيارا قواعديا للأفعال الإنجازية، فالقول إن هذه الأفعال مصرفة في المضارع مع ضمير المتكلم ليس معيارا صحيحا دائما، فالملفوظ: مسموح لك بالعمل، يعادل أسمح لك بالعمل، فكلاهما فعلاّن إنجازيان، كما نجد الشكل ذاته في الأفعال التقريرية مثل: أركض².

- إن هناك عددا من الملفوظات يصعب تصنيفها: فليس للإنجازية حدود خاصة بها مثل الملفوظ: أنا سعيد باستقبالك، القريب من: أهلا وسهلا بك³.

- اعترض سيرفوني على تصنيف أوستن التأكيدات ضمن الإنجازيات، فهي مع ذلك تحتل الصدق أو الخطأ، فإذا قيل: أؤكد أن الأرض مسطحة، فيمكن الرد ب: هذا خطأ⁴.

ويمكن القول إن كل الملاحظات التي قيلت عن نظرية أفعال الكلام، عابت التجريد والتعقيد الذي اتسمت به، كما أنها لم تراعى الطبيعة الاستعمالية للغة، وعلى الرغم من ذلك تبقى رافدا من روافد التداولية التي استوعبت تعقيداتها وتجريداتها ومعيارياتها في تحليل استعمالات الظواهر اللغوية وتعدت الوصفية التي اكتفت بالوصف الشكلي للتركيب اللغوية.

¹ ينظر: جون سيرفوني، الملفوظية، ص 92.

² ينظر: جون سيرفوني، المرجع السابق، ص 93.

³ ينظر: جون سيرفوني، المرجع نفسه، ص 94.

⁴ ينظر: جون سيرفوني، المرجع نفسه، ص 95.



الفصل الثاني:

القصدية من الفلسفة إلى اللغة

مفاهيم وتحديات



الفصل الثاني:

القصدية من الفلسفة إلى اللغة

مفاهيم و تحديدات

يشكل المعنى اللغوي بمختلف قضاياها زاوية هامة في تحليلات فلاسفة القرن العشرين, وبداية القرن الواحد والعشرين سواء في أوروبا أو في الدول الناطقة بالإنجليزية(عدا بريطانيا) .

والمتتبع لكتابات رواد الفلسفة المعاصرة يدرك ذلك بوضوح, بدءا بفرانز برنتانو (1838-1917) الذي حاول تفسير: كيف للأفكار أن تدور حول موضوعات خارج العقل وهي أحداث عقلية في حقيقتها؟, ومرورا بغوتلوب فريجه (1848-1925) الذي عالج إشكالية الاختلاف في المعنى بين (أ) هي (ج) و (ب هي ج) الذي يوجد حتى عندما يدل (أ) و (ب) على الشيء نفسه, وكذلك رودولف كارناب(1891-1970) الذي اثبت أن الاستيمولوجيا ترتبط ارتباطا حميما بنظرية المعنى أثناء إجابته عن سؤالين هامين: الأول: كيف يمكن أن يوجد صدق بمقتضى المعنى فقط؟, والثاني: كيف يمكن ان توجد معرفة أولية؟, أما كواين(1908-2000) فقد وجد ما أسماه المعنى المعرفي cognitive meaning حيث بحث عن أساس موضوعي ترتكز عليه عندما تدل تعبيرات مختلفة على معنى واحد. كما بيّن دونالد ديفيدسون(1917-2003) كيفية تحديد معاني الجمل بتحديد معاني كلماتها¹.

وهاهو الفيلسوف الإنجليزي بول غرايس (1913-1988) Paul Grice الذي لقب بفيلسوف المعنى, يقول عما سببه له انشغاله بهذا الإشكال: " لقد سبب لي كثيرا من القلق وأحدث أيضا توقّدا أكثر من أي جانب آخر " ².

إن حديث الفلاسفة واللغويين عن المعنى وما يدور في فلكه من مفاهيم, لم يخل من ربطه بمفهوم آخر لا يقل أهمية عنه هو القصد الإبلاغي, و هو ما عرف في الدراسات الفلسفية واللغوية ب: القصدية Intentionnalité و إدخال مفهوم القصدية في فهم كلام المتكلم وتحليل العبارات اللغوية مبدأ أخذ به فلاسفة نظرية الاستعمال في المعنى (فتجنشتاين المتأخر, أوستن, غرايس,

¹ ينظر صلاح إسماعيل , نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس, ص 07

²Paul Grice , studies in the way of words, p349

نقلا عن: صلاح إسماعيل, المرجع السابق ص 08

ستراوسن, سيرل) الذين أعطوا المتكلمين ومقاصدهم مكانة محورية عند تفسير المعنى على خلاف النظريات الصورية للغة.¹

وقد أدرك الدارسون منذ بداية بحوثهم " وجود توتر دائم بين الألفاظ والمقاصد وبين السعي الى بناء نحو كلي و التعبير بلغة ذاتية عن الحياة الباطنية, مصدر التوتر هو ان اللغة ذات وجود مجرد, مادامت في خدمة الجماعة, بينما تحظى فنون التعبير بقيمة شخصية مادامت في خدمة الفرد... , لذا يجب التراجع عن دراسة اللغة كبنية وعن دراستها كترات من اجل اختزالها إلى الأفعال القصدية فالمتكلم يريد تحقيق مسعى معين أي إنه يقصد شيئاً بكلامه, وحينما يتعرف القارئ والسامع على مراد المتكلم يكون قد توصل الى فهم لغته, فالمفردات المجردة عن القصد مجرد لغو, وتظهر القيمة النفسية للغة في فعل القصد " ²

إن الطبيعة الخاصة للقصد جعلته مفهوماً يحكمه منطق خاص يميزه عن بقية المفاهيم الأخرى, فبقليل تأمل فيما نقول نجد أننا نتكلم مسلّمين بوجود ظاهرة اسمها القصد فتحدث عن أفعال نقوم بها بقصد لتمييزها عن أخرى نقوم بها دون قصد, وعدم فهم الغير لقصدنا من فعل ما, خاصّة إذا ما كانت النتائج التي ترتبت عنه غير مقصودة من قبلنا, وتحدث عن إخفاء نوايانا الحقيقية ونرفض التعبير عنها, نقول ذلك من دون منطق يحكم استخدامنا لألفاظ " القصد و النية " في العبارات التي تصفها أو تعبّر عنها أو تلك التي تضيف صفة القصدية على الأفعال. وقد استخدم الفلاسفة المعاصرون حججا و براهين لبناء اتجاهاتهم المختلفة حول طبيعة القصد, خاصة تلك التي ترفض القصد ظاهرة موضوعية.³

للقصد خصائص منطقية عامة تميزه و تحدد علاقته بمفهوم الفعل البشري, أولها: ان القاصد هو أعلم الناس بمضمون نيته, وهو أقدر الناس على إخفائها, وهذا التصور الذاتي لطبيعة القصد ينطبق على كافة الظواهر الذهنية الأخرى, التي تمتاز بصفة الإدراك الشخصي, وهو المعيار الذي أشار إليه برنتانو Bentano الذي أكّد قصديّة الظواهر العقلية بصورة جوهرية, فالظاهرة العقلية لها محتوى أو

¹ ينظر النظرية القصدية في المعنى عند غرايس ص 01

² عز العرب لحكيم ببناني, الظاهراتية وفلسفة اللغة تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية.ص28.

³ ينظر: شقيقة بستكي, دراسة في القصد المنطق والانطولوجيا, ص 142

مضمون في ذاتها، ففي الحكم يتم تأكيد شيء أو نفيه وفي الحب يتم حب شيء ما، وفي الكراهية كراهية شيء ما...، ويمكن ضمّ الظواهر الذهنية إلى ذلك فيكون الاعتقاد اعتقادا بشيء ما، وفي النية يتم انتواء شيء ما، وبهذا تختلف الظواهر الذهنية (النفسية) عن الظواهر الطبيعية (الفيزيقية) اختلافا جوهريا.¹ ويعبر عن ذلك في اللغة بالأفعال التي تأخذ مفعولات مثل: يعتقد فلان شيئا، وينوي فلان شيئا، ويتذكر فلان شيئا...

و تميز الخواص المنطقية بين القضايا المعبرة عن ظواهر عقلية، والقضايا المعبرة عن الظواهر الفيزيقية التي تسمى العلامات القصديّة Intentionality Marks، التي تعني أن القضايا الذهنية فقط ليست ما صدقية. ويمكن تحليل العلاقات القصديّة في خاصيتين منطقتين هما:²

- سقوط التعميم الوجودي Invalidity of Existential Generalization

- عدم الشفافية Referencial opacity

وأشار بعض الفلاسفة المعاصرين ومنهم شيزم ChishlOM إلى أن المعيارين السابقين غير كافيين لتمييز فئة القضايا الذهنية ومنها القضايا القصديّة، و ذلك لان ألفاظا أخرى تتحقق فيها الخواص المنطقية نفسها .

تقوم الخواص المنطقية المميزة لقضايا القصد على أساس العلاقة المتينة القائمة بينها وبين الأفعال البشرية. ومنه فقضايا القصد تختلف عن قضايا الاعتقاد مثلا من حيث محتوياتها ومظاهرها الواقعية. فمع ان كلاهما يعبر عن حالات ذهنية أكثر من مجرد التفكير بما سوف يكون فمحتوى الاعتقاد عبارة عن جملة اسمية تعبر عن حقيقة معينة يعتقد بوجودها وتقابل واقعا او لا تقابله ويمكن الحكم عليها بالصدق والكذب في حين أن محتويات النية و القصد عبارة عن أسماء أفعال مستقبلية ولا يمكن إضفاء صفات الصدق والكذب عليها، فلا يمكن تصور قضايا نية ذات محتويات ضرورية أو متناقضة لأنها مستقبلية الاتجاه أساسا، ولأنها تشير إلى أفعال إرادية غير حتمية، ومنه فإضافة لفظ النية لأي قضية لا يغير من طبيعتها الأصلية.³

¹ينظر: شفيقة بستكي، المرجع نفسه ص 144

²ينظر: شفيقة بستكي، المرجع نفسه ص 145

³ينظر: شفيقة بستكي، المرجع السابق ص 149/148

ولعل هذا ما دفع بعض الفلاسفة المعاصرين إلى عدم اعتبار عبارات القصد والنية قضايا ولا حتى أشباه قضايا لأنها لا تلتزم بمنطق القضايا, ورغم ذلك وحتى وان لم تكن عبارات القصد قضايا فهي أشباه قضايا, لأنها تدل على حقائق أو تشير إليها على الأقل, وهذا رأي إحدى المدارس الفلسفية المعاصرة حول طبيعة القصد فهو ظاهرة تحصل في الواقع مثل ظواهر سقوط المطر وشروق الشمس.¹

القصد و الوعي:

إن هناك علاقة وثيقة بين القصد والوعي, فالقول بتوفر القصد لفعل شيء يعني أن القاصد قد عزم عليه وذلك بوضع خطة لتنفيذه, أي يقصد ذلك في حالة وعي ليخطط ويحدد خطوات تنفيذ الفعل المقصود. والسؤال المطروح: هل القصد فعل يعبر عن حالة واعية يمر بها الفاعل؟. يتفق كل من هنتر 1978 Hunter و هورنسي 1981 HorensBy إن فعل اتخاذ القرار مثلا يحتاج إلى: انتواء الشخص اتخاذ قرار, الاستعداد لاتخاذ قرار ومحاولة اتخاذ قرار مناسب, الفشل أو النجاح في اتخاذ القرار, سهولة أو صعوبة القرار, إلا أن القصد لا يتوفر على هذه المقاييس, ومنه فتوفر القصد ليس كفعل اتخاذ القرار فهو ليس فعلا واعيا بل هو مجرد حالة واعية, فلا يلزم عن توفر القصد, انتباه القاصد المتواصل لموضوع نيته في كل لحظة من لحظات إضفاء النية عليه.²

اختلفت التحاليل الفلسفية الباحثة عن طبيعة القصد وعلاقته بالفعل, حيث أنكروا بعض الفلاسفة المعاصرين إمكانية وجود علاقة سببية بينهما وذلك لعدم توفر شرط الوصف المستقل للسبب عن النتيجة الذي وضعه هيوم, وحثهم أن العلاقة الحقيقية بين الفعل من جهة والنية والاعتقاد مجتمعين من جهة أخرى هي علاقة منطقية, لأن الفعل مرتبط ارتباطا جوهريا بمفهوم النية, وذلك إما لأن النية لا تحدد إلا بموضوعها (الفعل), وبالتالي لا تميز عن الحالات العقلية الأخرى, أو لأنه لا يمكن التحقق من النية إلا بنتيجتها (وقوع الفعل), والرد على هذه الحجة هو القول بوجود الحجة المنطقية التي لا تقوم بين الظواهر والوقائع (وقوع ظاهرة النية أو التعبير اللغوي الواصف لها), كما بين هيوم. وإنما تقوم بين القضايا (العبارات اللغوية التي تصف الظواهر), وبالتالي فالعلاقة

¹ينظر: شفيقة بستكي' المرجع نفسه ص 153

²ينظر: شفيقة بستكي, المرجع نفسه ص 154

السببية هي الرابط بين الفعل والقصد والاعتقاد حتى وان كانت العلاقة المنطقية تربط بين عبارات الفعل وعبارات النية و الاعتقاد.¹

بحث الفلاسفة طبيعة القصد وعلاقته بالفعل وارتباطه بالوعي أو خروجه عنه, كل ذلك للإجابة عن التساؤل الأساسي: هل القصد ظاهرة موجودة في الواقع أم لا؟.

برز اتجاهان فلسفيان تحليليان رئيسان رافضان لظاهرة القصد:²

الأول: يتمثل في كتابات انكسوم³ Anscombe 1963 الداعية إلى اعتبار القصد صفة للفعل فقط: أي لا يكون جوهرًا أوليًا وليس له كيان مستقل عن الفعل فعندما نصف فعلا بأنه مقصود فإننا لا نضيف إلى أصله شيئًا.

أما الاتجاه الثاني فيتزعمه هنتر الذي ينفي أن يكون القصد اسما لصفة من صفات الفعل البشري, وبحث في الأغراض اللغوية التي تتحقق باستخدام لفظ القصد, فحقيقة لفظ القصد انه وجد في اللغة لغرض توفير وسيلة مناسبة لتفويض توقعات الآخرين حول ما سنقوم به من أفعال دون ان يلزمنا ذلك بالقيام به أخلاقيا أو قانونيا, على عكس السلوك اللغوية الأخرى كلفظ (الوعد) أو (الضمان) التي تلزم الناطق بها بالقيام بها.³

إن من أهم نقاط الضعف في الاتجاه الأول افتراض الصفة بالموصوف او القصد بالفعل واستحالة وجود الصفة بدون موصوف, فكثيرا ما نتحدث عن تغير نياتنا قبل القيام بالفعل, فكيف نفسر توفر الصفة دون الموصوف في تلك الحالات؟⁴

أما بالنسبة للاتجاه الثاني فرغم نجاحه في تفسير استخدام ألفاظ " أقصد " و " أنوي " في مجال الإعلان عن النوايا, إلا أنه لم يستطع تفسير ظاهرة إخفاء النيات على الآخرين حتى وان لم يعلنوا عنها. ولكن من جهة أخرى قد تخفي نياتنا الحقيقية و لانعلن عنها, فكيف يمكن أن يكون

¹ ينظر: شفيقة بستكي, المرجع السابق ص 162/163.

² ينظر: شفيقة بستكي المرجع نفسه ص 164

³ ينظر: شفيقة بستكي لمرجع نفسه ص 164

⁴ ينظر: شفيقة بستكي المرجع نفسه ص 167

القصد (النية) حينئذ عبارة عن تفويض توقعات الآخرين حول ما سنقوم به دون إلزامنا القيام به،
فإخفاء القصد يضفي تناقضا على مفهومه الذي نادى به التحليل اللغوي¹.

تاريخ مفهوم القصدية:

والقصد أو العني مصطلح ذكر في العصور الغابرة حيث أوجد المدرسيون في العصر الوسيط للدلالة على العلاقة بين القصد وموضوعه، أو العلاقة التي تربط المدرك بالمدرك أو شيء ما إطلاقا، لقد فرقوا بين العني الأول **prima Intentie**، أو العني المباشر **Intentio Directa**، و هو إدراك الأشياء الفريدة في الترابط الطبيعي لها، وبين العني الثاني **secunda Intentia**، أو العني التأملي **Reflexa Intentia** وهو إدراك العام من المفاهيم والبنى التصورية.²

وفي حوار خارميس يقول أفلاطون مثلا إن السمع لا يكون إلا لأصوات معينة، والإحساس لا يكون لذاته بل لموضوعات معينة محسوسة... إذ يصعب أن يكون تعلق الشيء بذاته. و أرسطو أيضا قال بذلك، فالإدراك الحسي بالنسبة إليه، ليس أبدا إدراكا لذاته بل هو إدراك لشيء يتعداه، وفي موضوع آخر³، يقول: " إن المعرفة و الإدراك الحسي والرأي والتفكير. إن هذه جميعا تتخذ شيئا آخر غيرها كموضوع لها ولا يكون تعلقها بذاتها إلا على نحو جانبي " ⁴.

ومصطلح القصد مشتق من الكلمة اللاتينية **intendo** أو **intendio** بمعنى الشد أو المد أو التوجه نحو⁵، لكن الفلاسفة المتأخرين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر استخدموا الفعل **intendo** كمصطلح في يدل على المفهوم **concept**، وكان هذا المصطلح الفني ترجمة أخرى لمصطلحين عربيين هما المعقول **Maqul**، و **Mana** الشيء الموجود أمام العقل في التفكير، فالأول ترجمه الفارابي عن الكلمة اليونانية **Noema** والثاني من وضع ابن سينا، ومنه يمكن القول إن المصطلحات **Intendio** و **Mana** و **Maqul** و **Noema** مترادفة على نطاق واسع إذ

¹ ينظر: شفيقة بستكي المرجع نفسه ص 168

² ينظر: انطوان خوري، مدخل الى الفلسفة الظاهرانية ص 184

³ ينظر: انطوان خوري، المرجع السابق ص 183

⁴ ينظر: انطوان خوري، المرجع نفسه ص 184

⁵ ينظر: صلاح اسماعيل، فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل ص 169.

وينظر: محمد شوقي الزين، الفينومينولوجيا وفن التأويل، ص 02.

تستعمل جميعها للدلالة على الأفكار والمفاهيم أو أي شيء كائن أمام العقل في التفكير, كما ترجمت Intence إلى الإنجليزية على أنها Intention للدلالة على القصد بمعناه العادي.¹

ثم اتبع فلاسفة العصور الوسطى الفارابي في التفريق بين المقاصد الأولى والمقاصد الثانية, فالمقاصد الأولى تعنى بالأشياء وملاحظها خارج العقل, أما المقاصد الثانية فهي المفاهيم التي تعلق بالمقاصد الأولى, ثم طور هؤلاء الفلاسفة نظريات حول ارتباط المقاصد بالأشياء المعنية, و رأو أن المقاصد الثانية تشكل موضوعات للمنطق, كما استفادوا من نظرية أرسطو حول إدراك الشيء من غير استقبال لمادته. فعندما أفكر في الطاولة توجد صورة الطاولة في عقلي, ولكن وجودها في عقلي يختلف عن وجودها في الواقع الخارجي, ففي الطاولة الواقعية صورة الطاولة لها وجود في الطبيعة ولكن في فكري عن الطاولة, صورة الطاولة لها وجود قصدي.²

ظل مصطلح القصدية مغمورا حتى أحيي لأول مرة على يد الفيلسوف فرانز برنتانو Franz (1838-1917) Brentano في كتاب " علم النفس من وجهة نظر تجريبية عام 1874 الذي يعد مصدر التفكير الفلسفي في العقل و القصدية في الفكر الأوروبي المعاصر, كما تعتبر القصدية من أشهر نظرياته على الإطلاق.³

فرغم الأوضاع الإدارية المححفة التي كان يعاني منها برنتانو إلا أن ذلك ساهم في نشر أفكاره بصورة واسعة خارج جامعة فينا التي كانت تشهد نزعات علماوية و وضعية من قبل الوضعية المنطقية وحلقة فينا, مما أدى إلى تطوير مذهبه الأصلي في صورة مختلفة (مدرسة الجيشتالت مع كريستيان فون ايرنغيل Christian von Ehrenfels (1932/1859). و مدرسة ليمبرغ في فلسفة المنطق مع تفاردفسكي (1938-1866) Twar Dowsky وفلسفة الادب مع رومان إينغاردن-R Ingarden ولعل مدرسة الظاهراتية التي أسسها هوسرل من أهم المدارس التي طورت الأفكار الفلسفية لبرنتانو، وقبل أن يظهر اشتغال هوسرل على المقاصد, شهدت مدرسة برنتانو تطورا جديدا

¹ ينظر: صلاح إسماعيل المرجع السابق ص 169

² ينظر: صلاح إسماعيل المرجع نفسه ص 170

³ ينظر: صلاح إسماعيل المرجع نفسه ص 171.

وينظر: عز العرب لحكيم بنلني، الظاهراتية وفلسفة اللغة تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية، ص 09.

ببراغ مع أعمال أنطون مارتى (1847-1914) الذي كان معاصرا لهوسرل في ضوء مبحث الدلالة , فقد كان مارتى من الرعيل الأول الذي انضم إلى حلقة برنتانو بعد أن ناقش رسالة في أصل اللغة سنة 1875, وتبنى مذهب سيكولوجية المقاصد التي تبحث في الوظائف النفسية وطبيعتها القصدية في صورتها الفلسفية العامة, ليشكل الإطار الفكري الذي تبلورت فيه أعماله الفكرية لتتخذ صورتها المتميزة.¹

ركز مارتى تركيزا شديدا على التصور المنطقي في طرح أفكار أستاذه برنتانو في خطوطها العامة, وكان يعتبر ذلك مصدر قوته الفكرية, فقد اعتمد تمييز برنتانو بين الحدود الدالة بالذات والدالة بالتبعية, كما استثمر التمييز بين الحكم البسيط و الحكم الإثنائي, وساهم منظوره للاقتضاء والتضمن والأحكام كالوجودية في تعميق النظر إلى قضايا الدلالة والمرجع². ويشيد هوسرل بالتصور الذي وضعه مارتى حول مبحث الدلالة رغم أنهما مختلفان في الخلفية السيكولوجية التي يقيمان عليها تصورهما, فرغم اهتمام هوسرل بالبحث المنطقي - الدلالي - كما اهتم مارتى, إلا أن هوسرل يرفض إقامة المنطق على علم النفس, ثم عاد و استثمر علم النفس بعدما أخضعه لتصوره الظاهراتي الجديد في المجلد الثاني من كتابه الأبحاث المنطقية (1901), لكن الاتجاه السيكولوجي الذي بلوره هوسرل مبني على منظور فلسفي غير مطروق رغم أنه يعتبر في العمق امتدادا لسيكولوجية المقاصد لبرنتانو.³

أورد برنتانو في كتابه المذكور أنفا فقرتين مشهورتين لطالما اقتبستا في دراسات فلسفة العقل الحالية وسأوردتهما لأهميتهما على الرغم من طولها: " كل ظاهرة عقلية توصف بما سماه المدرسيون في العصور الوسطى الوجود في القصد (او العقل) للموضوع intentional (or mental inexistence of anobjectal وما يجوز أن نسميه إشارة إلى مضمون, واتجاه نحو موضوع(والذي يجب الا يفهم هنا على انه يعني شيئا thing). Direction to Ward and Object أو الموضوعية الباطنية Immanent objectivity, ولك g ظاهرة يتضمن شيئا ما بوصفه موضوعا داخلها, برغم أنها لا تعمل كلها هكذا بالطريقة

¹ ينظر: عزالعرب لحكيم بناني, الظاهراتية وفلسفة اللغة , تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية ص 09, 10, 41

² ينظر: عزالعرب لحكيم بناني, المرجع نفسه ص 12

³ ينظر: عزالعرب لحكيم بناني, المرجع نفسه ص 13

نفسها وفي التمثيل هناك شيء يتم تمثيله, وفي الحكم هناك شيء يتم إثباته؟ أو إنكاره, وفي الحب محبوب, وفي الكراهية مكروه, وفي الرغبة مرغوب و هلم جرا, وهذا الوجود في القصد هو سمة تميز الظواهر العقلية على وجه الحصر ولا تظهر الظواهر الفيزيائية أي شيء من هذا القبيل. نستطيع إذن أن نعرف الظواهر العقلية بالقول أنها تلك التي تتضمن داخلها موضوعا على نحو قصدي " ¹.

ذهب الفلاسفة العقليون المعاصرون في تفسير هاتين الفقرتين وشرحهما مذاهب شتى, وتعارضوا اشد التعارض, فما الذي يعنيه برنتانو بالتعبير؟ هل يعني أن الموضوعات التي يتجه إليها العقل تكون داخل العقل ذاته؟ أم أن العقل يمكن ان يتجه الى موضوعات لا وجود لها؟ ما الذي يتوفر للظاهرة العقلية لكي تتضمن شيئا يكون موضوعا لها؟ وإذا كان للقصدية إمكانية ربط العقل بموضوع ما سواء كان موجودا او غير موجود داخله فيمكن القول إن القصدية علاقة بموضوع قصدي: فما نوع هذه العلاقة؟ ولكنهم خلصوا جميعا إلى أن نص برنتانو يتضمن ثلاث دعاوى أساسية: الأولى: إن المكون الأساسي لظاهرة القصدية كما يظهر في الحالات العقلية كالاعتقاد و الحب والكراهية...، أنها حالات تتجه إلى أشياء مختلفة عن ذاتها. والثانية ان الموضوعات التي يتجه إليها العقل بمقتضى القصدية كلها موضوعات موجودة في القصد. والثالثة تقتضي ان كل ما هو قصدي هو عقلي بالضرورة وهو ما يسمى بدعوى برنتانو (thesis Brentano's), ورغم أن برنتانو هو أول من أحيا مفهوم القصدية في الفلسفة المعاصرة إلا انه لم يستعمل هذا المصطلح كما زعم مايكل دميث Michael Dummeth, الا أن رودل تشيزم لفت الانتباه إلى ذلك في مقال له بعنوان " القصدية ونظريات العلامات عام 1952 بقوله²: " كتب فرانز برنتانو في فقرة مشهورة أن القصدية خاصة بالظواهر النفسية. وقال ان الظواهر الفيزيائية لا تظهر اي شيء من هذا القبيل, ومن ثم فان

¹ ينظر: صلاح اسماعيل , فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل ص 173

² ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه ص 173, 174

القصدية تمنحنا معيارا لما هو عقلي او نفسي, ودعنا نشير إلى هذه الوجهة من النظر على أنها دعوى برنتانو " 1.

لقد استثمر مفهوم القصد استثمارا منهجيا في مدارس فلسفية متعددة, و تباينت آراؤهم حول الصلة الي تربط مستوى الأفعال القصدية في اللغة بمستويات البنية والتراث ومقام التواصل, وهي المستويات التي رأى فوسلرأن تجاهلها أدى إلى تحول فعل القصد إلى ظاهرة مضطربة و ملغزة بالنسبة له, مادامت الأولوية تعود للمقصود على القول المعبر عنه.²

يعتقد فوسلر ان فهم المقصود (معرفة المقصد الذاتي) لا يحتاج إلى فهم مضامين اللغة المشتركة, فهو يتخلى عن مجمل الآليات سواء كانت لغوية أو منطقية, فاللغة لا تستوفي المعنى المطلوب بذاتها,³ وهي أطروحة المدرسة الرومانسية التي ترى ان الحياة القصدية متقدمة في الزمان على الاستعمال اللغوي: " فليست المفردات اللغوية في جوهرها غير تعويض سيء عن المشاعر والأفعال والمعارف... و ضعف الإنسان هو الداعي إلى وجود فعل الكلام ومضمونه وتحمل اللغات الإنسانية في مجملها وصمة هذا القصور " ⁴ بينما يعتبر البعض - ومن بينهم هوسلر - بان فهم القصد يفترض وجود لغة تفصح فيها عن ذلك القصد وفق القواعد التي تنص عليها هذه اللغة, ويتخلى البعض الآخر (غرايس) عن الآليات اللغوية ليحتكم إلى آليات منطقية- سيميولوجية أكثر تجريدا, فمبحث القصد يدخل في إطار نظرية في العلامة تتجاوز في تجرده مستوى اللغات الطبيعية الخاضعة لضوابط محددة, ويظل التوتر بين اللفظ والقصد قائما مادامت مظاهر التوتر بين الفرد والجماعة متعددة الأشكال⁵ ومن المنظور ذاته الذي نص عليه فوسلر وبصورة مغايرة, يستثمر هرمان بول المستوى اللاشعوري الذي تستقر فيه مجموع التمثلات التي نقيمها مع العالم الخارجي وذلك لإبراز خاصية الخلق التي تصحب الإنتاج اللغوي أثناء الكلام بحيث يشير إلى ان " القصد الواعي لا

¹ صلاح اسماعيل, المرجع نفسه ص 174

² ينظر: عزالعرب لحكيم بناني, الظاهراتية وفلسفة اللغة تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية ص 28 , 29

³ ينظر: عرب العرب لحكيم بناني, المرجع نفسه ص 29, 30

⁴ عز العرب لحكيم بناني, المرجع السابق ص 29.

⁵ ينظر: عز العرب لحكيم بناني, المرجع نفسه ص 29

يتدخل عامة في خلق البنيات اللغوية.. ويظل التواصل قائما بصرف النظر عن مراحلها المبكرة الأولى. إلا أن الفرد لا يكون واعيا بدعوى وجود نية مبيتة بأنه يقوم بخلق شيء يظل ثابتا عبر الزمن بل لا يكون واعيا أبدا بنشاطه الخلاق " ¹

تنوعت الطرائق التي استثمر بها الفلاسفة وعلماء النفس مفهوم القصد، وكانت أفكار برنتانو الخلفية والمرجعية التي انطلقت منها اغلبهم حيث مثل بفكره موقفا وسطا بين اتجاهين فلسفيين تقليديين سائدين في الفلسفة الغربية هما: الفلسفة الأوروبية والفلسفة التحليلية السائدة في البلدان الناطقة بالإنجليزية عدا بريطانيا. ففي الفلسفة الأوروبية نجد الفلسفة الظاهرية أو الفينومولوجيا التي ارتقى بها ادmond هوسرل (1859-1938) إلى درجة النسقية والتنظير هي تطور لأفكار برنتانو عن القصدية، وفي الفلسفة التحليلية نجد أن القاسم المشترك بينها وبين نظيرتها في أوروبا هي السمة القصدية للأفعال العقلية مع اختلاف في التطبيق والتفسير.² واتخذ مفهوم القصدية منذ ذلك الحين معنيين اثنين سارا في اتجاهين متباينين مع أسبقية أحدهما عن الآخر و استفادة ثانيهما من الأول: ونعني بهما: ظاهراتية هوسرل، و قصدية سيرل حول الأفعال الكلامية.

بعد تخلي برنتانو في أواخر فلسفته عن استعمال لفظ قصد أو عنى (Intentio) بعدما كان قد اعتبره موضوع الظاهرة النفسية، متبنيا ما اسماه السكولاستيون (الوجود القصدى أو الوجود فى القصد)، أعاد تلميذه هوسرل إحياء لفظ القصد وتمسك به، وحاول الارتقاء بالقصدية من الصعيد السيكلوجي إلى الفلسفة الفينومينولوجية الترانسدنتالية³. و أكمل المنظور الفلسفي الذي بدأه أستاذه برنتانو " عندما رأى أن ماهية الوعي كامنة فى كونه دائما وعيا لشيء، فى كونه دائما عنيا لشيء " ⁴. فظهر فى الفلسفة ما يعرف بالفينومينولوجيا (La phenomenologie) .

¹ ينظر: عز العرب لحكيم بناني، المرجع السابق ص 37.

² ينظر: عز العرب لحكيم بناني المرجع نفسه ص 09.

وينظر: انطوان خوري، حول مقومات المنهج الفينومينولوجي ص 37.

وينظر: صلاح اسماعيل، فلسفة العقل دراسة فى فلسفة سيرل ص 172.

³ ينظر: انطوان خوري، مدخل الى الفلسفة الظاهرية ص 185.

⁴ انطوان خوري، حول مقومات المنهج الفينومينولوجي ص 37.

ويرجع اول استعمال للفظ فينومينولوجيا الى كان.ي.ه. لاميرت في المانيا (1764), ثم استعمالها كانط (1786) Kant , ومن بعده هيغل (1807) hegel و رينوفيه (1840) renvie ووليم هاملتون(1860) W.Hanael Tom و اميل (1869) Email , وادوارفون هارتمان(1879) E.F.Haretman وغيرهم... وكل واحد من هؤلاء الفلاسفة استعمالها بمعنى خاص ومختلف.¹ لكن ادموند هوسرل(1859-1938) هو اول من استعمالها للدلالة على منهج فكري واضح المعالم, فاستخدمها أولا في علم النفس لتدل على مجموعة الظواهر النفسية (الرغبة, الإدراك, الإحساس....), ومظاهر الوعي, وتقوم بملاحظة ووصف الظاهرة لأجل تحليلها واستنباط خصائصها وفهمها, ثم انتقل استعمال الفينومينولوجيا إلى الفلسفة لتعني في إطارها الفلسفي بمحاولة معالجة مشكل فهم الوجود وذلك بتحديد بنية الظواهر وشروطها العامة, أو بمعنى أدق مشكل الظهور أو الانبثاق لأي ظاهرة كانت في اتصالها اتصالا مباشرا بالوعي.² " وتفهم الفينومينولوجيا الوعي بوصفه الموضوع الذي يتم فيه كل أنواع تكوين و إنشاء المعاني...وهو الحقيقة المبدئية أو المبدأ الذي يكتب بفضله أي موجود أو موضوع كل ماله من معنى أو قيمة بالقياس إلينا, هو مركز كل وجود فكل وجود حقيقي هو وجود في الوعي " ³.

و يشيد جان غراندان بمجهودات هوسرل إذ يعتبره المؤسس الفعلي للفينومينولوجيا و يعتبرها احد أهم مظاهر عبقريته, إلا أنها لم تأخذ حظها في الانتشار إلا بعد وفاته بسنوات, ورغم المساحة الفكرية والمنهجية الضيقة التي ناور هوسرل داخلها إلا انه تمكن من تكوين جهاز مفاهيمي اصطلاحى للفينومينولوجيا بلغ ذروة دورته الوظيفية , بدءا بمصطلح الفينومينولوجيا الذي يعني الدراسة الوصفية للظواهر او العودة إلى الأشياء ذاتها, ثم الاختزال إذا الظواهر ليست ظواهر عبثية أو عفوية و إنما هي ظواهر تختزل قصدا معينا يشكل ماهية توجهها الأساس (الاختزال الفينومينولوجي) réduction phénoménologique ثم خطوة الابوخية (تعليق الحكم Epochè), لتحتل مسألة القصديّة Intentionnalité واسطة العقد داخل التراتبية المنهجية

¹ ينظر: انطون خوري, المرجع نفسه ص 30.

² ينظر: مجدي عرفه, الفينومينولوجيا والبحث في الانسان ص 4.

³ ينظر: مجدي عرفه, المرجع نفسه, ص 4.

لهوسرل¹, وان كان يرى جان غراندان أن الفينومينولوجيا بالمعنى الهوسرلي ليس فيه أي فرق معرفي جاد, فكل الفلسفات هدفها العودة إلى الأشياء والبحث عن حقيقتها وان سلكت في ذلك طرائق متباينة ولمواجهة هذا الانسداد المعرفي-المنهجي اقترح اندريه دوميرا مقارنة جديدة لفينومينولوجيا هوسرل تخرجها من الصورانية المفرطة أو الوصفية المفرطة, و تدخلها عالم المعنى والدلالات , وذلك بدحض بعض المسلمات التي رافقت توظيف هوسرل لمفهوم القصدية , فالقصدية عند دوميرا مفهوم متعدد الأبعاد و الدلالات, فليست الشعور القصدية لحاله, وليست الموضوع المعبر عن وحدة قصدية معينة ولكنها عملية تكاملية بين الذات والموضوع, اما انطلاقا من الذات (الذاتية-الموضوع subjectivité-object باتجاه الأصل-الغاية Télos-origine أوانطلاقا من الاصل-الغاية باتجاه الذات (الذاتية-الموضوع), واصطلاح دوميرا على ذلك بالفينومينولوجيا الترنسندنتالية والفينومينولوجيا الوصفية².

باستخدام التعليق الابوخي -حسب دوميرا- ينتقل موضوع الفينومينولوجيا من الموضوع الخارجي الحسي إلى المنعكس في الشعور, مما يقلب المعادلة السابقة إلى معادلة جديدة بين الشعور-الموضوع Conscience-objet والشعور-المعنى conscience-sens, على أساس المحادثة, كما بيّن هوسرل ذلك في كتابه " الأفكار " وبالتالي تصبح ماهية الفينومينولوجيا ليست ماهية وصفية تهتم بوصف العالم الواقعي, وإنما هي ماهية منطقية هدفها البحث في المعاني والتنقيب عن الدلالات. " ³

تحاول الفينومينولوجيا معالجة أول التقاء للظاهرة بالوعي - بعد أن تكون قد أثارت انتباهه- بحيث لا تبقى في مستوى الانفعالات السيكولوجية, بل تنتقل إلى عالم الماهيات قصد رصد ماهية الظاهرة التي تتجلى للوعي⁴.

¹ ينظر: جان غراندان، المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا ، ترو تقديم عمرمهليل ، ص 10.

² ينظر: جان غراندان، المرجع السابق، ص 11.

³ ينظر: جان غراندان، المرجع نفسه ، ص 12.

⁴ ينظر: انطوان خوري، حول مقومات المنهج الفينومينولوجي ، ص 11.

وينظر: جواد الزيدي، ظاهراتية هوسرل وتأسيس علم كلي يقيني، ص 1.

" و الماهية في أشمل تعريف لها هي تركيبات الظاهرات الجوهرية الثابتة وغير القابلة للتغير, هي العنصر الثابت الذي يظل باقيا في وجه الكثرة اللامتناهية من الخبرات الفردية, هي العنصر " معنى " أو " دلالة " أو " صورة " الشيء التي تظل في الذهن بملامح ثابتة مهما تنوعت الخبرات المتعلقة بها " ¹ وكلما كثرت الخبرات إلا زادتنا معرفة لهذه الماهية.

ويعود أصل مفهوم الماهية الذي استخدمه هوسرل في منهجه الفينومينولوجي إلى الأصول الرياضية لأفكار هوسرل الذي كان مأخوذا بالدقة والصرامة التي تتمتع بها العلوم الرياضية, وكيفية اتفاق العقول فيها بشكل قاطع, وكان يدرك ان هذه الدقة والاتفاق يتأتيان من الماهيات الرياضية كأسس أولية لهذه العلوم, كما ان العقل يستعين بهذه الماهيات عند قيامه بالوظيفة التكوينية, فسعى إلى اكتشافها لتكون أساسا معرفيا من أساس علمه الفينومينولوجي, حتى يقيمه على أسس يقينية وصادقة بدرجة تشبه ما هي عليه في الرياضيات.²

إن الماهيات الرياضية ليس لها وجود محسوس او حسي, بل هي معطيات ذهنية, فهي ليست موجودة في عالم الأشياء ولا مجردة منه ومع ذلك فهي معطيات يقينية معصومة من الخطأ, وبعبارة أخرى هي موضوعية, بشكل مثالي (تصوري او ذهني), قابعة في العقل ومرئية بواسطته بالضرورة كما هي بالضبط, و للماهيات - مع مختلف علاقاتها- وجود قبلي أولي فلا تعتمد في ذلك على الخبرة أو التجربة بالمعنى الضيق, لأنها قواعد كامنة في الذات التي تنبع منها كل القصدية والتمثل.³

إن ماهية الشيء في نظر هوسرل-هي معرفة الحقيقة عنه, وعند البحث في ظاهرة ما(شيء, حالة من حالات الأمور, حالة عملية, واقع اجتماعي, ثقافة, ..) فعلى الباحث ألا يقنع بالصدق العملي للمعرفة, كما تفعل ذلك العلوم الوضعية التي تحاول وضع قوانين تنبئ بما ستفعله الأشياء إذا ما توفرت شروط معينة دون اهتمام بماهي الأشياء وانما يجب ان يتمعن في الصدق الراسخ في ماهية الموضوع المبحوث فيه, وهذه الماهية هي التفسير النهائي لطريقة عمل الأشياء. إن الماهيات في المنظور

¹ مجدي عرفه, الفينومينولوجيا والبحث في الإنسان, ص06

² ينظر: مجدي عرفه, المرجع نفسه, ص6, 7.

³ ينظر: مجدي عرفه, المرجع السابق, ص07.

الفينومينولوجي هي الأساس الحقيقي الذي ينبغي أن يبنى عليه كل علم في مجاله, إذ تعتبر المعيار الوحيد لمعرفة يقينية حقيقية¹.

إن إعطاء الظاهرة معناها (او ماهيتها) يسبقه إدراك لهذه الظاهرة و الإدراك هو مجموع الدلالات التي يضيفها الوعي على الظاهرة, هو صياغة صورة لها بعدما كانت غير محددة المعالم وغير متميزة الأحكام.

والإدراك الحدسي نوعان:²

1. إدراك حدسي تجريبي (Intuition empirique) ويتمثل في التجربة وهو الوعي بالموضوع الفردي كمعطى أصلي (une donnée originaire) ويدرك أساسا في خصوصية المادية (ipséité corporelle).

2. إدراك حدسي ماهوي (Intuition eidétique): وهو الحدس الذهني الذي يتميز عن الرؤية البسيطة, التي تحتويها أفعال الوعي الأخرى (الإدراك, التخيل...), حيث تعمل عملية الحدس على استبعاد الصفات العرضية للموضوع من أجل الكشف عن الصفات الثابتة التي يؤدي محوها إلى إلغاء الموضوع ذاته مهما تنوعت تجارب الفرد وتعددت وكذا اسمها هوسرل بالثابت (invariant) إذ يتم الوعي بالموضوع الذي يرصده الإدراك الحدسي. فوظيفة الفينومينولوجيا إذن هي: " وصف عملية الإدراك فقط وتحليل الشعور لاكتشاف الماهيات الكلية الكامنة فيه التي تقوم عليها كل معرفتنا و علومنا وحيث تصبح الفينومينولوجيا حينئذ علما كليا شاملا وأساسا ماهويا يقينيا لكل العلوم الأخرى " ³.

¹ ينظر: مجدى عرفه, المرجع نفسه, ص 07.

² ينظر: محمد شوقي الزين, الفينومينولوجيا وفن التأويل, ص 01.

وينظر: مجدى عرفه, المرجع السابق, ص 07, 08.

³ محمد شوقي الزين, المرجع السابق, ص 02.

ويحتل مفهوم الماهية مكانة مركزية في الفلسفة الفينومينولوجية الى حد ان البعض يعرّف الفينومينولوجيا كلها بوصفها "علم الماهيات"¹ وهنا يستوقفنا تساؤل هام هو: ما الفرق بين علم النفس و الفينومينولوجيا مادام كل منهما يعالج موضوع الوعي؟

إن علم النفس يهتم بالوعي التحريبي أي بالوعي في الموقف التحريبي بصفته كائنا داخل نظام الطبيعة, بينما تهتم الفينومينولوجيا بالوعي الخالص حيث إن الأول له خلفية سيكولوجية حسية, أما الثاني فله خلفية سيكولوجية نظرية فلسفية.²

حيث ان هوسرل في المجلة الثاني من كتابه -أبحاث منطقية 1901- استثمر علم النفس بعد إخضاعه لتصوره الظاهراتي الجديد, و رأى أنه لا " ينبغي إقامة قضايا الفلسفة على خلفية سيكولوجية حسية, بل يفتقر علم النفس ذاته إلى مرجعية فلسفية نظرية وهنا نتقل من علم النفس التجريبي إلى علم النفس الخالص الذي يشكل محور البحث الظاهراتي الهوسرلي "³

وقد خص سارتر في كتاباته المبكرة حيزا هاما لهوسرل في ضوء مرجعية سيكولوجية التفكير وحرص على المقابلة بين المظاهرية كعلم بالوعي الخالص, وعلم النفس كعلم بالوعي المتحد بالحدس أثناء مواجهة العالم الخارجي, فعلم النفس يندرج ضمن الموقف الطبيعي (كعلم الفلك, الفيزياء..). مادام يتضمن وقائع عفوية.⁴ " بينما تشرع الظاهراتية في وضع الوجود الواقعي للأشياء بين قوسين وهو الاقتضاء الانطولوجي الذي ينتمي الى الموقف الطبيعي وحتى عندما يظل الوعي حبيس العالم, لا تختفي البنيات الأساسية للوعي المتعالي⁵ " و على الرغم من إمكانية استفادة علم النفس من المنهج الظاهراتي إلا انه لا يخطو في الغالب هذه الخطوة ويبقى حبيس الموقف الطبيعي.⁶

¹ ينظر: مجدي عرفة, المرجع السابق ص 08.

² ينظر: عزالعرب لحكيم بناني, الظاهراتية وفلسفة اللغة تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية ص09.

وينظر: محمد شوقي الزين, الفينومينولوجيا وفن التأويل ص 01.

³ عزالعرب لحكيم بناني, المرجع السابق, ص 13.

⁴ ينظر: عزالعرب لحكيم بناني, المرجع نفسه, ص 55.

⁵ عزالعرب لحكيم بناني, المرجع نفسه, ص 55.

⁶ ينظر: عزالعرب لحكيم بناني, المرجع نفسه, ص 55.

ويمكن ان نميز بين ثلاثة اتجاهات في الفينومينولوجيا هي: ¹

1. الفينومينولوجيا النقدية مع كانط: التي تبحث في الشروط الممكنة للموضوعية تؤطرها بنية الذات.

2. فينومينولوجيا المظهر مع هيجل: التي تعالج مراتب ظهور الكائن في معارضته مع الوعي وصولا إلى المعرفة المطلقة.

3. فينومينولوجيا التأسيس: التي تبحث عن قاعدة تتأسس بموجبها او ترى الوجود على أثرها كل ظاهرة معينة, فإشكالية الفينومينولوجيا تكمن في النشوء الذي يجعل من ظاهرة ذات ماهية قابلة لتلقي المعنى الذي يضيفه الوعي عليها في أول لقاء له بها, فالظواهر تتميز عن بعضها البعض وان تشابهت في المادة المكونة لها, و الاختلاف بين صور الظواهر هو محل الإشكال الذي طرحته الفينومينولوجيا, اي كيف يمكن ان نحكم بالاختلاف بين ظاهرة وأخرى, أو بمعنى أدق: ماذا يعني ان نضفي المعنى على الظواهر حتى يمكننا الإقرار بالاختلاف الكائن بينها؟²

للوصول إلى إجابة عن هذا التساؤل اللغز اوجد ادموند هوسرل أهم مفهوم تستند إليه فلسفته الظاهرية وهو مفهوم " القصدية أو الطابع القصدي للوعي " الذي يعد مفتاح الفينومينولوجيا لفهم العلاقات بين الوعي والوجود بموضوعاته أو موجوداته.

يبدو القصد بالمفهوم الفينومينولوجي لأول وهلة ضربا من الفعل الإرادي، ولكنه يستخدم في الفينومينولوجيا استخداما اصطلاحيا بمعنى اقرب إلى الإحالة *référence*, الإحالة إلى شيء ما أو الى موضوع ما, ولا يمكن أن نسمي الوعي وعيا إلا بإحالته إلى شيء أو موضوع معين ³. فلا يوجد شعور فارغ فشعورنا دائما هو شعور بشيء ما وله هدف معين وتوصف أفعال الوعي بأنها واعية إذا

¹ ينظر: مجدى عرفه, الفينومينولوجيا والبحث في الانسان، ص05.

² ينظر: محمد شوقي الزين, الفينومينولوجيا وفن التاويل، ص 01.

³ ينظر: مجدى عرفه, الفينومينولوجيا والبحث في الإنسان، ص 05.

اندجحت بموضوعات¹. " فلا يوجد فكر دون موضوع الفكر ولا الانا المفكر دون الموضوع المفكر فيه " ².

فعلى الرغم من اهتمام هوسرل بالمعنى والدلالة بالإضافة إلى المنطق فانه لم يهتم باللغة في حد ذاتها، ودعوته الرجوع إلى الأشياء ذاتها هو في الواقع دعوة إلى تجاوز الكلمات إلى الأشياء ذاتها، فالكلمات في نظر هوسرل علامات أو أدوات موضوعة تحت تصرف القصدية، فهو يفترض وجود طبقات للقصدية أو المعنى لا يمكنها أن تعرف إلا لاحقا، فان الأشياء الموجودة حولنا ليست بالبساطة التي نتصورها فما أن نسلم بوجود معنى أو قصد حتى يتشكل توجه نحو الكلمة، نحو حضور يتميز بدلالة لا تنجلي إلا داخل عنصر اللغة.³ أعطى هوسرل مفهوما جديدا للقصدية فابرز الوحدة العضوية التي تشد الفعل ماهويا إلى شيءه - رافضا بذلك تعريف ديكرت للوعي تفكيراً لأنه لا يبرز وحدة التفكير والمفكر فيه فلا يكون الفعل بدون شيءه، ولا يكون الشيء بدون فعل عنيه، وبالتالي فالقصدية ليست علاقة بين ذات مستقلة وموضوع خارجي إنما الوحدة العضوية بين التفكير و المفكر فيه بصفتها مميز لبنية الوعي ماهويا.⁴ وبذلك تكون القصدية " علاقة إحالة متبادلة بين الوعي أو أفعال الوعي وموضوعات الوجود الخارجي... وهذه العلاقة هي ما يعطي الوعي صفاته الأساسية. " ⁵ والوعي فعل في الزمن، هو فعل يعني شيئاً، وفعل العني او القصد تندرج تحته جميع أفعال الوعي باختلافها وفيه يحقق الوعي ذروة حركيته وتعلقه الماهوي بالأشياء (التعالوي)، وكل فعل من أفعال الوعي له موضوع معني به على نحو خاص، فالإدراك له مدرك على نحو خاص والتذكر يعني متذكر على النحو التذكري الخاص.⁶

يقول هوسرل عن هذه العلاقة: " في كل الخبرات النفسية الصافية، في إدراك شيء، في الحكم بشأن شيء... في التمتع بشيء... في الأمل في شيء... فان هناك في صلب المسألة

¹ ينظر: جان غراندان، المنعرج الهرمينوطيقي للفينولومينولوجيا، ص24.

² محمد شوقي الزين، الفينومينولوجيا وفن التأويل، ص02.

³ ينظر: محمد شوقي الزين، المرجع نفسه، ص 25.

⁴ ينظر: انطوان خوري، مدخل الى الفلسفة الظاهراتية، ص 187.

⁵ مجدي عرفه، الفينومينولوجيا والبحث في الانسان، ص 05.

⁶ ينظر انطوان خوري، المرجع السابق، ص 182.

وجود يتم التوجه نحوه. ان الخبرات قصدية وهذا الوجود الموجه نحوه ليس متصلا بالخبرة في شكل مجرد إضافة فقط, أو بشكل مؤقت وعرضي كما لو أن الخبرات يمكن أن تصبح على ماهي عليه دون العلاقة القصدية " ¹, وحتى يكتمل فهمنا لحقيقة الفعل يجب ان نفهم موضوع الفعل وماذا يقصد هوسرل بالموضوع؟ إذ الخطأ ينجم من سوء فهم موضوعية الموضوع بعيدا عن الذات الواضحة.

يستعمل هوسرل كلمة " موضوع " التي هي ترجمة لكلمة Objekt الألمانية للدلالة على موضوعات التجربة العادية ويسميتها " الموقف الطبيعي " ويقابله بالموقف الترانسندنتالي " الذي تعود موضوعاته من خلال التأمل إلى تعلقها بالوعي و يصبح " الموضوع " ترجمة للكلمة الألمانية Gegenstand التي تعني الوقوف قبالة الوعي (وهوما يترجمه انطوان خوري بالاوزوع) وهذا الاوزوع القصدي أو المعنوي يسميه هوسرل تضايفا نواطيا-نماطيا².

وتجدر الإشارة هنا إلى أن برنتانو تكلم قبل هوسرل عن الأفعال النفسية وأفعال التمثيل (القصد), وعلاقة الموضوع بالذات القاصدة, ورأى أن كل ما يشغل تفكيرنا, ويدخل ضمن دلالة العبارات سواء كانت عبارات تخص الأشياء المحسوسة او الحالات النفسية, فإنها جميعها تشكل موضوع تفكيرنا, والذات التي تقوم بعملية القصد ليست مكونا خارجيا يدخل في صلب العلاقات الدلالية الموضوعية, ولا ذات شكلية صورية فارغة, بل هي الأساس في بناء الدلالة لأنها مجموع مضامين قصدية تحتل عليها³. انها الذات الفاعلة التي تجعل من كل شيء موضوعا لها أي تدخل في علاقة شيء ما, هذه العلاقة بسيطة ولا ترتد من الزاوية التكوينية إلى ظاهرة أكثر منها بساطة و قد أطلق الفلاسفة المدرسيون مصطلح العلاقة القصدية المرجعية intentionale Beziehung على هذه العلاقة⁴.

¹ مجدي عرفه, الفينومينولوجيا والبحث في الانسان, ص 05.

² ينظر: انطوان خوري, مدخل الى الفلسفة الظاهرية, ص 188 / 189.

³ ينظر عز العرب لحكيم بناني, الظاهرية وفلسفة اللغة تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية, ص 56.

⁴ ينظر: عز العرب لحكيم بناني, المرجع نفسه, ص 57.

intentionalBeziehung

(موضوع العلاقة القصدية

المرجعية)

يقول برنتانو: " تتحدد الظاهرة النفسية من خلال المفهوم الذي اطلق عليه المدرسيون في العصر الوسيط مصطلح اللاوجود القصدى **inexisteng intention** لشيء ما. وهو الموضوع الذي نطلق عليه مصطلح العلاقة المرجعية بمضمون أو مصطلح الاتجاه صوب شيء ما...تتضمن كل ظاهرة نفسية شيئاً ما بصفته موضوعاً شيئاً رغم أن كل ظاهرة نفسية قد تختار طريقته الخاصة في أداء ذلك. داخل التمثل يصبح شيء ما متمثلاً¹ ".

والوجود الفعلي للشيء أو عدم وجوده ليس علة ضرورية لتحقيق تمثله، فخصوصية الظاهرة النفسية تظهر في الطابع القصدى الخالص لموضوعها لذلك يعرفها برنتانو باعتبارها ما يتضمن موضوعاً ما في القصد، وفصل برنتانو بين الظاهرتين النفسية والفيزيائية من خلال كيفية إدراك كل واحدة فبينما تدرك الظواهر الخارجية بواسطة الحواس، تدرك الظواهر النفسية بالوعي الباطني الذي يتميز بخاصية تجعله يستقل لوحده بالبداهة المباشرة غير المضللة، وقد اعتبر برنتانو هذا النوع من الإدراك النمط الوحيد والحقيقي بالمعنى الدقيق للكلمة². وبعد استثمار مفهوم الأفعال القصدية الذي كان إضافة حقيقية إلى المنهج الفلسفي ظهرت عدة إشكالات تتعلق بطبيعة الموضوعات القصدية ذاتها، هل هي ذات طبيعة سيكولوجية أو منطقية أو فيزيولوجية³.

رتب برنتانو الموجودات الواقعية في فئتين: موجودات ذات طبيعة فيزيائية، و موجودات ذات طبيعة نفسية، ولا يعترف بموجودات ذهنية محايدة من صور غير مادية، اذ يعتبر ذلك وعياً ذاتياً بأننا ندرك شيئاً ما، فموضوع القصد ظاهرة نفسية باعتباره موضوع تمثل (مضمون التمثل)، وتأسيساً على ذلك ينفي هوسرل وجود معطيات بصرية أو أحاسيس تدخل في صميم الوعي، فهي ليست موضوع

¹ عز العرب لحكيم بناني، المرجع نفسه، ص 57.

² ينظر: عز العرب لحكيم بناني، المرجع السابق، ص 57.

³ ينظر: عز العرب لحكيم بناني، المرجع نفسه، ص 57.

القصد ولا يتجه القصد إليها بل يعتمد عليها للاتجاه الى الموضوع الخارجي ليميز بين القصد والمادة الهيولانية وموضوع القصد, وهو تصور منطقي لمرجع القصد بصرف النظر عن المعطى الفيزيائي.¹

ان العلاقة بين الموضوعات والوعي ليست علاقة انفصال بحيث توجد الموضوعات مستقلة عن الوعي, بل علاقة معية وربط مباشر بين الذات الواعية او العارفة والموضوع المعروف, فتحقق القصدية بذلك توحيداً بين ما هو - ذاتي- و ما هو -موضوعي-² وتتأسس هذه العلاقة عند هوسرل من خلال سلسلة التجارب التي مرت بها الذات العارفة نتيجة الشعور بموضوع معين. يقول هوسرل: " إن الشعور بشيء لا يعني ان نفرغ الشعور من هذا الشيء بل ان نجعله يتجه إليه حيث إن كل الظواهر لها تكوينها القصدية الذي يوجه الإدراك نحوها تلقائياً " ³.

غير انه من الضروري تجريد الوعي من أية تصورات قبلية سواء كانت حسية أو فلسفية, لذلك يرى هوسرل أن بإمكاننا تأسيس معرفة يقينية إذا فقط استبعدنا مالا نستطيع أن نعيه بشكل مباشر, وكل ماهو خارج عن إطار خبرتنا الملموسة، وان نُختزل العالم الخارجي إلى ما يمكن ان يحتويه وعينا, وهذا ما يطلق عليه هوسرل اسم " الاختزال الظاهري " الذي يستبعد كل ما يحيط به الوعي مباشرة⁴, ويقوم برد العالم الخارجي في صورته الطبيعية إلى الذات الواعية أو الأنا التي تمثل الشعور, وهذا الرد نوعان:⁵

رد ماهوي يستخلص فيه ماهية الأشياء كلية مع إهمال الأحداث الجزئية و المادية لها, ورد متعالى: نضع فيه الأشياء بين قوسين إلى حين فحص ماهيتها وتحديد معانيها ثم الحكم عليها من قبل الأنا.

تسعى الفينومينولوجيا اذن الى البحث في معنوية Signifier الظواهر, وهذا المعنى الذي يعطيه الوعي لاي ظاهرة عند التصادم معها, ليس نتيجة حدوس او تخمينات يكونها حول هذه الظاهرة بل هو نتاج إدراك سابق لها, لان المنهج الفينومينولوجي لا يبدأ بالحدس وإنما يقود المنهج كله اليه. و

¹ ينظر: عز العرب لحكيم بناني, المرجع نفسه, ص 57.

² ينظر: مجدي عرفه, الفينومينولوجيا والبحث في الانسان, ص05.

³ عبد القادر بوعرفة, المنهج الفينومينولوجي الحقيقية والابعاد, ص04.

⁴ ينظر: جواد الزيدي, ظاهراتية هوسرل وتأسيس علم كلي يقيني, ص 01.

⁵ ينظر: جواد الزيدي, المرجع نفسه, ص01.

الإدراك هو مجموع الدلالات التي يضيفها الوعي على الظاهرة او صياغة صورة forme لظاهرة ما بعدما كانت غامضة الحدود والمعالم. وبهذه الطريقة تكتسب الظواهر ماهيات تعبر عن خصوصياتها وتميزها.¹ " ومراحل الصياغة والدلالة هي مراتب الالتقاء بين الوعي والأشياء الكائنة خارجه " .²

وقد كشف التحليل القصدي في تجربة الوعي او داخل بنية الفعل القصدي ومن خلال حركته من الموقف الطبيعي الى الأساس المتعالي ان القصدية قصدية مزدوجة تتفرق الى بعدين أساسين: النوسيس والنواما اللذين يشكلان نسق قصديات و يدخلان في علاقة تضاييف قصدي بين الوعي والموضوع. فالوعي والموضوع كلاهما قصديان ولكن كلّ بكيفيته ومن جهته³ " فقصدية الوعي تمثل الأساس ونقطة المنطلق, و قصدية الموضوع تشكل الغاية ونقطة المنتهي " ⁴, ونظرا لتماهي القصديتين وصعوبة إلغاء هوة المعنى القائمة بين الوعي والموضوع ظهر ما يعرف في المذهب الفينومينولوجي بمشكل التضاييف بين النوسيس والنواما فجدة التحليل القصدي تكمن في إعادة تأسيس الفينومينولوجيا ومحورتها على القصد النوامائية (noematisch intentionalita) والنواما باعتباره الموضوع القصدي.⁵

عرب لفظ النواما بعبارة " موضوع التفكير " بعد ان كان هوسرل قد نحت مفهومه من اللفظ اللاتيني cogitatum ليدل به على الموضوع المفكر به والمتضمن في الوعي تضمنا قصديا وليس واقعيا. الجانب الموضوعي " وهذا المعنى الموضوعي, او الموضوع المعني المتقوم في نواطية العني (الوعي) كمنتوجة موضوعية لهذا الفعل... تشترك في كينونة القصدية ولا تكون بمعزل عنه"⁶

¹ ينظر: محمد شوقي الزين، الفينومينولوجيا وفن التاويل، ص 02.

وينظر: مجدي عرفة، الفينومينولوجيا و البحث في الانسان، ص 02.

² محمد شوقي الزين، المرجع السابق، ص 02.

³ ينظر: يوسف بن احمد، القصدية ومشكل تأسيس الفينومينولوجيا منهج التحليل القصدي، ص 68.

⁴ ينظر: يوسف بن احمد، المرجع نفسه، ص 68.

⁵ ينظر: يوسف بن احمد، المرجع نفسه، ص 68.

⁶ أنطوان خوري، حول مقومات المنهج الفينومينولوجي، ص 38.

يقول هوسرل "وكمثل الإدراك فان كل معيش قصدي له موضوعه القصد اي معناه الموضوعي, وذلك ما يكون عنصر القصدية الأساسي [...] وكل معيش قصدي له نواما, وفي هذا النواما ثمة معنى هو يتصل بواسطته بالموضوع"¹

اما الجانب الذاتي او ما يسميه نوئزيس Noesis "هو فعل الأنا من حيث حضوره الحي الفعال في عملية الوعي والإدراك, هنا الأنا يأخذ ويعطي في تكامل قصدي تتقوم فيه الموضوعات المعنية بصفاتها معنى موضوعي او معنى قصدي في كمون الوعي"²

ومن حيث الوظيفة فإن النوسيس هو الذي "يضيء وظائف قصدية على المعطيات الهيولانية او المادية فيصور المادة ليجعل منها معيشا قصديا, ويدرج فيها عنصر القصدية. ومن جهة نظر الوظيفة التي تعبر عن تقويم الموضوعي من قبل الوعي وتأليف المتنوع في وحدة معنى. فان القصدية تنكشف هنا كإعطاء للمعنى الذي يصبح الاسم الفينومينولوجي لما يسمى الأساس "³ وعزهما انطوان ج خوري بالنماط والنواظ على التوالي.

يملك النواما الكامل بنية كلية تتشكل من المعنى الذي يعتبر النواة المركزية للنواما يسميها هوسرل الطبقة النوامائية (kernsehicht اللحظة النوامائية الأساسية), كما يتشكل من الخصائص charakter التي تكون أنماط وجود النواما, بواسطة التغيير القصدية تتضايغ إلى المعنى الموضوعي الذي يبقى مماهايا لنفسه.⁴

كشف التحليل النوامائي- من حيث هو تحليل تفريقي وتحت اشكالية البنى النوسيسية و النوامائية ان النواما الكامل يتكون من طبقات او لحظات نوامائية, الطبقة الأولى: هي انتقال الوعي القصدية من ضرب من التمثيل الى ضرب اخر(من التذكر الى التخيل مثلا) وظهور فروق متحركة mauvants deferentes تتصل بكيفية انعطاء الموضوع عينه.

¹ يوسف بن احمد, المرجع نفسه , ص68.

² انطوان خوري, المرجع السابق, ص38

³ ينظر يوسف بن احمد, القصدية ومشكل تاسيس الفينومينولوجيا منهج التحليل القصدية, ص 71.

⁴ ينظر: يوسف بن احمد , المرجع نفسه, ص68.

الطبقة الثانية تشكل من " الخصائص النوامية للوجود (مثل وجود حقيقي, مشكوك فيه, ممكن..الخ) التي هي مضافات الخصائص النوسيسية للاعتقاد **dosea** او الجهات الدوكسائية (يقين , شك , افتراض, ظن...الخ).¹

والطبقة الثالثة و الأكثر تعقيدا تنضاف الأطروحات الانفعالية والإرادية والتقييمية المؤسسة على التمثل الى التمثل البسيط, إضافة إلى التأليفات المختلفة التي تنجزها عمليات الهوية والحمل المنطقي والوصل والتوضيح والفصل والجمع... , اما الطبقة الاساسية والاخيرة تتشكل من اللوغوس **logos** والدلالة التعبيرية , يقول ا.فونك عندما تكلم عن " فرق القصدية " او " الفرق القصدي "

" or husserl eut demblée pour tache, dans les idees, d'anticiper cette assurance methodique en caractérisant la defference d'intentionnalité(...)'l'analyse intentionnelle de la donnée de l'immanent, comme de celle du transcendant, n'indique nullement le critere de leurs conception definitifselle n'expose que la transformation de la difference traditionnelle, initialement entendu comme difference d'omianiale en difference intentionnelle " ²

وفي إطار الفينومينولوجيا النوامية بيّن التحليل النوامي أن المعنى المحض الموضوعي هو النواة النوامية التي بفضلها يحيل النوما على موضوع ويتصل به, وهو المادة القصدية **matiere intentionelle** التي تكون في فعل الوعي , ذلك الذي يمنحه العلاقة بالموضوعية **objectivité**, والخصائص هي الكيف القصدي **qualité intentionelle** الذي يعين الحضور القصدي للمعطي المتمثل كفعل إدراكي أو تخيلي... , وان السمة الأساسية للمعنى النوامي(مدركا او متخيلا او مرادا..) تكمن في قصديته واتصاله بموضوع معين , وهو ما يطرح

¹ يوسف بن احمد , المرجع نفسه, ص 69.

² يوسف بن احمد , المرجع نفسه, التهميش 44 ص80.

إشكالية مشروعية القصدية فدوما يتجاوز الوعي ذاته في المعنى المقصود الذي يتجاوز ذاته نحو الموضوع.¹

اثبت الرد الفينومينولوجي الفرق بين الموضوع العيني او الواقعي والموضوع القصدي او المعنى النوامائي (ليس مركبا واقعيا) و أورد هوسرل في ذلك مثاله الشهير عن الشجرة بوصفها موضوعا مدركا والذي يجعله الرد الفينومينولوجي مفصولا عن الشجرة العينية كموجود واقعي والفرق: ان الشجرة العينية تحترق وتحلل الى عناصرها الكيميائية لكن المعنى النوامائي الذي هو معيش قصدي محض محايت لا يمكن ان يحترق او يتحلل.² يقول هوسرل في هذا الفرق: " وحتى هذه الصورة (اي الهوية) لانها تحيل الى الطبيعية ليست شديدة بالقدر الكافي للتعبير عن الفرق "³ , ولكن الشجرة (الموضوع المقصود) يمكن ان تنعطي في أنماط و كفيات متنوعة(مدركة, متذكرة, متخيلة..).وهوما يسمى خصائص النواما, " والفرق بين الموضوع العيني والموضوع القصدي هو الفرق بين الموضوع باعتباره نقطة الهوية او المركز الموحد او كذلك الشيء بما هو عينه , بالنظر إلى النوامات في تغيراتها المستمرة وبين النواما كموضوع في كيفية انعطائه"⁴

وبطرح كيفية الانعطاء المتغيرة, نحصل على المعنى النوامائي الذي يتصل بموضوعه المماهي لذاته (المجهول المحض), والذي تحيل عليه جميع انماط انعطاء الشيء.

وصفت الفينومينولوجيا السكونية القصدية ببنية الوعي الاساسية والمركبة من اربعة اطراف: الهيولي والنوسيس والصورة والنواناما, والبنية التي يشكلها كل طرفين تسمى التضاييف (Korrelation) تضاييف النوسيس والنواناما, وتضاييف الهيولي والصورة المنتميان للنوسيس مركبين واقعيين له, ويكون النواما المضاف القصدي المختلف عن الاطراف الثلاثة الاخرى والموازي لها, علما ان النواما هو الموضوع المعني, والهيولي تتحكم بالموضوع لانها توفر الاساس المادي الذي تشتغل بواسطته القصدية⁵

¹ ينظر: يوسف بن احمد , المرجع السابق ص 69 , 70.

² ينظر: يوسف بن احمد , المرجع نفسه, ص 70.

³ يوسف بن أحمد, المرجع نفسه, ص70.

⁴ يوسف بن أحمد, المرجع نفسه, ص70.

⁵ ينظر يوسف بن أحمد, المرجع نفسه, ص72.

ان التضاييف القصدي اسلوب تمثل ابتدعته الفينومينولوجيا المتعالية لترد بواسطته الفرق الكامن بين الهيولي من جهة , والنواما من جهة ثانية وتحوله الى هوية تأليف ووحدة من خلال ما سماه هوسرل توازي parallelismus النوسيس والنواما.

لقد شدد هوسرل في البداية على ضرورة التمييز بين النوسيس والنواما باعتبار ذلك قاعدة اساسية لكل معرفة فينومينولوجية غير انه دعا بعد ذلك الى بلورة علاقة التضاييف التي تشد النوسيس والنواما الى بعضهما, ولكن لم اصر هوسرل على التمييز بينهما ثم دعا الى بلورة هذه العلاقة بعد ذلك؟(علاقة التضاييف), ربما نفقه ذلك ان ادركنا ان ماهية وبنية القصدية عينها هي التي تقتضي ذلك¹ لان "القصدية هي ماهويا ذات وجه مزدوج, نوسيس ونواما ونستنتج من ذلك أن فينومينولوجيا نسقية لا يمكنها ان تقصر جهودها على وجه واحد " ²

فالقصدية واحدة و مثناة معا لأنها وسط يجمع بني فينومينولوجية هي النواما او الموضوع القصدي, والوعي او النوسيس الذي هو قصدي بصفته قاصدا, والعلاقة الواصلة بينهما (القصد).

أكد هوسرل ان من المباحث الرئيسة في الفينومينولوجيا وفي جميع مجالات القصدية قضية التوازي بين النوسيس والنواما, الا ان قضية التضاييف تظل من أعوص المشاكل بسبب لبس لغة التوازي.³ يقول هوسرل: " ولكن لما نمعن النظر في الامر عن كذب , فاننا نجابه الصعوبات الكبرى(....) والصعوبة بالاصح تتمثل في الفصل بكيفية محضة بين ما يتصل في نظام المركبات الواقعية بالمعيش عينه, وبين مايجب ان يتصل بالنواما لكي ينسب له بخاصة, كيف يتم الكشف ايضا عن التمفصلات الصحيحة في البناء المتوازي للنوسيس والنواما " ⁴.

ان علاقة الترابط او التعاضد الايدوسي بين النواما والنوسيس تفيد ان اي عنصر قصدي لا يسمى موضوعا الا اذا كان قصديا في الوعي بنمط معين فماهيات النواما والنوسيس متصلة ببعضها " وكل

¹ ينظر: يوسف بن احمد, المرجع السابق , ص72.

² يوسف بن احمد , المرجع نفسه, ص 72 .

³ ينظر: يوسف بن احمد, المرجع نفسه, ص 72,73.

⁴ يوسف بن احمد, المرجع نفسه, ص 73.

فرق اقصي من الجهة النوامائية يحيل على المستوى الايدوسي الى فروق قصوى من الجهة
النوسيسة " 1.

ثم يطرح هوسرل إشكالية التصرف بين هذين العنصرين باعتبار النوسيس مركبا واقعيا للمعيش,
والنواما عنصرا واقعيا؟

ان المضاف النوامائي(الذي هو المعنى), والمعطى من قبل الوعي, يشكل حلقة الوصل بين
المستويين, فكل نواما يملك معنى يكون عنصرا اساسا للقصدية اذ يتصل النواما بموضوعه الواقعي
بواسطة المعنى اوالموضوع القصدي.²

اما النوسيس فان " امتلاك معنى قصد معنى ماهو خاصية اساسية بكل وعي " ³, فالمعنى هو
العملية القصدية(intentionale leistung)المؤلفة للوعي, ان المعنى يجعل الموضوع معنى يتصل
به النواما, ويقومه النوسيس وهو الاداة التي تجعل كل لحظة نوامائية نوسيسية متناسبة ايدوسيا ووظيفيا
مع كل لحظة نوامائية.

إنَّ التداخل والتكامل بين هذين الجانبين؛ أي بين أنحاء الوعي من جهة (أفعال الإدراك،
التوقع، التذكر، الحب ...)، وبين موضوعاته من جهة أخرى (المدركات، المتذكرات، المتوقعات...)،
هو الذي يُعطي هذه الموضوعات معناها⁽⁴⁾ " فالمعنى الموضوعي القصدي هو من عطاء الذات
ومن وضعها بالمعنى الأصلي لهذه الكلمة " ⁽⁵⁾.

من هنا يتبيّن أن الظاهرية حاولت التوفيق بين الجانبين المذكورين أعلاه، وركزت بشكل خاصّ
وواضح على علاقة الذات بالموضوع وطبيعة هذه العلاقة التي جعلتها ديناميكية متحركة، في سيرورة
مستمرة من مفهوم التماثل إلى مفهوم عدم التماثل، فالواقع مُتغيّر ويتمظهر في أشكال عديدة
،والذات تقوم بعملية إنكار ونفي مستمرين لمفاهيمها عن العالم، وبالتالي فإنّ دور الذات أو فاعليتها

¹ يوسف بن احمد, المرجع نفسه، ص 73.

² ينظر: يوسف بن احمد , المرجع نفسه، ص 73.

³ يوسف بن احمد , المرجع نفسه، ص 73.

⁽⁴⁾ينظر أنطوان ج خوري ،حول مقومات المنهج الفينومينولوجي، ص 38 .

⁽⁵⁾ أنطوان خوري، المرجع نفسه ، ص38.

يتمثل في نقد تصوراتها عن الموضوع ذاته فيتخلص الفكر بذلك من وهم إدراك الواقع بكونه كلياً؛ أي أنّ فعل التفكير وموضوعه متصلان ويعتمد كلٌّ منهما على الآخر، فالمعنى لديه موضوعي، ولكنه ليس موضوعياً لدرجة تتحدد من خلالها دلالات المفردات، ولا موضوعية المحسوسات والأشياء، لأن موضوعيته تعتمد على مركزية الذات العارفة باعتبارها الوعي الذي تتّم عبره المعرفة ويتبلور به المعنى، وبذلك يكون المعنى نابعاً من الذات كمصدر وأصل له . (1)

وارتباط الجانب الذاتي بالموضوعي في أفعال الوعي له آفاق أربعة عند هوسرل هي :

- الأفق الداخلي .
- الأفق الخارجي .
- الأفق الزمني .
- الأفق البينذاتي .

إنّ الأفق مفهومٌ نشأ من صلب الفينومينولوجيا على يد هوسرل من أجل توضيح بنية الوعي القصديّة، فكل فعل يقوم به الوعي يتصف بتغيّره المستمر سواء من ناحية ترابطه بالوعي أو من ناحية المراحل المختلفة لانسيابه بأفق متغير، أفق قصدي لإمكانات الإحالة، وهذه الإحالة هي إحالة على إمكانات خاصة بهذا الأفق، فكل إدراك لموضوع ما يكون إدراكاً حسيّاً فعليّاً لجوانب هذا الموضوع ويحيل ذلك بدوره على جوانب غير مدركة فعلياً فيه، على نحو التوقع؛ أي أن تلك الجوانب نتوقع قدومها العياني توقعاً لا عيانياً⁽²⁾. " إن الأفق هو الجوانب التي لا أراها، وكلّ جانب من الجوانب التي لا أراها (لم أراها بعد) أفقٌ يحتوي على إمكانات لا متناهية، وكل جانب أنتقل إلى إدراكه الفعلي يشكل تحقيقاً عيانياً لما كان حتّى هذه اللحظة مجرد إمكانات إدراكية مرتسمة على نحو قصدي في أفقها الخاص" (3).

(1) ينظر جواد الزبيدي، ظاهراتية هوسرل وتأسيس علم كلي يقيني، ص 02 .

(2) ينظر أنطوان ج خوري، المرجع السابق، ص 39 .

(3) أنطوان ج خوري، المرجع نفسه، ص 40.

وبالرغم من ذلك فكل موضوع لا يتم إدراكه بشكل تقسيطي ولا يكون حصيلة تركيب الجوانب المختلفة في قالب استنتاجي، بل إنَّ الإدراك كسائر أفعال الوعي بحيث تكون موضوعية الموضوع أوَّل ما يُدرك في الإدراك، ثم يُتوسَّع في إدراكه بإدراكات تركيبية لاحقة. (1)

ولنعد الآن إلى الآفاق الأربعة المذكورة سابقا والتي تدخل في ما هوية الإدراك والوعي بصفته فعلا قصديا.

1-الأفق الداخلي: اتخذ أنطوان خوري جريدة ملقاة على طاولة ما مثلا لتوضيح هذا الأفق، فالجريدة في أوَّل رؤية تظهر أنها تشغل حيزا على هذه الطاولة، لكن ليس بالإمكان إدراكها كلية مرّة واحدة، بل إنَّ إدراكي لبعض جهاتها يُحيلني إلى جهات أخرى منها لا أراها من موقعي الحالي، لكنها تتمثل أمامي كأفق من الإمكانيات، وكلّما غيّرت موقعي تمثلت أمامي آفاق أخرى من إمكانيات إدراك هذه الجريدة، وقد يكون شكل هذه الجريدة، أو ملمسها أو رائحتها أفقا لإدراكها.

وهذه الصفات يتنوع ويتكيف إدراكي لها، وكذلك اهتمامي ونظري وتركيزي عليها بتغيُّر موقعي منها، ومهما حاولت تغيير هذا الموقع فلن يتسنى لي إدراكها على نحو استنفادي لأن لكلِّ موضوع آفاقاً لا متناهية من الإمكانيات .

وهذا يُعتبر في نظر هوسرل مؤشرا على تغلُّب الموضوع على كلِّ إدراك، وعلى استحالة انحلاله نهائيا في سلسلة من الإدراكات المختلفة، ممَّا يعكس مفارقة الموضوع لكلِّ وعي منظوري وبالتالي فكلُّ واقع متحقق وكل حقيقة واقعية مفارقة للوعي على هذا النحو اللامتناهي . (2)

2-الأفق الخارجي: إنَّ من طبيعة الأمور أن يُحيل الدّاخل على الخارج والخارج على الدّاخل، وذلك مرّدّه إلى انبثاق كلِّ منهما من الآخر على صعيد المعنى .

(1) أنطوان ج خوري، المرجع السابق، ص40.

(2) ينظر أنطوان ج خوري، المرجع نفسه، ص40.

إنَّ كلَّ ما يُرى في هذه الجريدة يشكّل أمامًا بالنسبة للنظر بصفته مرئيا، وبما أنَّه ليس فيها شيء مما لا يُرى فيمكن اعتبار أفقها الداخلي أفقًا أماميًا، وهذا لا يعني أنَّ لها أفقًا أماميًا وآخر خلفيًا، بل إنَّ الأفق الخلفي يصبح اسمًا آخر لأفقها الخارجي من منظور فينومينولوجي .

إنَّ كلَّ ما هو خلف شيء هو خارجة وليس كلَّ ما هو خارجة يكون خلفه، وفي النظرة الفينومينولوجية كل ما هو خارج الشيء يُساهم في تشكّل خلفيته، ومن هنا فإنَّ الأفق الخلفي لهذه الجريدة يكمن في أن لها موقعا خاصا بها في هذا العالم، فالجريدة ملقاة على الطاولة، والطاولة موجودة في غرفة، والغرفة داخل بيت، والبيت جزء من طابق لعمارة، والعمارة في الشارع، والشارع جزء من مدينة..... وهكذا.

وفي نهاية الأمر لن تظهر هذه الجريدة كمجرد جزء من هذا العالم، بل تصبح الوجه الأمامي له، فيتراجع العالم من جراء ذلك مشكلا خلفية لها، وأفقا من أفاقها، أفقها الخلفي أو الخارجي بتعبير هوسرل. (1)

3- الأفق الزمني : إن التفكير في زمنية الجريدة وهي ملقاة على الطاولة يُدخل أبعادا مكانية وزمنية في صلب ماهيتها الفينومينولوجية، وسوف تبقى هذه الجريدة كذلك ما لم تُغيّر قوة خارجية موقعها، وما حدث وكل ما سيحدث لها سوف لن يخرج عن إطار الزمن بصفته تتمتع بموقع زمني ومكاني، ولكن هناك شيء يضاف إلى زمنية هذه الجريدة فهي قبل أن تلقى على هذه الطاولة قد تم شراؤها صباحا من بائع ما، ويمكن أن يكون قارئ أو أكثر، ومهما يكن من أمر ما حدث وما سيحدث لها بعد الآن فالأكيد أن لها موقعا زمنيا محددًا في أفق معين يلتفت إلى الماضي، وأفق آخر يُطلُّ على المستقبل، ثم كيف تُفهم الجريدة كجريدة إن لم تُفهم علاقتها الماهوية بالزمن، وإن لم تدخل الزمنية في صلب ماهيتها الفينومينولوجية؟

(1) ينظر أنطوان ج خوري، المرجع السابق، ص 41.

إنَّ هذه الجريدة دورية أسبوعية أو شهرية أو سنوية ... وهذا الدوران قبل أن يكون من صلب ماهيتها كجريدة ، فالزمن يدخل في صلب ماهيته كدوران، وحتى الأخبار التي تحملها هذه الجريدة تزيد في إدراكها مادامت لها آفاق زمنية.

إنَّ لكل موضوع من موضوعات الوعي والإدراك طابعا زمنيا خاصا به باعتباره تضافيا نواتيا - نماطيا في قصدية الوعي ، له ماضيه الخاص ومستقبله الخاص يحملهما عبر تاريخ كينونته القصدية (1).

4- الأفق البينذاتي: في الأفق الزمني أشرت إلى أن هذه الجريدة تمَّ شراؤها صباحا من بائع ما، ولو أنني واصلت التحدث عن صنعها وطبعها وتحريرها وتوزيعها لوجدت نفسي إزاء أناس آخرين كُثُر لا تربطني بهم أدنى علاقة، وبذلك يتكون الأفق البينذاتي لهذه الجريدة .

إن هذه الجريدة حصيلة مجهودات آخرين غيري اشتركوا في صنعها ، كما أنني قرأت تحت كل خبر فيها اسما لأحد صانعيها ،الذين يتحمَّلون مسؤولية عملهم ومسؤولية عمل من لا تظهر أسماؤهم ممن ساهموا في وجودها ،إضافة إلى أنَّها موجهة إلى جمهور عريض ،أنا أحد أفراده و ديمومتها أو انقطاعها متوقفان على ديمومته أو انقطاعه، ثم إن هذه الجريدة تتميز بوجهة سياسية واجتماعية وثقافية معينة، تعبر عن آراء ومواقف ومشاعر مشتركة بين كثير من القراء ،وإن تبعنا نشوءها إلى اليوم نجدها قد صنعت لنفسها تاريخا خاصا، وموقعا في صلب الحياة العامة ،وكان لها دور في تشكيل الرأي العام للبلد وتوجيه سياسته ، كل هذه المقومات من كلمات وصور ومناهج استقصاء المعلومات هي حصيلة مجهودات جماعية بينذاتية وتاريخية.

من خلال هذه الجريدة وأفقها البينذاتي أجدني على صلة بآخرين يحاولون الاتصال بي عن طريقها ،وتبليغي رسالة ما تساعدني على تكوين رأي معين واتخاذ موقف محدد، وما يتكون عندي من رأي يحاول الرد الفينومينولوجي تحويله إلى رؤية أصلية (قناعاتي و يقيناتي) ،فالرأي نتاج جماعي وملك مشاع حيث يمكنني أن أتبنى الرأي الذي أريد أو أستبدل رأيا برأي آخر آمنت به طويلا ،أمَّا الرؤية

(1) ينظر أنطوان ج خوري، المرجع نفسه، ص42.

فهي ملك خاص وعيان بديهي غايته ليس أدلجة الأفكار بل التحقق من جذورها عيانا، أي شخصيا و فرديا. (1)

من خلال كل هذه النقاط المذكورة سلفا يتبين لي أن هذه الجريدة ليست مجرد بنية تركيبية خاصة بي وبأفعالي القصدية، بل إنها كائن يتقوّم، في وعيي ويظهر لي عيانا من خلال آفاقه المختلفة كموجود بينذاتي بوسع أي امرئ الحصول عليه أو الوصول إليه بصفته أحد موضوعات هذا العالم (2).

اهتمت الفلسفة الاوربية بقصدية الافعال العقلية من خلال المنهج الفينومينولوجي بطريقة تختلف في التفسير والتطبيق عن نظيرتها في الفلسفة التحليلية التي اهتمت بالقصدية في تفسير المعنى بالنظر الى مقاصد المتكلمين وغاياتهم من التواصل. واشهر من طور هذه النظرية ووضع لها جهازا مفاهيميا خاصا هو بول غرايس P. Grice .

بدأ الحديث عن المعنى عند غرايس من خلال طرح نوعين من الاسئلة:

النوع الاول يتعلق بمعاني التعبيرات اللغوية كمعنى الكلمة والجملة وشبه الجملة؟ وماعلاقة معنى الكلمة بالجملة؟... وكل هذه الاسئلة تنتمي الى علم الدلالة semantics.

اما النوع الثاني من الاسئلة فهي انطولوجية. مفهومية تدور حول المعنى نفسه. كحقيقة المعاني اهي كائنات ام لا؟ وما انواع هذه الكائنات التي تكونها المعاني واين توجد؟³ وتنتمي هذه الاسئلة الى ما بعد الدلالة meta-semantics ومن بين الاسئلة الاكثر اهمية - عند غرايس بخاصة- سؤالان هما: ماهو معنى الجملة؟ sentence meaning وماهو المعنى لدى المتكلم speaker meaning, فمعنى الجملة هو ما تعنيه الجملة حرفيا، اما معنى المتكلم فيتجاوز المعنى الحرفي لينتقل الى مقاصد المتكلم، وفي رأي غرايس يفسر معنى الجملة في حدود المعنى لدى المتكلم⁴, اذ ينتمي هذا الفيلسوف الى اصحاب نظريات الاستعمال في المعنى الذين يرون ان علم الدلالة يقوم على مقومات

(1) ينظر أنطوان ج خوري، المرجع السابق، ص 43.42.

(2) ينظر أنطوان ج خوري، المرجع نفسه، ص 43 .

³ ينظر: صلاح اسماعيل , نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، ص 24.

⁴ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه، ص 26/25.

أساسية وأن مقاصد المتكلمين مقوم أساسي من مقوماته، اذا لم تكن المقوم الاساسي الاول¹، يقول بريان لور Brian loor وهو احد اتباع النظرية القصدية: " ان افكار مثل "لغة" و " معنى" لابد من التفكير فيها دائما على انها مرتبطة ارتباطا جوهريا بجماعة من مستعملي اللغة. والافكار الدلالية الحقيقية ليست هي " ل " او " س " تعني " م " في " ل " وانما هي " ل " هي لغة الجماعة " ج " و " س " تعني " م " في لغة الجماعة " ج " . ومن الواضح ان هذه الافكار لا يمكن ردها ردا صوريا الى افكار منطقية او نحوية ويتعين تقديم هذه الحقائق المتعلقة باستعمال اللغة ومن ثم فان الافكار السيكلوجية تكون ضرورية في تحليل المفاهيم الدلالية " 2.

اتسم اصحاب نظريات الاستعمال بعدم الاشارة الى بنية اللغة— عكس الصوريين—فغرايس في مقاله " المعنى " يستبعد ذكر البنية، والمعنى عنده ظاهرة توجد في اللغة وخارجها اما البنية فلا توجد الا في اللغة كما يؤمن بذلك اصحاب النظريات الصورية، واقترح البعض شروط صدق العلامة لفهم المعنى، فالشروط الضرورية و الكافية لصدق كل جملة.. هو الطريق لتقديم معنى الجملة.³ فالمرء الذي " يضع عبارة او تقريرا يضع عبارة صادقة إذا فقط إذا كانت الأشياء كما هي عليه، وعندما يضع هذه العبارة فانه يقرر أنها كذلك. ومن ناحية أخرى، ان المرء الذي يعبر عن قضية يعبر عن قضية صادقة اذا فقط اذا كانت الأشياء كما هي، و بتعبيره عن هذه القضية فانه يفترض بوضوح أنها كذلك " 4.

ان تحديد معنى الجملة الإخبارية مثلا هو تحديد الكيفية التي نقل بها الشخص تقريرا عن الأشياء عن طريق نطق الجملة، وهنا يعترضنا مفهوم الفعل الكلامي لوضع التقرير، ومضمون هذا الفعل، وهنا يؤكد أصحاب نظرية القصد الاتصالي على دور قصد المتكلم وفهمه لتوضيح محتوى الأفعال

¹ ينظر: صلاح اسماعيل، المرجع السابق، ص30/25.

² صلاح اسماعيل، المرجع نفسه، ص30.

³ ينظر: صلاح اسماعيل، المرجع نفسه، ص 32.

⁴ صلاح اسماعيل، المرجع نفسه، ص 32.

الكلامية.¹ فلا " نستطيع ان نوضح فكرة التقرير او التوكيد...الا في حدود القصد الموجه الى المستمع, لان الحالة الأساسية للتقرير او التوكيد...هي حالة لنطق جملة بقصد معين " ², فالقصد ضروري للمعنى ولكنه ليس كافيا, ولذلك نحتاج لقصد مستعمل اللغة أيضا إذا شئنا فهما كافيا للمعنى, ومن هذه النقطة طور سيرل نظرية الفعل الكلامي وربطها بالقصد الابلاغي للمتكلم. وفي خضم مناقشته لمعنى المتكلم مير غرايس بين نوعين متباينين من المعنى الأول: المعنى الطبيعي **natural meaning** وهو ما يسمى غالبا المعنى الدال meaning indicator كالبقع تدل على الحصبة, والدخان يدل على النار.

ويحصر غرايس جملة من الملامح التي تميز هذا النوع:³

- ان القول فيه يستلزم واقعة معينة فلا نستطيع القول ان هذه البقع تعني الحصبة لكنه غير مصاب بالحصبة.

- لا نستطيع البرهنة من الجملة على المقصود بالدخان او البقع مثلا.

- لا نستطيع البرهنة من اي جملة على اية نتيجة تتعلق بما يعنيه شخص او اخر بها) قد يعني بالبقع او الدخان معنى اخر).

اما الثاني فهو المعنى غير الطبيعي: كان تعني رنات ثلاث امتلاء خزان الماء مثلا, وتشكل فكرة الاصطلاح او المواضعة الفرق بين المعنيين (الطبيعي وغير الطبيعي), التي تختلف من جماعة الى اخرى ومن مكان الى اخر, ففي حين يعتمد المعنى الطبيعي على العلاقات السببية وقوانين الطبيعة, يعتمد المعنى غير الطبيعي على القصد (او الاصطلاح).⁴

ثم ناقش غرايس في مقاله " معاودة النظر في المعنى " عام 1982 العلاقة بين النوعين السابقين من المعنى: و رأى أن المعنى غير الطبيعي سليل المعنى الطبيعي ومشتق منه, ففي الأنين يتم الانتقال من

¹ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص 32.

² صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص 32.

³ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص 36, 37, 38.

⁴ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع السابق, ص 38, 39, 40.

المعنى الطبيعي الى المعنى غير الطبيعي عندما يكون بصورة إرادية مقصودة ليدرك الملاحظ ذلك ويعتبره ناتجا عن تألم.

وكرس غرايس بعد ذلك جهده لتحليل كلمة " يعني " حين تستخدم بالمعنى غير الطبيعي بوصفه مقابلا للمعنى الطبيعي.واقترح صيغا مختلفة لذلك تقوم اساسا على قصد المتكلم احداث استجابة معينة في المستمع, الذي يشترط فيه ان يدرك قصد المتكلم.

الا ان تحليل غرايس للمعنى قوبل بامثلة مضادة من طرف الفلاسفة ساهموا في بناء نظرية المعنى, من بينهم ارمسون(J.O.Vimson)واحد من فلاسفة اكسفورد)الذي قدم مثالا مضادا سجله غرايس في مقالته " المعنى والمقاصد لدى الناطق " ¹ ويحتوي على شرط مؤداه ان يدرك المستمع من المنطوق مقاصد المتكلم ادراكا جزئيا على الاقل, ولقد عبر شيفر عن تحليل المعنى الذي ينطوي على هذا الشرط بصيغة يعتمد فيها ادراك المستمع لقصد المتكلم على ادراك المستمع للمعنى المنطوق, اي النعمة التي ينطق بها والتي قد ترتفع او تنخفض حسب المناسبة, ومن ملامح المنطوق ايضا حملة المعنى في جانبيه الصوتي او التركيبي.²

أثارستراوسون- رغم كثرة الأمثلة المضادة التي حللت المعنى لدى المتكلم- مسألة عدم كفاية التحليل في مقالته " القصد والاصطلاح في الافعال الكلام " عام 1964 وأعيد نشرها عام 1971 في كتابه مقالات منطقية لغوية " , وبرز الأمثلة على عدم كفاية التحليل مثال جون سيرل الذي يفترض فيه ان جنديا أمريكيا أسر من قبل جنود ايطاليين في الحرب العالمية الثانية, وليطلقوا سراحه يخاطبهم بجملة ألمانية مما يحفظ من أيام الدراسة ليجعلهم يعتقدون انه ضابط ألماني, فخاطبهم

بقوله: **kennst du daslamed, wo die zitronen bluen:**

ليدركوا قصده, ولكن الجندي الأمريكي بنطقه هذه الجملة يكون قد خدع الجنود الايطاليين لانه جعلهم يفكرون ان ما تعنيه جملته هو: " انا ضابط ألماني " في حين انها تعني " هل تعرف منطقة تزهز فيها أشجار الليمون؟", والسبب في قبول تحليل غرايس مثل هذه الأمثلة المضادة- حسب سيرل

¹ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص 47.

² ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص 48.

- هو عجزه " عن تفسير النطاق الذي يمكن ان يكون عليه المعنى موضوعا للقواعد او الاصطلاحات فهذا التقرير لا يثبت العلاقة بين المعنى الذي يكون لدى المرء عن شيء ما عن طريق ما يقوله المرء, وبين ما يعنيه ما يقوله المرء في اللغة.. كما ان التقرير عن طريق تعريف المعنى في حدود التأثيرات المقصودة يخلط بين الأفعال المتضمنة في الكلام و الأفعال المؤثرة عن طريق الكلام " ¹, ويضيف بذلك أتباع غرايس فكرة الاصطلاح إلى تحليل المعنى لدى المتكلم للوصول الى المعنى اللغوي حيث يوجز سيرل هذا الرأي بقوله: " المعنى أكثر من ان يكون مسالة قصد, انه أيضا مسالة اصطلاح أحيانا على الأقل " ².

ينظر كل من غرايس و سيرل إلى الفعل الكلامي الذي يكون موضوعا لقصد المتكلم نظرة مختلفة, اذ ان تباين التأثير الذي يقصد المتكلم إحداثه في المستمع هو في رأي غرايس ما يميز فعلا كلاميا عن فعل كلامي اخر, بينما يرى سيرل ان الفعل الكلامي هو مسالة قصد أداء فعل متضمن في الكلام, فليست التأثيرات المقصودة بصفة عامة للمنطوقات هي تأثيرات عن طريق الكلام لان أنواعا كثيرة من الجمل المستخدمة لانجاز أفعال متضمنة في الكلام لا تملك تأثيرا يرتبط بمعناها عن طريق الكلام. ³

ان التأثير المتضمن في الكلام يلازم القصد المتضمن في الكلام الذي يتحقق بادراك المستمع بحضور القصد فالتأثير " في المستمع ليس اعتقادا أو استجابة, وإنما يكمن ببساطة في فهم المستمع لمنطوق المتكلم " ⁴, بينما لا يتحقق التأثير عن طريق الكلام بمجرد إدراك المستمع لقصد المتكلم فجملة: "محمد اقتنع" او "محمد ضحك", لا يكفي فيها إدراك المستمع (محمد) ان المتكلم لديه القصد في إقناعه أو إضحائه لجعله يقتنع او يضحك فرما يخفق في ذلك فلا يحدث التأثير المطلوب.

¹ صلاح اسماعيل, المرجع السابق, ص53.

² صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص53.

³ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص54.

⁴ صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص54.

إن القصد الاتصالي في رأي غرايس هو قصد انعكاسي reflexive بين المتكلم والمستمع, فالتكلم يقصد الاتصال بالمستمع في الآن الذي يدرك فيه المستمع هذا القصد من المتكلم, ولعل هذا ما دعا الى القول ان من مميزات الافعال المتضمنة في القول اداؤها بقصد انعكاسي, فلا تكون ناجحة الا اذا توفر شرط " التاكيد من الفهم " الذي وضعه اوستن.

قصد سيرل من انتقاده لنظرية غرايس في تحليله للمعنى تعديل هذه النظرية وتطبيقها في معالجة نظرية أفعال الكلام لمشكلة المعنى, وافر ذلك في واحدة من مقالاته المتأخرة " الفلسفة المعاصرة في الولايات المتحدة عام 1996 " ¹, بقوله " ان فلاسفة مثل كواين وتلميذه الأول دونالد ديفيدسون يشعرون دائما ان النظريات القصدية **les theories intentionalis** في المعنى, من النوع الذي يقترحه غراسيسوسيرل غير كافية فلسفيا " ²

ولذلك أضاف إلى الشروط التي وضعها غرايس لتحليل المعنى غير الطبيعي لدى المتكلم شرطين آخرين هما: ³

1- ان يكون الكلام متضمنا مقاصد المتكلم.

2- ان يقصد المتكلم في استعماله التعابير او الجمل التي ينطق بها مراعاة الاصطلاحات والقواعد التي تحكم هذا الاستعمال في لغة معينة.

توالت الامثلة المضادة لتحليل غرايس, ولذلك فكر الفلاسفة في وضع شرط يضمن للتحليل الكفاية, فاقترح ستيفن شيفر شرط المعرفة المتبادلة know ledge mutual بين المتكلم والمستمع, ولكنه شرط تعرض لانتقادات كثيرة حتى من شيفر نفسه الذي تخلى في كتاباته المتأخرة عن تبنيه لنظرية غرايس في المعنى..

تنوعت الأمثلة المضادة لتحليل غرايس, واختلفت الاعتراضات حول كفاية التحليل او ضرورته, أهمها رأي مارك بلاتس Mark platts الذي قدم اعتراضين هامين:

¹ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص55, 56.

² صلاح اسماعيل, المرجع السابق, ص56.

³ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص56.

الاعتراض الأول يربط مقاصد المتكلم بالتعبيرات اللغوية حيث لا يتم اكتشاف ما يملكه المتكلم من مقاصد الا بعد معرفة ما تعنيه التعبيرات في اللغة. يقول بلاتس " ان مقاصد المتكلمين لا يتم ادراكها عن طريق حدس لا يخطئ... وربما يكون ممكنا اكتشاف المقاصد البسيطة جدا بطريقة شبه سلوكية ولكن هذا لا يكون معقولا ببساطة بالنسبة للمقاصد التي تكون معقدة بعض الشيء, ولا يكون المرشد السلوكي دقيقا ايضا. واي تفسير لكيفية ادراك هذه المقاصد سوف يعول لا محالة على ادراك المستمع للمعنى الحرفي للجملة وهذا المعنى هو الطريق الى مقاصد المتكلم, و الرحلة العكسية عادة ما تكون مستحيلة " ¹. فالمستمع لا بد ان يكون عارفا بمعاني التعبيرات حتى يدرك مقاصد المتكلم فالمعنى غير الطبيعي لدى المتكلم لا يتضح في حدود مقاصد المتكلم, فهذه المقاصد تفترض مسبقا معرفة المعنى غير الطبيعي لدى المتكلم.²

الا ان هذا الاعتراض تم رفضه لأنه يتجاهل فكرة أساسية ركز عليها غرايس في تحليله وهي أسبقية المحتوى العقلي على المحتوى اللغوي³ " فمقاصد المتكلمين سابقة اسبقية تحليلية على معنى الجملة, وهذا يعني ان المعنى اللغوي يمكن تحليله في حدود مقاصد المتكلمين التي يعبر عنها باللغة, ولذلك كانت السمة المميزة للنظرية القصدية في المعنى هي ان العقل سابق أسبقية تحليلية على اللغة " ⁴. ولذلك نجد انصار غرايس يعالجون قضايا فلسفة اللغة في اطار فلسفة العقل, وقد تمسك غرايس بدعوى الأسبقية التحليلية دون الأسبقية الانطولوجية او الاستمولوجية التي تقدر امكانية اكتشاف ما يتعلق بمقاصد المتكلمين من غير حاجة الى معرفة حقائق تتعلق بمعنى الجملة.

أما الاعتراض الثاني فمؤداه ان الجملة في نظرية غرايس يعرف معناها في حدود المقاصد التي تنطق بها, وتحدث استجابة في المستمع يدرك من خلالها مقاصد المتكلم, ولكن تتضمن اللغات الطبيعية عددا لا متناهيا من الجمل لن تنطق ابدا اي لن يكون لها مقاصد ولن تحدث اي استجابة في

¹ صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص61.

² ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص62.

³ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص62.

⁴ صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص62.

المستمع, وأوجد غرايس لهذا النوع من الجمل حلا وهو ان يعرف معناها في حدود مقاصد افتراضية وردود افتراضية, ولكن هذه المقاصد والردود الافتراضية ليس عليها قيد فلا يحدد معناها بشكل كامل وبالتالي يمكن ان تعني اي شيء وإذا وجد قيد فماذا عساه يكون؟ ربما يكون- كما اقترح غرايس- معنى الجملة... عندها يصبح تعريف معاني الجمل غير المنطوقة في حدود المقاصد والاستجابات الافتراضية لا جدوى منه لأنها تفترض فكرة مسبقة على معنى الجملة.¹

النظرية القصدية وبنية الجملة:

ان الجمل غير المنطوقة التي شكلت عائقا امام النظرية القصدية يمكن معالجتها عن طريق مبدئين هامين وردا في فلسفة فريجه اللغوية وهما:²

"

1- تتحدد القيمة الدلالية للتعبير المركب عن طريق القيمة الدلالية لأجزائه.

2- يتحدد معنى التعبير المركب عن طريق معاني مكوناته."

وبتطبيق هذين المبدئين يتحدد معنى الجمل المركبة سواء كانت منطوقة أم غير منطوقة علما أن التعبير المركب يضم الجمل والعبارات وأشباه الجمل والقيمة الدلالية لجملة هي قيمة صدقها(الصدق و الكذب) وللتعامل مع اعتراض بلاتس السابق اقترح غرايس في مقالته " المعنى لدى الناطق, ومعنى الجملة, ومعنى الكلمة " تعديل تحليل المعنى ليشير إلى المتكلمين ومقاصدهم سواء بالنسبة للجمل الكاملة او أجزاء الجملة أيضا- فيمتلك المتكلمون معرفة عن العناصر المكونة لمنطوق ما و هو ما أطلق عليه غرايس اسم " الإجراءات الناتجة " ولقد وجدت إشكالية مع هذا الاقتراح إذا انه ينسب إلى المتكلمين قدرا كبيرا من المعرفة وامتلاك مفاهيم معينة من غير المحتمل امتلاكها, واعترف غرايس أنه من الصعب إيجاد حل للغز المعنى. لذلك علينا أن نسلم بأننا نعرف " بمعنى ما " هذه النتائج.³

النظرية القصدية والمعنى اللغوي:

¹ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع السابق, ص64.

² صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص66.

³ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص67.

أراد غرايس من تقديمه الشروط الضرورية والكافية للمعنى لدى المتكلم تأسيس مفهوم المعنى اللغوي على مفهوم المعنى لدى المتكلم مع اسبقية هذا الاخير التي تتفق مع نظرة غرايس إذ يرى انه اوسع من المعنى اللغوي, لان المعنى يقع في اللغة وخارجها, ولكن هناك قضية لم يناقشها التحليل هي ان المعنى اللغوي مثال للمعنى الخالد الذي لا يرتبط باي مناسبة للنطق او الاستعمال, مقابل للمعنى لدى المتكلم الذي يرتبط بموقف النطق او الاستعمال.¹

حلّل غرايس في مقاله " المعنى لدى الناطق, ومعنى الجملة, ومعنى الكلمة " المعنى الخالد لدى الفرد عن طريق الاستعانة بعادة هذا الفرد في نطق أصوات معينة عندما يقصد ان يعتقد المستمع بشيء ما, ثم اكتشف ان المتكلم قد يستعمل وسائل أخرى لهذا الغرض, كما قد يستعمل الكلمات نفسها عندما يقصد ان يعتقد المستمع شيئا مختلفا تماما, وبذلك تصبح عادة المتكلم لاهي ضرورية ولا هي كافية للمعنى الخالد.²

ولم يتابع غرايس تحليله للمعنى الخالد, بل طوّر ذلك شيفر الذي استفاد من إسهامات ديفيد لويس David Lewis 1941 وآراءه عن فكرة الاصطلاح(او المواضعة) في كتابه " الاصطلاح دراسة فلسفية- 1969- " , وديفيد هيوم " رسالة في الطبيعة البشرية " حيث اقترح شيفر ان يجمع فكرة الاصطلاح مع فكرة تحليل المعنى لدى المتكلم ليقدم تقريرا عن المعنى الخالد(او المعنى اللغوي)³.

ومن المعلوم ان فكرة أصل اللغة, وارتباط الألفاظ بالمعاني كانت موضع بحث وخلاف منذ القدم بين الفلاسفة واللغويين على حد سواء, الا ان هذا الخلاف لا وجود له بين فلاسفة اللغة في عصرنا, اذ يؤكدون على الارتباط الاتفاقي او الاعتباري بين الكلمة ومعناها, وان اللغة تخضع للتحكم العقلي او القصدي من جانب المتكلمين, وهنا يكمن الخلاف بين الفلاسفة المعاصرين اذ

¹ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع السابق, ص 68.

² ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص 68.

³ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص 69.

يعارض بعضهم النظرية القصدية في المعنى التي تعتبر المعبر فاعلية محكمة بالعقل, فيتحكم المتكلمون ذهنيا في معنى كلماتهم.¹

ونظر لويس الى الاصطلاح على انه فكرة تخلد ذاتها في السلوك الإنساني او في الفعل والاعتقاد, فيكون ذلك سببا في طاعة الجميع لهذه الفكرة لاعتقاد كل فرد بان الآخرين يطيعون هذه الفكرة فيزود بسبب جيد لطاعتها, وبإضافة هذا التصور عن فكرة المواضعة الى فكرة المعنى لدى المتكلم يكون بمقدورنا تقديم تحليل للمعنى اللغوي الحرفي(الخالد)فتكون جملة(ص) بمعنى (ق) على نحو خالد في لغة جماعة ما اذا فقط ساد في هذه الجماعة اصطلاح باستعمال(ص)بمعنى(ق) (بطريقة النظرية القصدية في المعنى), وبذلك تتأكد نظرية أنصار غرايس.²

الاصطلاح+المعنى لدى المتكلم يساوي المعنى اللغوي(الحرفي الخالد)

وقد أكد سيرل ان الفكرة المحورية لفهم المعنى هي المعنى لدى المتكلم مع ضرورة مراعاة اصطلاحات اللغة, و حتى ان كانت اصطلاحات اللغة تفيد المعنى لدى المتكلم الا انه يبقى الصورة الأساسية للمعنى اللغوي اذ يمكن المعنى اللغوي المتكلمين من استعمال الجمل لتعني شيئا ما في المنطوقات.

ويمكن القول ان المعنى لدى المتكلم يرتبط بموقف استعماله, بينما المعنى اللغوي لا يرتبط بمناسبة الكلام لذلك فهو حرفي لصيق بالكلمة او الجملة, كما يفسر المعنى لدى المتكلم في حدود مقاصد المتكلمين أما المعنى اللغوي فيفسره الاصطلاح والمعنى لدى المتكلم و لذلك لخص غرايس المعنى اللغوي في:

المعنى اللغوي=الاصطلاح+القصد.³

سيرل في سياق الفلسفة التحليلية:

رغم اعتراف جميع الفلاسفة المعاصرين بان برنتانو هو اول من احيا مفهوم القصدية وصاغه صياغة نظرية كاملة. الا انهم يؤكدون أيضا ان دعواه في ذلك ليست صحيحة تمام الصحة, فبرنتانو

¹ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص 69, 70.

² ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص 72.

³ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع السابق, ص 73.

يقر ان الظواهر العقلية هي وحدها التي تظهر القصدية. ولكن سيرل في كتابه " القصدية 1983 " يخالفه في ذلك من غير إشارة صريحة الى انه ينقده،¹ يقول سيرل: " بعض الحوادث العقلية، وليس جميعها تملك قصدية. فالاعتقادات والمخاوف والآمال والرغبات قصدية. ولكن هناك صورة من العصبية والابتهاج والقلق غير الموجه لا تكون قصدية.. فاعتقاداتي ورغباتي لا بد من ان تكون دائما حول شيء ما ولكن عصبيتي وقلقي لا يكون بهذه الطريقة حول شيء ما " ².

فسيرل يؤكد ان ليست كل الظواهر العقلية تظهر القصدية كقصدية الكلمات والصور والرسوم البيانية... وفي الظواهر العقلية نفسها، ما كان منها موجها فهو ذا قصدية، وما لم يكن موجها فلا يملك قصدية أبدا. فالقلق والعصبية غير الموجهين ليسا في حاجة الى ان يكونا بهذه الطريقة حول اي شيء وتكون في الوقت نفسه مصحوبة باعتقادات ورغبات لا تتطابق مع هذه الحالات غير الموجهة،³ فاذا كانت " س حالة قصدية فليس بد من ان توجد اجابة على اسئلة من قبيل، ما الذي تنتجه اليه س ؟ او ما الذي تتعلق به س ؟ ان بعض انواع الحالات العقلية لها امثلة قصدية-وامثلة اخرى غير قصدية- مثلا مثلما توجد صور من الابتهاج والحزن والقلق حيث يكون المرء ببساطة مبتهجا وحزينا وقلقا من غير ان يكون مبتهجا او حزينا او قلقا بخصوص اي شيء، فكذلك توجد ايضا صور من الحالات التي يكون فيها المرء مبتهجا بان كذا وكذا قد حدث او حزينا او قلقا من توقع كذا وكذا. ان حالات القلق والحزن والابتهاج غير الموجهة ليس حالات قصدية، والحالات الموجهة قصدية " ⁴، فقد انضم سيرل إلى الفلاسفة الراضين لدعوى برنتانو الذي كان لسببين أساسين هما: ⁵

الاول: ان هناك حالات عقلية قصدية واخرى غير قصدية، وهذا يعني ان القصدية ليست ضرورية للخاصة العقلية.

¹ ينظر: صلاح اسماعيل، فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل، ص 193.

² صلاح اسماعيل، المرجع نفسه، ص 194.

³ ينظر: صلاح اسماعيل، المرجع نفسه، ص 193، 197.

⁴ صلاح اسماعيل، المرجع نفسه، ص 197.

⁵ ينظر: صلاح اسماعيل، المرجع نفسه، ص 194، 195.

الثاني: ان هناك ظواهر غير عقلية تظهر القصدية وهذا يعني ان القصدية غير كافية للخاصة العقلية, وصاغ الفلاسفة امثلة لذلك كاستعداد النبات للتحرك نحو مصدر الضوء, اوحاجته الى الماء, وهذه صور بدائية لظواهر غير عقلية تظهر القصدية وصور الكلمات والصور والرسوم البيانية... ويؤيد جليبرت هرمان هذه الفكرة قائلا: " الحالات والحوادث العقلية ليست الاشياء الوحيدة ذات القصدية. هناك قصدية حاجة العشب الى الماء, وهناك ايضا علامات التوقف, والرسوم الكهربائية, والصور الزيتية للوجوه, والروايات, وبرامج الكمبيوتر, وجميعها تتمتع بنوع ما من المضمون القصدية " ¹, اما جاجون كيم فيؤكد ان الظاهرة العقلية " ليست الظاهرة الوحيدة ذات القصدية, فكلماتنا و جملنا أيضا لها معنى ويمكن ان تشير الى اشياء او تتعلق باشياء " ².

واوضح سيرل الاختلاف بين التقليد التحليلي والاوري في تحليل اللغة العادية وفعال الكلام, ولخص ذلك بشرح الاختلاف بين فتجنشتاين وأوستن بقوله: " اكبر الظن ان فتجنشتاين اعتقد بالفعل ان الهدف من فحص اللغة العادية هو حل المشكلات الفلسفية التقليدية, واعتقد انه اذا ادركت كيفية ممارسة اللعبة اللغوية, فلن تميل كثيرا الى نتيجة شكية. ولكن اوستن اراد ان يمضي الى الخطوة التالية اذ اعتقد ان اللغة العادية فاتنة كمجال للبحث في ذاته. وعندما نمارس نظرية افعال الكلام لا نحاول حل المشكلات الفلسفية وانما نحاول بالاحرى ان نبدع فرعا جديدا في الفلسفة " ³ ثم بين الاختلاف بينه وبين هوسرل وغيره في تفسير القصدية بقوله: " إن مشروعني في تحليل القصدية مختلف كليّة عن مشروع هوسرل وهيدجر... و الرأي عندي أنّ هوسرل و هيدجر من الإستيمولوجيين التقليديين الذين اهتموا بالمشروع الأساسي: حاول هوسرل أن يعثر على شروط للمعرفة واليقين. و حاول هيدجر أن يعثر على شروط للمعقولية، و يستعملان معاً مناهج الفينومينولوجيا. و في نظريتي القصدية لا توجد عندي هذه الأهداف ولا تلك المناهج. وإنما أنا مشغول بمجموعة كبيرة من المشروعات، يمكن التفكير في واحد منها

¹ صلاح اسماعيل, المرجع السابق، ص 195.

² صلاح اسماعيل, المرجع نفسه، ص 195.

³ صلاح اسماعيل, المرجع نفسه، ص 37.

بشكل معقول على أنه تحليلي منطقي بالمعنى الذي يُمثله رسل وتارسكي وفريجه وأوستين وعملي المبكر في أفعال الكلام"¹, فقد اخذ سيرل عن الفلسفة التحليلية اطرها العامة, ولكنه ميز نفسه بمجموعة من الخصائص والطرائق الهامة, فاللغة اساسية للاهتمامات الفلسفية, ويجب النظر اليها في ذاتها باعتبار ان لها خلفية من القدرات البيولوجية العصبية والنفسية التي تميز الكائنات البشرية وتدعم اساس قدراتنا بوصفنا كائنات تستعمل اللغة, ليكون الاستعمال اللغوي احد وسائل مناقشة المشكلات الفلسفية الى جانب معالم اخرى كالوعي, ونقد الذكاء الاصطناعي والواقع الاجتماعي والمؤسسة الاجتماعية والعقلانية وحرية الارادة... والقصدية التي لا تمثل عنده الا معلما واحدا من معالم رحلته في البحث اللغوي وفي فلسفة اللغة الذي بدأه بكتاب "افعال الكلام" والمشكلة عنده ليست كيف تكون المعرفة ممكنة؟ وما الذي يمكن ان نعرفه؟ وانما: كيف نحلل العقل؟ وكيف نفهم الوعي والقصدية هل ترتبط قصدية العقل بقصدية اللغة؟ وأيها اسبق؟ وكيف نمثل الاشياء باستعمال الكلمات والجمل؟ باعتبار فلسفة العقل هي الفلسفة الأولى والموضوعات المرتبطة بها وباللغة والمعرفة والأخلاق والاجتماع والعقلانية وحرية الإرادة ونحو ذلك تفهم فهما جيدا عن طريق فهم الظواهر العقلية، فكتب في فلسفة اللغة ثم في فلسفة العقل ثم الفلسفة الاجتماعية... الى جانب موضوعات اخرى كالانطولوجيا, والعلم والسببية والاخلاق... لتشكل هذه الموضوعات جميعها نظرية فلسفية عامة تحليلية متشعبة الجوانب, دقيقة التفاصيل.², ويصوب سيرل من وراء دراسته للقصدية الى تحقيق هدفين أساسيين:³

الأول: اثبات الارتباط الموجود بين اللغة والعقل اذ انهما يظهران القصدية معا, الا ان قصدية العقل اسبق من قصدية اللغة لانها الاساس ويثبت ذلك في مقدمة كتابه "القصدية" بالقول: "الافتراض الاساسي القائم وراء تناولي لمشكلات اللغة هو ان فلسفة اللغة فرع من فروع فلسفة العقل وقدرة افعال الكلام على تمثيل الاشياء وحالة الاشياء في العالم هي امتداد لقدرات اساسية على نحو بيولوجي كبير للعقل (او المخ) لربط الكائن الحي بالعالم عن طريق

¹ صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص184.

² ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع السابق, ص41, 42, 43, 57, 166.

³ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص57, 58.

حالات عقلية من قبيل الاعتقاد والرغبة, ومن خلال الفعل والإدراك الحسي على وجه الخصوص وطالما أن أفعال الكلام نوع من الفعل الإنساني وطالما ان قدرة الكلام على تمثيل الاشياء وحالة الاشياء هي جزء من قدرة عامة جدا للعقل على ربط الكائن الحي بالعالم فان اي تقرير كامل عن الكلام واللغة يتطلب تقريرا عن الكيفية التي يربط بها العقل/المخ الكائن الحي بالواقع"¹

اما الهدف الثاني فهو رسم معالم واضحة لدراسة صحيحة للعقل تفيد من نتائج العلم في مجال فيسيولوجيا الأعصاب وكيفية عمل المخ, وتستبعد الأفكار الفلسفية الخاطئة التي جاءت بها النظريات الاخرى في مجال العقل والقصدية كالسلوكية Behaviorism, والوظيفية Functionalism والنزعة الحسائية Computationalism.

ويعرّف سيرل القصدية على انها تلك القدرة التي يمتلكها العقل فيوجه ذاته نحو الاشياء او يتعلق بها, وتكون الحالات العقلية قصدية اذا كانت حول شيء Obaut Some thing, او نحو شيء ما To ward som ething directed, او تمثل شيئا ما represent some thing, فتضم بذلك عددا لا حصر له من الظواهر العقلية كالتذكر, الحب, الكراهية, والإدراك الحسي والرغبة الجنسية والاعتقاد والخوف والأمل...² ويمكن الاحاطة بعناصر مفهوم القصدية من خلال الملاحظات الآتية:

"

- 1- يوجد في الوعي شيء ما امام العقل.
- 2- يملك العقل قدرة على توجيه ذاته نحو الاشياء.
- 3- الاحداث الواعية تكون موجهة نحو الاشياء او تملك اشارة اليها.
- 4- الاحداث الواعية تكون حول الاشياء.

¹ صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص58.

² ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص151.

5- نحن لا نعتقد فحسب, او نرغب فحسب, او نرى فحسب, وانما نعتقد في شيء ما ونرغب في شيء ما ونرى شيئاً ما.

6- نستطيع الاعتقاد فيما لا يكون واقعياً ونرغب فيما لا يوجد..¹

ويشير سيرل إلى وجود خلط بين مصطلح "القصدية" و مصطلحي "القصد Intention بمعناه العادي، و المفهومية Intensionalite خاصة للناطقين بالّلغة الإنجليزية إذ تنطقان بطريقة واحدة و تختلفان في حرف واحد (sot) ⁽²⁾. يقول سيرل مشيراً إلى الالتباس السابق: "مفهوم القصدية مصدر لنوعين من الخلط. فأما الأوّل فيتمثّل في وجود إغراء لخلط القصدية Intentionality وتعني قدرة العقل على تمثيل الأشياء وحالات الأشياء في العالم بالمفهومية Intentionality وهي خاصية لجمل معيّنة عن طريقها تحقق الجمل في أنواع معينة من الاختبارات بالنسبة للماصدية extensionality. وأما النوع الثاني من الخلط بالنسبة للمتكلمين بالإنجليزية فهو الافتراض الخاطئ الذي مؤداه أنّ القصدية باعتبارها مصطلحاً فنياً في الفلسفة لها علاقة خاصّة ما بالقصد بالمعنى العادي. والذي فيه على سبيل المثال يقصد المرء الذهاب إلى السينما هذه اللّيلة." ⁽³⁾

لكنّ القصدية بالمعنى الفلسفي يختلف عن القصد بالمعنى العادي على الرغم من وجود صلة جوهرية غير فلسفية بينهما، فإذا قصدت الوضوء لإقامة الصلاة أكون قد مثلت هذا الفعل لنفسي، أي: إنّ القصد حالة تمثيلية و من ثمّ قصدية، وله دور في دراسة أسباب الانفعال باعتباره حالة خاصّة من حالات العقل، ولكنّه كباقي الحالات العقلية الأخرى (الاعتقاد، الرغبة، الأمل، الأحكام...)

¹ صلاح اسماعيل، المرجع السابق، ص 152.

⁽²⁾ ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص 152.

⁽³⁾ ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص 152.

مجرد صورة من صور القصدية المتعددة. (1) يقول سيرل: "القصد بالمعنى العادي هو مجرد صورة واحدة من القصدية بالإضافة إلى الاعتقاد والرغبة والأمل والخوف، وهلم جرا" (2).

أما عن الفرق بين القصدية و المفهومية يقول سيرل: "المفهومية هي خاصية لفئة معينة من الجمل، و العبارات والكائنات اللغوية الأخرى، يُقال إن الجملة مفهومية إذا أخفقت في استيفاء معايير معينة للماصدقية معايير مثل قابلية الاستبدال للتعبيرات المتطابقة و التعميم الوجودي" (3). ولعل هذا القول يحتاج إلى إمطة اللثام عن مصطلحين اثنين حتى يُدرك مقصوده، وهما: قابلية الاستبدال للتعبيرات المتطابقة الذي مفاده "إذا كان الشيء له اسمان (ق) و(ك)، وتقول شيئا صادقا عنه مستعملا (ق) فإنك لا تستطيع أن تحوّل هذا الصدق إلى كذب باستبدال (ك) ب(ق)". (4) بمعنى أنّ العنصرين معًا يعودان على نفس المرجع، ولذلك فاستبدال أحدهما مكان الآخر لا يؤدي إلى صدق أو كذب الجملة التي يظهران فيها ويسمى هذا المبدأ أيضا مبدأ الاستبدال مع الاحتفاظ بقيمة الصدق. (5)

أما مبدأ التعميم الوجودي فمؤداه أننا نستطيع الاستدلال على وجود شيء من العبارة المتعلقة به مثل:

-ألف نجيب محفوظ رواية "ميرمار".

نستطيع من خلالها الاستدلال على العبارة:

-يوجد شخص ألف رواية "ميرمار" هو نجيب محفوظ.

(1) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص 153.

(2) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص 153.

(3) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص 154.

(4) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع السابق، ص 154.

(5) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص 155.

فإذا كانت العبارة الأولى صادقة فإنّ العبارة الثانية صادقة أيضاً. (1)

ومّا سبق يمكن القول إنّ المفهوم هو مجموع الصفات التي تكفي لتعريف لفظ ما أو تحديد معنى كليّ، ويكون السياق الغوي أو المنطقي مفهوماً إذا أخفق أحد المبدئين السابقين أو هما معاً في التطبيق عليه تطبيقاً صادقاً. ولكنّ إذا كانت المفهومية على هذا النحو فما علاقتها بالقصدية؟ لو طبّقنا المفهومية على جمل حول الاعتقادات لوجدنا أنّ مبدأ استبدال الحدود المشتركة في الإشارة يخفق والسبب في ذلك أنّه لا يعتمد فقط على ما نعتقد (الشيء الذي يمثله الشخص المعتقد)، بل أيضاً على الطريقة التي يُمثّل بها الشيء المعتقد فيه. كالشخص الذي يعتقد ويمثّل أحمد شوقي على أنّه أحمد شوقي وليس أمير الشعراء، ولو طبّقنا مبدأ التعميم الوجودي على الجمل ذاتها (جمل الاعتقاد) لأخفق نتيجة للحقيقة القائلة: إنّ التمثيلات يمكن أن تُمثّل أشياء لا توجد، والتّفكير فيما لا يوجد أحد السمات المعرّفة للقصدية. وبهذا تكون المفهومية نتيجة لقصدية الاعتقادات ذاتها. (2)

فضّل سيرل مصطلح " التمثيل " عن مصطلح " القصدية "، وقسّم القصدية إلى: باطنية ومشتقة. و المقصود بالتمثيلات . كما صرّح سيرل . أنّ الكائنات البشرية تملك " مجموعة متنوّعة من الطرق المترابطة لتقريب ملامح العالم و تمثيلها لذواتها و تتضمن هذه الطرق الإدراك الحسّي و التّفكير و اللّغة والاعتقادات و الرغبات بالإضافة إلى الصور و الخرائط و الرسوم البيانية و نحو ذلك. و سوف أسمي هذه الطرق بشكل عامّ " التمثيلات ". و ملامح التمثيلات المحدّدة هكذا هو أنّها جميعاً ذات قصدية، قصدية باطنية، كما هو الحال في الاعتقادات والإدراكات الحسيّة، و قصدية مشتقة كما هو الحال في الخرائط والجمل " (3)

فالقصدية الباطنية (الأصلية) هي التي لا تخضع لملاحظ خارجي كالرغبات و الاعتقادات... فهي تمثيلات عقلية خاضعة لذواتنا ومستقلّة عن الملاحظ، أمّا القصدية المشتقة فهي المعتمدة على الملاحظ مثل: قصدية اللّغة التي تعتمد على مجموع مستعملها المالكين للمعنى ذاته

(1) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص 156.

(2) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص 154. 157. 158 .

(3) صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص 44.

الذي تملكه هذه اللغة و تمثله ، فالعقول وحدها هي التي تملك قصدية أصليّة وباقي الحالات الأخرى كاللغة تملك قصدية مشتقة لأنّها من غير عقل، ولذلك يعتبر سيرل أنّ التمثيل العقلي هو الصورة الأساسية من التمثيل ، ومنه نشقّ التمثيل اللغوي".⁽¹⁾ وفي ذلك يقول: " المعنى اللغوي صورة حقيقية من القصدية، و لكنّه ليس قصدية باطنية، وإنما قصدية مشتقة من القصدية الباطنية لمستعملي اللغة".⁽²⁾

و القصدية عند سيرل تتطلّب الوعي، يقول: " إنّنا لا نفهم القصدية إلاّ في حدود الوعي".⁽³⁾ فالعلاقة الجوهرية بين القصدية والوعي هي أنّنا لا نفهمها إلاّ في حدوده ، ولكن ليست كلّ الحالات الواعية قصدية و لا كلّ الحالات القصدية واعية ، فالقلق والفرح الغير قصدي (الغير موجّه) حالات عقلية واعية و غير قصدية، في حين أنّ الاعتقادات و الرغبات والآمال حتّى في حالة النوم أمثلها فهي قصدية و غير واعية.⁽⁴⁾

من الفعل الكلامي الى قصدية العقل:

اكمل سيرل عمل اوستن في نظريته العامة عن افعال الكلام saech acts من خلال تقديمه الاطار النظري المطلوب لهذه النظرية فوضح داخل هذا الاطار اتحاد الابعاد الثلاثة المتضمنة في الفعل الكلامي وهي المنطوق utterance والمعنى meaning والفعل action.

وكانت هذه الخطوة هي نقطة التحول في منهج سيرل من الفلسفة اللغوية الى فلسفة العقل او من أفعال الكلام الى قصدية العقل وأقر أن قصدية الفعل الكلامي لا تختلف في نمطها عن قصدية الفعل العقلي. ويعترف بمزية نظرية اوستن على الفلاسفة عامة وعليه بخاصة قائلا: " ..ان احدى المزاي العظيمة في نظرية اوستن عن افعال الكلام هي انها مكنت الفلاسفة اللاحقين من فهم فلسفة اللغة باعتبارها فرعا من فلسفة الفعل philisophy of action. وطالما ان افعال الكلام

(1) ينظر صلاح إسماعيل ،المرجع السابق ص231.232.

(2) صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص230.

(3) صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص 272.

(4) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص269. 270.

هي افعال مثل اية افعال اخرى, فان التحليل الفلسفي للغة يكون جزءا من التحليل العام للسلوك الانساني, وطالما ان السلوك الانساني القصدى هو تعبير عن الظواهر العقلية, فانه يثبت في نهاية الامر ان فلسفة اللغة وفلسفة الفعل جوانب مختلفة بالفعل من مجال اكبر, اعني فلسفة العقل وفي هذه الواجهة من النظر, لاتكون فلسفة اللغة "فلسفة اولى" **first philosophy**, وإنما تكون فرعا من فلسفة العقل. وبرغم ان اوستن لم تطل به الحياة حتى ينجز برنامج البحث المتضمن في اكتشافه, فان العمل الثاني- بما في ذلك عملي- قد انجز هذا البحث¹

استفاد سيرل خلال تطويره لنظرية اوستن في اعمال الكلام من اسهامات غرايس في النظرية ذاتها, وبخاصة نظريته القصدية في المعنى والمبادئ العقلية للتعاون التخاطبي-conversational-co-operation, فنظر الى الفعل الكلامي على انه اقل وحدة في التواصل اللغوي او الاستعمال الفعلي للغة, وهو نوع من الافعال القصدية, واستطاع ان يتساءل عن عدد أنواع المنطوقات في صيغة جديدة تعكس التساؤل عن عدد أنواع الأفعال المتضمنة illocutionary acts أو بصيغة أخرى عدد الطرائق الممكنة التي يربط بها المتكلمون المضامين القضية في الواقع الخارجي بأداء الافعال المعبرة عن مقاصد متضمنة في الكلام illocution intentions فحصل على انماط خمسة للفعل المتضمن في الكلام بناء على تحليل بنية هذه المقاصد.²

وهذه الأنماط الخمسة:

1- أفعال تمثيلية (إخبارية) **Représentatives** : وهي التي تعبر عن اعتقاد المتكلم

بوصفه لواقعة ما. بحيث تلزمه بصدق القضية المعبر عنها كأفعال التقرير، الاستنتاج، التقرير،

الإستنباط ...

2- أفعال توجيهية **Directives** : وفيها يهدف المتكلم إلى توجيه المستمع للقيام بشيء

معين كالطلب، السؤال، التحدي، الترجي، الاستجواب ...

¹ صلاح اسماعيل، المرجع السابق، ص54.

² ينظر: صلاح اسماعيل، المرجع نفسه، ص55،54.

3- أفعال إلتزامية **Commissives** : وهي الأفعال التي يلزم محتواها القضوي المتكلم بالقيام

بسلسلة من الأفعال في المستقبل. مثل: أفعال الوعد، الوعيد، الوصية، العرض ...

4- أفعال تعبيرية **Expressives** : وغرضها التعبير عن الحالة النفسية للمتكلم ومن أمثلتها

: الشكر، التهئة، الاعتذار، الترحيب ...

5- أفعال إعلانية **Déclaratives**: وهي التي يطابق محتواها القضوي العالم الخارجي،

فتحدث تغيرات فورية في سير الأحداث العرفية باعتمادها على طقوس فوق لغوية مثل :

إعلان الزواج، أو الحرب، أو طقوس التنصير ... (1) **اعيد النظر فيها**

اقتنع سيرل اذن بان تقديم نظرية في استعمالات اللغة وصنيفها وفهمها كاملا ليس حلا
لعديد المشكلات الفلسفية, لان كثير الافعال تتطلب اثناء انجازها حرية وارادة وعقلانية وموضوعات
اخرى غير اللغة كالعقل والوعي والقصدية والمخ وبنية المجتمع... (كتابه العقلانية في الفعل عام
2001), فحوّل سيرل في اواخر الثمانينات اتجاه دراسته الى فلسفة العقل, ² ووضح اسهامه في
هذه الفلسفة بالقول: " نشأ عملي في فلسفة العقل من عملي المبكر في فلسفة اللغة, وبصفة
خاصة نظرية افعال الكلام. ولقد عني معظم عملي في فلسفة العقل بموضوعات في القصدية
وبنيته, وعلى وجه الخصوص قصدية الادراك الحسي والفعل. وعلاقة قصدية العقل بقصدية
اللغة. وكتبت بصورة واسعة ايضا في العلم المعرفي **cognitive science** وبخاصة عيوب
النموذج الحسابي في العقل, **computational model of mind** وارتبط جانب
اخر من عملي بمشكلة العقل والجسم وطبيعة الوعي وبنيته, وعلاقة الوعي باللاوعي, والصيغة
الملائمة للتفسير في العلوم الاجتماعية وتفسير السلوك الإنساني بصفة عامة"³

واهم المقالات التي فيها سيرل في هذا المجال نجد: ما هي الحالة القصدية عام 1979 والعقول
والأفخاخ والبرامج 1980, والقصدية الباطنية عام 1980, والفلسفة التحليلية والظواهر العقلية عام

(1) عبد الرحمن بودرع، قضايا البحث التداولي، ص 6،7.

وينظر جون أوستين وجون سيرل : أفعال الكلام ، تر : منصور العجالي، ص

² ينظر: صلاح اسماعيل، المرجع السابق، ص 56.

³ صلاح اسماعيل، المرجع السابق، ص 56.

1981 والقصدية والمنهج عام 1981، وأسطورة الكمبيوتر عام 1982 ثم توج كل هذه المحاولات بكتابه "القصدية مقال في فلسفة العقل" عام 1983.

شرح سيرل بنية القصدية أو العلاقة القصدية عن طريق ربطها بأفعال الكلام إذ أنّ لهما بنيةً متوازية، ففي كتابه " القصدية" طَبَّق الأفكار التحتية لنظريته في أفعال الكلام على نظرية القصدية تطبيقاً عاماً⁽¹⁾. وقد صرَّح بذلك قائلاً: "عندما عالجت نظرية أفعال الكلام حاولت تحليل الشروط الضرورية و الكافية لأداء أفعال الكلام ونطق الجملة. و هذا نوع من المنهج الكلاسيكي في الفلسفة التحليلية أي؛ الحصول على الشروط الضرورية والكافية. و لقد طبقت هذا المنهج على دراسة القصدية. وفي هذه الدراسة لم يكن السؤال عن الشروط الضرورية والكافية لأداء العقل، وإنما كان السؤال عن الشروط الضرورية والكافية لكي تستوفي الحالة القصدية. و هذه هي شروط الاستيفاء"⁽²⁾.

أكد سيرل أنّ الحالات القصدية أنواع مختلفة، ولكلّ حالة مضمون قصدي، و قد تشترك الحالات القصدية في نفس المضمون القصدي رغم اختلافها في النوع فلنلاحظ الجمل التالية:

- أعتقد أنّك ستنجح هذا العام.

- أرغب أن تنجح هذا العام.

- آمل أن تنجح هذا العام.

فهذه الجمل وردت في أنماط نفسية أو أشكال سيكولوجية متباينة (الاعتقاد، الرغبة، الأمل). و لكن لها نفس المضمون القصدي أو التمثيلي (و هو النجاح هذا العام)، و هذا يشابه ما يعرف في نظرية أفعال الكلام المحتوى القضوي، و القوّة المتضمنة في الفعل.⁽³⁾

طبيعة القصدية:

(1) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص.57.

(2) صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص.46.

(3) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع السابق، ص.220.221.

يقول سيرل عن طبيعة العلاقة التي تكون بين الحالة القصدية والموضوع: "لاحظ ان القصدية لا يمكن ان تكون علاقة عادية مثل الجلوس على قمة شيء او ضربه بقبضة اليد لانه بالنسبة لمجموعة كبيرة من الحالات القصدية, يمكن ان اكون في حالة قصدية من غير ان يوجد الشيء او حالة الواقع التي تكون الحالة القصدية موجهة اليها. استطيع ان امل ان تمطر حتى لو لم تكن تمطر واستطيع الاعتقاد بان ملك فرنسا اصلع حتى لو لم يوجد ملك لفرنسا"¹

ان العلاقة بين الحالة القصدية والشيء الذي تتجه اليه ليست علاقة فيزيائية ولا علاقة باشيء ماديه، فالحالات القصدية حسب راي سيرل تمثل الاشياء, وحالات الواقع بالطريقة نفسها التي تمثلها بها افعال الكلام على الرغم من انها صورة مشتقة من القصدية, ومنه فانها تمثل الاشياء تمثيلا مختلفا عن الحالات القصدية ذات الصورة الباطنية من القصدية.²

وحيثما يقر سيرل ان الحالات القصدية هي تمثيل للاشياء وحالات الواقع فان استعماله لمفهوم التمثيل يختلف عن استعمالات الفلسفة التقليدية وعلم النفس المعاصر والذكاء الاصطناعي, فاذا كانت الرغبة تمثيلا فانه لا يعني ان الرغبة نوع من الصورة لانها لا تقدم شيئا سبق تقديمه من قبل ولان نظرية المعنى والصورة في اللغة التي قدمها فتحنشتاين في كتاب "رسالة منطقية فلسفية" شيء يرفضه سيرل³, ويرى ان التمثيل "يفهم بالقياس الى أفعال الكلام: معنى "يمثل" الذي يمثل فيه الاعتقاد شروط استيفائه هو نفس المعنى الذي تمثل به العبارة شروط صدقها. والقول ان الاعتقاد تمثيل هو ببساطة القول انه ذو مضمون قضوي وشكل سيكولوجي وان مضمونه القضوي يحدد فئة شروط استيفائه تحت جوانب معينة، وأن شكله السيكولوجي يحدد اتجاه المطابقة لمضمونه القضوي"⁴

وهذه الحالات القصدية تربط المضمون القضوي بالعالم الواقعي مع التزامات مختلفة من المطابقة.

¹ صلاح اسماعيل, المرجع السابق, ص190.

² ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص190.

³ ينظر: صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص192.

⁴ صلاح اسماعيل, المرجع نفسه, ص193.

ومصطلح اتجاه المطابقة (أو التوجه التناسبي) ابتكره جون أوستين في كتابه "مقالات فلسفية" عام 1961 في سياق نظرية أفعال الكلام ثم ساق له أنسكومب (1911-...) الأمثلة الموضحة والشارحة في كتابها "القصد" عام 1957، ثم نقله سيرل من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة.

(1)

ففي نظرية الأفعال الكلامية تمثل العبارات الخيرية الواقع الموجود بشكل مستقل، وبقدر ما تنجح أو تُحقق في تمثيله تمثيلاً دقيقاً يقال إنها صادقة أو كاذبة، فكذلك المطالب و الأوامر والوعود تُحدث تغييرات في العالم لدرجة أن يصبح العالم مضاهياً محتواها، ومنه فإن العبارات والتقارير و الأوصاف... تملك اتجاه مطابقة من الكلمة إلى العالم، أي تكون صادقة أو كاذبة اعتماداً على ما إذا كان العالم يوجد فعلاً كما مثلته المنطوقات. أما الأفعال التوجيهية (الأوامر الالتماس... والأفعال الإلزامية (الوعود النذور...) فتملك اتجاه مطابقة من العالم إلى الكلمة وتوصف بالتحقق أو الانجاز إذا ما ضاهى العالم محتواها القضوي و بالإخفاق إذا لم يحدث ذلك أما الأفعال التعبيرية (الشكر التهئة التعزية...) فتملك اتجاه مطابقة فارغ لان هدفها لا هو تقرير المضمون القضوي ولا تغيير العالم يجعله يضاهي المضمون القضوي. (2)

و من اللغة إلى العقل هناك تشابه بنيوي كبير بين أفعال الكلام و الحالات القصدية في اتجاه المطابقة التي يمكن أن نميز بين ثلاثة أنواع منها:

النوع الأول: يملك اتجاه مطابقة من العقل إلى العالم لأنها تمثل كيفية وجود الأشياء ويمكن القول عنها إنها صادقة أو كاذبة مثل: الاعتقادات والادراكات الحسية و حالات التذكر... فهي حالات تمثل كيف تكون الأشياء في العالم، وإن جاز القول إنها مسؤولة على أن تتناسب مع العالم. (تملك توجهها عقلياً تناسبياً نحو العالم).

(1) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص222.

(2) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع السابق، ص223.224.225.

النوع الثاني: لها اتجاه مطابقة من العالم إلى العقل لأنها تمثل الطريقة التي نود أن توجد بها الأشياء أو التي نخطط بها لكي نجعل الأشياء موجودة و يمكن القول إنها أنجزت أو تحققت مثل الرغبات و المقاصد، فإنها تمتلك توجه تناسب عالمي نحو العقلاؤ توجه تناسبى باطل.

النوع الثالث: لها اتجاه مطابقة فارغ كالخزن والفرح و الأسى والابتهاج... فهي حالات ذات مضامين مسلم بصدقها لكنها لا تملك توجهها تناسيبا، لأن هدفها ليس التلاؤم مع الواقع أو تلاؤم الواقع معها ولكنها تفترض سلفا أن الواقع متناسب إنها تفترض علاقة تناسبية عوض أن تقرها أو تحاول إنشائها. (1)

ثم لاحظ سيرل أن شرط الصدق لا ينطبق على كل الحالات القصدية و إنما على بعضها فقط (الاعتقادات). ولذلك اوجد فكرة اعم و اشمل من فكرة الصدق. وهو مصطلح شروط الاستيفاء أو النجاح الذي عده مفتاح القصدية. (2) وفي ذلك يقول: "إن هذه الحالات القصدية من قبيل الاعتقادات والرغبات لها شروط استيفاء. و هذا المصطلح يشمل شروط الصدق بالنسبة للاعتقاد. وشروط الانجاز بالنسبة للرغبات. و شروط التحقيق بالنسبة للمقاصد و هلم جرا. و امتلاك شروط الاستيفاء هو ملمح عام لمجموعة كبيرة جدا من حالات قصدية ذات المضمون القضوي. و شروط الصدق هي حالة خاصة من شروط الاستيفاء." (3)

و في هذه النقطة أيضا نجد تماثلا بين بنية أفعال الكلام والحالات القصدية. ففي أفعال الكلام نجد أن الفعل الكلامي يستوفي أو لا يستوفي اعتمادا على محتواه القضوي في موافقته العالم أو عدم موافقته مع اتجاه المطابقة الملائم له فتكون الأساليب الإخبارية مستوفاة عندما يكون الشيء المقرر صادقا ويكون الأمر مستوفيا عندما يتحقق ويكون الوعد مستوفيا إذا تم الوفاء به و هكذا... و في الحالات القصدية كذلك تستوفي الاعتقادات عندما يكون المعتقد فيه صادقا وتستوفي المقاصد عندما يتحقق المقصود وتستوفي الرغبات عندما تنجز و لكن هناك حالات قصدية ليس لها مضمون قضوي

(1) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص225.226.

(2) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص226.227.

(3) صلاح إسماعيل، المرجع السابق، ص226.

تام و من ثم لا تملك شروط استيفاء كالحب والكراهة والإعجاب ... وحالات أخرى لها مضمون قضوي ولكنها لا تملك اتجاه مطابقة كالحجل والسعادة والندم... هذه الحالات حاول سيرل تكييفها عن طريق النظر إلى تأليفها فهي تتألف جزئيا من حالات قصدية أخرى ذات مضمون قضوي تام و تملك شروط استيفاء ولها اتجاه مطابقة وتنحصر أساسا في الاعتقادات والرغبات فحبي لشخص ما لا بد أن يكون مصحوبا باعتقادات ورغبات تتعلق به وبالتالي تخضع هذه الحالات أيضا لقانون شروط الاستيفاء. (1)

إن الحالات القصدية عند سيرل هي تلك الحالات التي تحتوي مضمونا قسديا يدل على شيء أو موضوع وتظهر في شكل سيكولوجي معين يحدد لها اتجاه مطابقة وقصدية هذه الحالات قصدية باطنية لأنها أفعال عقلية فالعقل هو الأساس العميق الذي تشتق منه الصور القصدية الأخرى كقصدية الصور والرموز واللغة. (2)

و انطلاقا من القصدية العقلية فسر سيرل قصدية الأفعال الكلامية أو قصدية المعنى وأكد أن قصدية اللغة هي قدرة أفعال الكلام على تمثل الأشياء في العالم عن طريق حالات عقلية. يقول سيرل في تفسيره للمعنى: "إليك المفتاح لفهم المعنى: المعنى صورة من القصدية المشتقة. و القصدية الأصلية أو الباطنية لتفكير المتكلم تنتقل إلى الكلمات والجمل والعلامات وهلم جرا". (3) ومن غير هذه القصدية فان ما نسمعه لا يعدو أن يكون مجرد لغو أو موجات صوتية أو حبرا على ورق لا عبرة منه. (4)

و لذلك عد القصد لب العملية التواصلية و عاملا أساسا في استعمال اللغة وتأويلها، وقد أدرك الباحثون ذلك في كل العلوم التي تتعلق بلغة الخطاب، ولاحظوا أنها تعمل على بلورة المعنى

(1) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص 227.228.

(2) ينظر صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص 229.

(3) صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص 230.

(4) صلاح إسماعيل، المرجع نفسه، ص 230.

، كما هو عند المرسل الذي عليه إيجاد كيفية التعبير عن قصده ،واختيار الآليات المناسبة لنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى.

إن إطلاق صفة الفعل على أي شيء كان لا يمكن أن تتم إلا بعد التأكد من قصد الفاعل ؛أي لا وجود لفعل ما لم يصحبه قصد ،وبحسب هذا يكون الخطاب نوعا من الفعل لأنه مقصود غالبا "فلا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل"⁽¹⁾ ، وغاية قصد المرسل هي إفهام المرسل إليه، ويشترط في هذا المرسل للتعبير عن قصده أن يمتلك ناصية اللغة في جميع مستوياتها خاصة الجانب الدلالي، فيُدرك العلاقة بين كل دال ومدلوله ،وكذلك معرفته بقواعد تركيبها وسياقات استعمالها ،أي عالما بمواضيع إنتاج خطاب ما بهذه اللغة⁽²⁾.

وهذا يؤدي أيضا إلى اعتبار القصد أساسا في المواضعة داخل الجماعة اللغوية الواحدة، فنجده ركيزة أساسية سواء في وضع العلامات الطبيعية أو غيرها ،فلا يقتصر دوره على إيجاد العلاقة الدلالية بين الدال والمدلول ،بل يمتد إلى استخدامها أثناء الخطاب.

إضافة إلى هذا يتدخل القصد كذلك في إنشاء المجاز، من خلال تفكيك العلاقة الأصل بين الدال والمدلول ،وبناء علاقة جديدة تستند على خلفية كل من المرسل والمرسل إليه لمعنى هذه الكلمة ،فيعمد طرفا الخطاب منذ البداية إلى تحديد المقاصد من الألفاظ والمفاهيم والعبارات ،لأن لا يقعا في تساؤل عمّا يقصدان بكلامهما، ولكيلا يكون بعد ذلك حجة لأحدهما على الآخر عند الاختلاف أو محاولة التملص ،وآلية التفكيك والإعادة هذه تخدم قصد المرسل عند التعمية على من يجهل اللغة في وضعها الأصل، فيحصر الدلالة في أفق ضيق لئلا يفهمها غير المتخاطبين وهو نوع من المواضعة الجديدة التي تنشأ دلاليا من لبّ الاصطلاح الأصلي ،فتتكون لغات خاصة : كلغات الإجرام ،السياسة ،الطب....⁽³⁾

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية،ص183 .

(2)ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ،المرجع نفسه، ص183 .

(3)ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ،المرجع نفسه ، ص183 .185.

ومن هنا يتضح ارتباط القصد باستعمال العلامة اللغوية أيًا كان نوعها، لينجح المرسل في إيصال مراده إلى المرسل إليه، فمع أن الوظيفة الرئيسة للسان هي التواصل، وهي وظيفة يشترك فيها مع غيره من الأنظمة السيميوطيقية إلا أن القصدية وإرادة المتكلم شرط في هذا التواصل حتى يبلغ درجة التأثير في المتلقي، ولا يمكن لهذا الدليل أن يكون أداة التواصل القصدية، ما لم تشترط القصدية الواعية.

وقد أُخذ القصد معيارًا لتصنيف العلامات اللغوية، وانتقالها من صنف إلى آخر، واكتسابها لمعنى معين بعد أن كانت خالية من المعنى.⁽¹⁾

وعليه صُنِّفت العلامات من حيث دلالتها إلى ثلاثة أصناف: العلامات العفوية، العلامات العفوية المغلوطة، والعلامات القصدية: وهي وقائع توفر إشارات وضعت قصدا لتوفيرها، ولا تبلغ هذا الهدف إلا باعتراف مسبق بها، فتكون القصدية التواصلية الواعية شرطا حتى يصير الدليل أداة القصدية التواصلية ولهذا يمكن القول أن موضوع السيميولوجيا هو العلامات القائمة على القصدية التواصلية⁽²⁾.

وعند شرح العملية التواصلية نجد أن التواصل اللغوي يخضع لنوعين من القصد: قصد رئيسي، وقصد ثانوي. "فالقصد الرئيسي هو الإيحاء بذات الحكم في ذهن المستمع، أي دفعه إلى إصدار نفس الحكم، أما القصد الثانوي فهو قصد التعبير عن الاعتقاد الشخصي في صحة مضمون الحكم، فالمقصد الثانوي ليس مطلوبا لذاته، بل يوضع لخدمة المقصد الرئيسي"⁽³⁾، ويندرج التواصل اللغوي بصفته فعلا نفسيا ضمن السلوك القصدية، على خلاف السلوك الآلي غير الإرادي، فالسلوك الآلي يعني كل حركة غير تامة في ذاتها بعكس أفعال الرؤية والتفكير والإدراك، فنحن نقول نرى ورأينا، ونفكر وفكرنا، ... وما يُميّز فعل التواصل اللغوي هو أنه يتحقق قصدا و حركة في الوقت ذاته"، فيتلفظ المتكلم ساعيا إلى تحقيق قصد معين في ذات الوقت في ذهن

(1) ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص 185.

(2) ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص 186.

(3) عز العرب الحكيم بناني، الظاهراتية و فلسفة اللغة تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية، ص 154.

المستمع، ولا يتعرف المستمع على دلالة العبارة التامة إلا إذا تبين في ذات الوقت قصد المتكلم، قصد المتكلم من فعل التبليغ هو دفع المستمع إلى إصدار حكم معين، ويفهم المستمع فحوى الرسالة عندما يتبين قصد المتكلم المركزي، ولا تنفصل دلالة القول عن التأثير الذي يريد المتكلم إحداثه في المستمع وهي تُعرف المستمع مباشرة على قصد المتكلم، ... والمستمع مطالب بإنتاج ذات الكلام بواسطة تعرف قصد المتكلم، فالسلوك اللغوي نمط من أنماط السلوك الإرادي ضمن الأفعال الاختيارية، حيث كان وضع اللغة فعلا إراديا في معناه الدقيق، بالرجوع إلى قصد التواصل⁽¹⁾.

وقد عمد كثير من الباحثين في إطار فلسفة التواصل إلى إيجاد قرابة فكرية بين أعمال مارتى وبول غرايس، وبين زوجي الدلالة الطبيعية وغير الطبيعية لدى غرايس، ومفهومي القصد الثانوي (المباشر) والقصد الرئيسي أو المركزي (غير المباشر) لدى مارتى، فالدلالة الطبيعية لا تستوجب متلقيا. بينما يكون وجود دلالة غير طبيعية دون وجود مستمع يدرك قصد المتكلم من فعل القول نوعا من العبث.

(2)

"يقدم غرايس نموذج نظرية التواصل في الصورة التالية: يقصد المتكلم (م) شيئا ما من خلال فعل قوله (ف) صادقة إذا فقط إذا ما تلفظ (م) بفعل القول (ف) بالنسبة لمتلق (ق) ويهدف من ذلك إلى :

1- حمل (ق) على القيام باستجابة معينة.

2- إلى حمل (ق) على الاعتقاد (التعرف) بأن (م) يقصد 1.

3- إلى حمل (ق) على تحقيق (1) بناء على تحقيق (2).

يوجد تشابه بين هذه البنية التواصلية والبنية التي يعتمدها مارتى في تحقيق صيرورة

التواصل فيسعى المتكلم لدى مارتى:

(1) عز العرب الحكيم بناني، المرجع نفسه، ص154، 155.

(2) ينظر عز العرب الحكيم بناني، المرجع نفسه، ص158.

- 1- إلى توليد ظاهرة نفسية في المتلقي.
- 2- والى حمل المتلقي على التعرف على قصده غير المباشر.
- 3- والى أن يصبح تعرف المتلقي على القصد غير المباشر للمتكلم من خلال (2) مبررا كافيا لتوليد الظاهرة النفسية التي توخاها المتكلم⁽¹⁾.

إن اهتمامات الدارسات التداولية بالمقصد التواصلية وبتحديد مفهومه في المعالجات النظرية، اتخذ عدّة دلالات يمكن حصرها في مفهومين :

1. القصد بمفهوم الإرادة

2. القصد بمفهوم المعنى

1/ القصد بمفهوم الإرادة : يؤثر القصد بمعنى الإرادة في الحكم على الفعل، ذلك أنه لا يكون تابعا لشكله الظاهري بل للمقاصد الباطنة لدى الفاعل، فالنية بعدم الوفاء برد الدين عند الاستدانة يعتبر صاحبها سارقا. ولذلك فإن قصد المرسل بوصفه إرادته يؤثر في إنجاز الفعل اللغوي وفي ترتيب الخطاب والتدليل عليه بدرجة كبيرة.⁽²⁾

ومن هذه الزاوية عالج كلٌّ من أوستين وسيرل المقصد ودوره في التفريق بين المعنى التعبيري والقوة الغرضية للأفعال التي يقصد المرسل نقلها، وبيان الطرق التي يعتمد عليها في ذلك، لأن مقاصد الآخرين شرط أساس لنجاح التفاعل، فحين يتلفظ متكلم ما بأصوات دون إرادة ما تدل عليه، أو دون إرادة إنجاز فعل لغوي بها يعد **ها زلا**، إذ لا يكفي التلفظ في غياب القصد، ومثال ذلك الخطاب التالي:

الأستاذ: ما أكثر الكلمات تداولا بينكم في الصف يا طالب؟

الطالب: لا أدري يا أستاذ.

(1) عز العرب الحكيم بناني، المرجع نفسه، ص159.

(2) ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص189، 188.

الأستاذ : ممتاز.

فالتالاب لم يقصد الإجابة عن سؤال أستاذة لأنه لم يكن لديه فكرة عن الإجابة، بينما فهم الأستاذ أنه أجاب فعلاً، ولحسن حظه كانت تلك الإجابة الصحيحة حقا، على الرغم من أنه لم يكن يقصد معناها الحرفي، وتباين القصدان للتالاب والأستاذ هو ما جعل الخطاب طريفا. (1)

والنطق بمجرد أصوات دون قصد (كما فعل التالاب في المثال السابق) هو ما سمّاه أوستين الفعل التعبيري، فقد يتلفظ المرء بمفردات ذات دلالات معجمية وبنى صرفية وصحيحة نحويا، إلا أنها لا تنجز فعلا ولا تحدد قوته ما لم يصحبها القصد، ولهذا يجب دراسة المقاصد والأعراف عند المتكلم؛ أي مقاصد المتكلم التي لا تخرج الأصوات المعبرة عنها عن أعراف اللغة، وقد يقصد المرسل عند التلفظ بخطاب ما المعنى الأصلي في أعراف اللغة، أي الاكتفاء بمعنى هذه الألفاظ حسب إرادة التلفظ بها وعندئذ لا بدّ من إرادتين : إرادة اختيار التكلم بالتلفظ، وإرادة ما يوجبه و يقتضيه من معنى كما يمكن أن يقصد المرسل الإحالة إلى شيء يختلف عما يفهمه المرسل إليه، رغم أن الدال واحد. (2) كما في المثال الآتي :

-من بالباب؟

-أنا الطارق.

-أعرف أنك الطارق، ولكن من أنت؟

-لا إسمي طارق.

فقصدُ المرسل أن ينبه المرسل إليه أن اسمه "طارق"، رغم أنه كان بالفعل يطرق الباب حينها، فتوقع المرسل إليه أن طارق الباب يريد أن ينسب صفة الطرق إليه، في حين كان يقصد أن يُعرّفه بنفسه .

(1) ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص، 189، 190.

(2) ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص 192، 193.

وأكد فريق من العلماء أن صيغة "افعل" تكون دالة على الأمر بثلاث إرادات: إرادة الفعل المأمور به، إرادة إحداث صيغة الأمر (افعل)، وإرادة الدلالة بهذه الصيغة على الأمر، وهناك من اكتفى بإرادة واحدة: وهي إرادة الفعل المأمور به.

وهناك من يرى ضرورة توافر قصدين عند المرسل بمعنى الإرادة مادام الخطاب عملية بين طرفين، وهما: قصد التوجه إلى الغير، وقصد إفهام الغير؛ فمقتضى القصد الأول أن المتكلم لا يكون متكلماً حقاً ما لم تتوفر لديه إرادة التوجه بكلامه إلى الآخرين، أمّا القصد الثاني فمقتضاه أن المنطوق به لا يكون كلاماً ما لم يُرد به المتكلم إفهام غيره، ويمكن التمثيل لذلك بالتذييل الذي يصاحب بعض الصحف الخاص بترتيب أسماء مشاهير أو ما شابه، فالقصد من وراء ذلك هو إرادة التوجه إلى الغير قصد الإفهام وقصد قطع دابر أي تساؤلات قد تؤدي إلى الاختلاف جراء سوء الفهم.⁽¹⁾

ويمكن أن يتجاوز المرسل بقصده التلفظ بالخطاب وإفهام الغير، إلى تركيبهما في قصدين آخرين هما: القصد الإعلامي؛ أي قصد إخبار المرسل إليه بشيء ما، والقصد الاتصالي وهو إخبار المرسل إليه بالقصد الإعلامي، ولا بد للمرسل إليه أن يدرك هذه الإرادة، ويفهم قصد المتكلم كشخص يُخاطبه⁽²⁾.

وقد تعدد مقاصد المرسل أثناء التواصل، فنجد قصداً أولاً وقصد آخر تابعا له، ولا يصحّ الثاني إلا بالأوّل، كقول الأمّ لابنتها:

-أتركي اللعب واذهي إلى المدرسة.

فترك اللعب ليس مقصوداً لذاته، إذ لا يعني التوجه إلى الدراسة، فهو تابع للقصد الأصل وهو التوجه إلى الدراسة لأنه يمكن التلفظ به لوحده، ثم يفهم أمر الترك بداهة⁽³⁾ مثل:

-اذهي إلى الدراسة.

(1) ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص191.

(2) ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص193.

(3) ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص194.

ويكون للقصد بمعنى الإرادة دور في التفريق بين مرسل صادق وآخر كاذب، فتكون هي معيار الصدق والكذب عوض المحتوى القضوي للفعل اللغوي.

2/ القصد بمفهوم المعنى: ذهب كثير من العلماء إلى أن المقاصد هي المعاني، وأن الألفاظ إنما وضعت من أجل الوصول إلى معان معينة، فكانت وسيلة لإدراكها فالمعنى هو المقصود.

وتختلف المعاني وتتفاوت بحسب العلاقة بين القصد والدلالة الحرفية للخطاب، مع أن المرسل يمكنه التعبير عن مقاصده في أي مستويات اللغة شاء، فالتنظيم مثلا من السمات المساعدة على تبين مقاصد المرسل من الخطاب، وهو يُجلي العلاقة بين الدلالة وبين قصد المتكلم، ومعرفة الأنظمة اللغوية المعهودة لا تغني المرسل إليه عن السياق ودوره في الكشف عن قصد المرسل، إذ أن بؤرة الاهتمام ماذا يعني المرسل بكلامه لا ماذا تعنيه اللغة، فقد يكون الخطاب واضحا في لغته ولكن لا ندرك معناه دون معرفة قصد المرسل، الذي يمكن أن يتجاوز المعنى الحرفي للخطاب إلى مقاصد أخرى. ⁽¹⁾ "فإذا قيل معنى اللفظ كذا، فالمراد به أن محل العناية به كذا، والعناية من جانب المضمون هي الإرادة والقصد، فيكون معنى الشيء هو ما يقصد به ويراد منه، ومعنى اللفظ هو المراد منه .. ومن ثم فالمعنوي هو بالذات القصدي" ⁽²⁾.

وهذا يؤكد قاعدة تواصلية هامة مفادها أن المعاني غير كامنة فيما يستعمل المتكلم من أدوات لغوية، بل بالكيفية التي يُوظفها بها حتى تُعبّر عن مقاصده ونواياه.

ولذلك لا بد من توافر القصد في الخطاب الذي يساعد السياق على اكتشافه، "لأن دلالة العبارة هي استلزام القول للمعنى المقصود من سياقه، وقد يطابق هذا المعنى المقصود المعنى المستفاد من ظاهرة القول وقد يتفاوت معه، فإذا طابقه كلاً، قيل إنه المعنى المطابق للقول، وإن تفاوت معه فأحد الأمرين: إمّا أنّه يطابق جزءاً من هذا المعنى الظاهر، وإمّا أنّه يُلازم هذا المعنى من غير أن يطابقه

⁽¹⁾ ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص 196، 195.

⁽²⁾ ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص 197.

لا كلاً ولا جزءاً ، فإن كان الأوّل فمقصود القول هو بالذات معناه الضمني، وإن كان الثاني، فهذا المقصود هو معناه الالتزامي" (1).

وقد كان القصد والعناية به يُشكل صميم نظرية غرايس ، وبلور ذلك ضمن مبدأ التعاون بقواعده المختلفة التي تتحكم في تفاعل طرفي الخطاب تفاعلاً ناجحاً، فكل مرسل يُعبّر عن قصده إمّا باحترام هذه القواعد أو تجاهلها تماماً، فيتحوّل القصد هنا إلى "معنى المتكلم" كما يُسمّى غرايس وغيره، ويمكن أن يستنتج المرسل إليه ذلك عن طريق افتراضه أنّ المرسل إمّا نطق وفق ما يُملّيه مبدأ التعاون، فيكون هذا الأخير دليلاً عليه (2).

ولهذا فالقصد بوصفه المعنى يدخل في إنجاز أفعال لغوية متعددة ضمن سياقات متنوعة وبخطاب ذي شكل لغوي واحد، فالاستفهام مثلاً يمكن أن يدل على الطلب أو الإخبار... إلى غير ذلك .
فعندما يقول الأستاذ: هل يمكن أن نبدأ الدرس؟ فهو إمّا أنه قصد إخبار التلاميذ ببدء الدرس، أو أنه قصد طلب السكوت والصمت، وهذا ممّا يُؤكد أهميّة معرفة مقصد المتكلم وعدم الاكتفاء بالدلالة الحرفية للخطاب لأنه قد يختلف عنها، ممّا ينتج عنه معنى حرفياً ومعنى تداولياً .

وهذا التفاوت بين المعنى اللغوي وبين قصد المرسل هو ما يجعل الناس يسأل بعضهم بعضاً عن معنى عبارة ما أو دلالتها، الذي انقسم العلماء للإجابة عنه إلى فريقين: اتجاه مُنظري الدلالة الشكلية، واتجاه مُنظري المقاصد التواصلية (غرايس، أوستين، فتحنشتاين) الذين يفسرون المعنى اللغوي بالإحالة إلى مقام التواصل . فالقواعد التركيبية الدلالية تحدد معاني العبارات اللغوية لكنها لا تكون مفهومة إلاّ إذا استعملنا مفهوم القصد التواصلية الموجه نحو المستمعين . (3)

وقد يكون للمرسل قصد رئيسي واحد، ولكن التعبير عنه يتمّ بآليات مختلفة تتباين في كيفية دلالتها عليه، ويمكن تقسيمها إلى آليات مباشرة وأخرى تلميحية، وهو ما يبدو واضحاً في تقسيم

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص 197.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص 197، 198.

(3) ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص 206.

سيرل للأفعال اللغوية إلى مباشرة وغير مباشرة، أو في حرق إحدى القواعد الأربع لمبدأ التعاون الغرايسي، الذي لا يكون إلا لقصد معين مع أنه يظل مساعدا لفهم قصد المرسل من خلال الاستنزام الحوارى، كقول الأم لابنها وهو يخرج دون مئزر: -أين مئزرك؟.

- في الخزانة، أو لا أريد أن البسه، أو سألبسه الآن.

- البسه حالا.

فقد تنوعت إجابات الطفل حسب تأويله لخطاب أمه، فالإجابة الأولى تبين أنه فهم المعنى الحربى للسؤال أو كما أوهمها أنه فهم كذلك هروبا من تنفيذ أمرها، أمّا في الإجابتين الأخيرتين فيتضح أنه فهم قصدها الحقيقى، وهو ما يعكس قدرته على التأويل التداولى. ولهذا يجب عدم الفصل بين المعاني والألفاظ، فالأولى تحدث على مستوى النفس فتضم الدلالة أو المعنى النفسى أو قصد المتكلم، والثانية تحدث على مستوى النطق أى الألفاظ المنطوقة حين تتلاحم الدلالات المعجمية بالدلالات السياقية. ويرى سعيد بحيرى أن قصد المرسل منتج للنص اللغوى، وأن النص كاشف للقصد التواصلى. (1)

كما يمكن أن يسهم القصد فى إنتاج خطاب يقبل أكثر من تأويل داخل السياق الواحد أو أن يحمل قصدين معا: حربى ومستلزم بمساعدة السّياق.

فالخطاب التالى: أسعار خرافية.

يحمل معنيين: الأوّل كما يقصده المرسل وهو أنّ الأسعار رخيصة جدّا ترغيبا للمرسل إليه فى الشراء، والثانى: ما يتأوله المرسل إليه بان الأسعار غالية جدا، أمّا قول مضيغة الحافلة:

-نتمنى لكم رحلة ممتعة.

(1) ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص 205.

فهو خطاب ذو قصد مزدوج من ناحية المعنى ،والقصدان هما القصد المطابق للمعنى الحرفي ؛أي الدعوة للمسافر بالمتعة ،والقصد المستلزم وهو ؛ الإخبار بنهاية حدود المدينة.⁽¹⁾

وهذا ما يعكس دور القصد بمفهوم المعنى في تشكيل الخطاب وتعددده ، كما يقوم بدوره في تعدد التأويلات واختلافها في الخطاب الواحد، ذلك أنّ الخطاب "قد يصاغ في تمثيل تدرك معانيه الحرفية، ولكنها غير كافية لإدراك المغزى واستخلاص العبرة ، وعلى هذا فإن النص لا يتمظهر في شاكلة واحدة وإنما في كفيات مختلفة وراءها مقصدية المرسل ،ومراعاة مقصدية المرسل المخاطب، والظروف التي يروج فيها النص وجنس النص ،وهذه الماورائيات نفسها تؤدي إلى اختلاف إستراتيجية التأويل من عصر إلى عصر ،ومن مجموعة إلى مجموعة ،ومن شخص إلى شخص ،بل إن الممارسة التأويلية الشخصية دينامية"⁽²⁾.

ومن كل ما سبق يمكن القول أن إنتاج أي خطاب بين طرفين مرهون بفهم وإفهام مقاصد المرسل التي تبلور العلاقة بينهما ،سواء أكانت مقاصد بوصفها الإرادة أو مقاصد بوصفها المعنى.

(1) ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص 207، 206.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص 212.



الفصل الثالث:

ملاحم القصديفة في الموروث البلاغي العربي

(دراسة لبعض المقولات البلاغية)



وصفت الحضارة العربية بأنها نصية في أصلها تقوم على مقاصد الخطاب ومغزاه في عملية الفهم والإفهام،¹ فكان النشاط التواصلي محور اهتمام لدى كثير من علمائنا القدامى، وذلك بعدّ الكلام طاقة خلقة يتم استثمارها فيما يختاره المتكلم ليناسب أحوال الخطاب ومقتضيات الإنجاز المختلفة التي يضطر إليها، وبهذا فإن اللغة تتميز بالنشاط والحيوية إذ تمكّن الإنسان من التفكير والتعبير وتبليغ أغراضه للآخرين والتواصل معهم. ومجمل حديثهم في ذلك يكشف عن ملاحم تداولية عدة، يضاهي ما جاء به التداوليون المعاصرون.

وبنظرة تأمل في هذا المورث بين كتب النحو والبلاغة واللغة وأصول الفقه... نجد أنه قد اتخذ اتجاهين بارزين، هما: اتجاه يعنى بالنظام اللغوي الذي يشتمل أنظمة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، ولكل مستوى من هذه المستويات مكوناته وعناصره وعلاقاته بالعناصر الأخرى داخل النظام الفرعي، ثم علاقة مجموع الأنظمة الفرعية بعضها ببعض دون التفات مقصود إلى مقتضيات المقام والقارئ الحالية، واتجاه آخر يعنى بالمقام وما يتعلق به من القرائن غير اللفظية، كالدرجة الإجتماعية للمتكلم والسامع، وعلاقة كل منها بالآخر، والحاجة النفسية والذهنية والحركات الجسمية لكل منهما وسكوته، والبيئة المكانية للحدث التواصلي، ومجموع المشاركين فيه. كما أنهم لم يكتفوا بالسياق الإجتماعي فحسب، بل ضموا إليه السياق الثقافي والشرعي². ويمكن الكشف من وراء كل ذلك عن عديد المبادئ التداولية التي تسهم في إقامة نظرية تداولية عربية المنشأ.

البلاغة: نظرة إلى إشكالية التداخل بين البلاغة والنحو والتداولية:

¹ ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 83.

² ينظر: محمود أحمد نحلة، المرجع نفسه، ص 84، 85.

إن محاولة قراءة التراث البلاغي قراءة معاصرة تستثمر بعض المناهج اللسانية المحدثة أمر ليس باليسير، فالمتن البلاغي شاسع يضم قضايا ومسائل تأتلف وتختلف، تجتمع وتفترق، ولذلك كان لزاما علينا إلغاء تلك الفوارق والنظر إليها باعتبارها صياغات متقاربة لرؤية عامة واحدة، ولتجنب تشتيتها سنركز على مباحث مخصوصة نستقرؤها، ثم نعلق عليها بمقارنتها بمقاربات غربية اهتمت ببعضها، كلما توافرت لنا تلك المقاربات دون تطويع قسري - طبعا - إن لم تتقبل ذلك، محاولين إيجاد نقاط التقاطع بين الرؤية والتطبيق، التراثيين، والرؤية والتطبيق الحديثين المنتسبين إلى التقاليد التداولية¹.

وعلم البلاغة من العلوم التي عرفتها الحضارات الإنسانية منذ القدم، حتى صار لكل شعب بلاغة، وقد جعل الجاحظ (ت 225هـ) في "البيان و التبيين" حدا للبلاغة لكل قوم يوافق وجهة نظرهم إلى العالم، لذلك عسر إيجاد حد لها لشيوعها بين البشر.

و لئن فتحت الترجمة العربية القديمة الباب أمام الفلاسفة والنقاد العرب القدامى للاستفادة من تراث غيرهم (وبخاصة كتاب الشعر لأرسطو)، فأخذوا عنه، وشيدوا قوانين البلاغة، فإن هذا العلم لم يرتق إلى مصاف العلمية إلا بجهود عبدالقاهر الجرجاني (ت 471هـ) وأبي يعقوب السكاكي (ت 626هـ)².

ولما كان النحو قد اكتمل على يد سيبويه (ت 182هـ) قبل البلاغة، فقد كان له تأثير كبير وعميق في مباحثها، وبخاصة علم المعاني، ثالث الفروع المكونة لعلم البلاغة العربية (علم البيان، علم المعاني، علم البديع)، الذي عرف استقلاليته على يد عبد القاهر الجرجاني في "دلأله"، وبخاصة ضمن نظرية النظم التي ربط فيها

¹ ينظر: صابر الحباشة، مغامرة المعني من النحو إلى التداولية، ص 09.

² ينظر: صابر الحباشة، من قضايا الفكر اللساني، ص 19.

بين بلاغة العبارة وبلاغة السبك، فكانت خطوة رائدة وجريئة لما عرفته من تحليل ورصد دقيقين غيرت طريقة التفكير البلاغي العربي¹.

كما أنه يعكس على نحو بالغ تداخل النحو بالبلاغة، فكلاهما يهتم بالكلام من منظور مخصوص، فالنحو يهتم به من ناحية الاستقامة إعرابياً وتركيبياً، بينما البلاغة تهتم بمطابقة الكلام لمقتضي الحال، فإن عمل البلاغة لا غنى فيه عن دور النحو، فالكلام اللاحق لا بلاغة له إلا أن يكون مقصوداً ومحدوداً يخرق قاعدة نحوية لإنجاز عمل قولي².

إن العلاقة بين البلاغة والنحو أنموذج عن علاقات عديدة تربطها بعلم أخرى، فالمباحث الأخيرة في علم تحليل الخطاب، والتداولية خصوصاً، بينت زوايا نظر مخالفة للنظرية التراثية السائدة.

إن التحليل اللساني الغربي المعاصر يقسم دراسة القول إلى مستويات ثلاثة³:

- **المستوى التركيبي** (يدرس العلاقات النحوية بين العلامات في المقطع التلفظي الواحد).

- **المستوى الدلالي** (ويهتم بعلاقة الدال بالمدلول، أي الصورة الذهنية للمتكلم عن العلامة).

- **المستوى التداولي** (يهتم بالعلامة اللسانية أثناء الاستعمال وعلاقتها بالمتكلم وبالسياق و بالمرجع ...).

وعد هذا الترتيب تدرجاً من البسيط إلى المعقد، إلا أن التداوليين يعارضون هذا التصور لما فيه من إخفاء للحقيقة وإجحاف لمهام التداولية ودورها في تحليل الخطاب، إذ إن الترتيب السابق يوحي بأن المستوى التداولي هو حصيلة ونتيجة

¹ ينظر: محمد بن مينة، البعد التداولي في البلاغة العربية علم المعاني أنموذجاً، ص 33.

² ينظر: صابر الحباشة، من قضايا الفكر اللساني، ص 20.

³ ينظر: صابر الحباشة، المرجع نفسه، ص 21.

منطقية للمستويين السابقين، في حين أنهما درجتان في درجات التجريد النظري الذي يخلص القول ذهنياً من أبعاده العملية الإنجازية، في حين أن المستوى التداولي يبين قيمة القول في العالم الممكن، فالمثال الشهير في اللسانيات التداولية: (هل الملح في متناول يدك؟)، إذا حللناه وفق المستويات السابقة، تكون دلالاته التركيبية حاملة لعلاقة إسنادية بين المسند إليه والمسند، ولا قيمة بها؛ لأنها معزولة عن المقام الذي ورد فيه انعزالاً تاماً بحيث لا تؤثر فيه، فما دام مجال اهتمامها العلاقات المجردة بين العلامات وثمة إسناد وفق ما تنص عليه مقولات النحو، فالجملة صحيحة¹.

أما الدلالة السيمانطيقية، فتؤدي إلى فهم الجملة على أنها استفهام حقيقي حول كون الملح على مقربة من المخاطب، في حين أن ذلك يؤدي إلى تأويل خاطئ للقول، إذ لا شيء يمنع دلالياً اعتبار الاستفهام على شاكلة أخرى (كأن يكون تقريرياً مثلاً)، وبالتالي نقع في معنى لا يلائم قصد القائل. أما المستوى التداولي فيدرس هذا القول على أنه عمل لغوي (طلب) ينشئه المتكلم وفق آداب الأكل.

فالتحليل التداولي يعتمد شبكة مفاهيم معاصرة لمقاربة الأقوال، منها : مفهوم العمل اللغوي، المقتضي، الاستلزام، أحكام المحادثة خاصة مبدأ التعاون بقواعده....). وإذا كانت البلاغة في علاقة تداخل مباشرة مع النحو، فإنها عدت الآن رديفة للتداولية، وبخاصة التداولية المدمجة التي تتلاقى مع البلاغة الجديدة باعتبارها نظرية حاجية².

وإذا كانت اللسانيات التداولية تعنى بالظاهرة اللغوية من حيث استعمالها وما يتعلق بها من قضايا فلسفة اللغة، فإن الظاهرة البلاغية _ باعتبارها ظاهرة لغوية _ تدخل ضمن اهتمامات الرؤية التداولية، على الرغم من أنها تختلف عن غيرها من الظواهر اللغوية باحتوائها إichاءات ودلالات إضافية، وبقدر هذا الاختلاف يحدث

¹ ينظر: صابر الحباشة، المرجع السابق، ص22.

² ينظر: صابر الحباشة، المرجع نفسه، ص22-23.

التناسب بين المقاربة التداولية التي تبحث في المعنى الحرفي إلى معنى المعنى، والظاهرة البلاغية تتلاقى _ بخاصة _ مع نظريتين تداوليتين، هما: النظرية السياقية، ونظرية أفعال الكلام واللتين تعتدان بالموقف التخاطبي¹.

وقد اتخذت العلاقة بين التداولية والبلاغة بعدين أساسيين، أما الأول: فهو أن البلاغة بمفهومها التقليدي في التنظير البلاغي الغربي - اليوناني و الروماني - تعد تأسيساً أولاً للتداولية بوصفها استعمالاً لغوياً يهدف إلى التأثير في المتلقي، ومن المعلوم أن الغاية التأثيرية الإقناعية للفعل الكلامي بعد تداولي²، يقول ليتش leech " إن المدخل الذي له حضوره للتداولية هو المدخل البلاغي، ولا يخفى أن مصطلح البلاغي مصطلح تقليدي للغاية، وهو يشير إلى دراسة الاستعمال المؤثر للغة في عملية الاتصال، وقد فهمت البلاغة في وجهة النظر التاريخية التقليدية على أنها فن استعمال اللغة بمهارة بغرض الإقناع، أو إنتاج التعبيرات الأدبية، أو بغرض الكلام التواصلي بين الناس، وإن الاستعمال المؤثر للغة في معناه العام، ينطبق على المحادثات اليومية والاستعمالات الدائرة بين الناس للغة، إن وجهة مصطلح البلاغة في هذا السياق تنصرف إلى التبئير على اتجاهات أهداف مقام الكلام، التي يستعمل فيها الشخص (س) اللغة لكي ينتج تأثيراً دقيقاً في عقل الشخص (ص)"³.

وأما الثاني: فالتداولية وبوصفها منهجاً حديثاً وبما أفرزته من دراسات وأبحاث تعد منظوراً جديداً لتحليل الظواهر البلاغية، تضم إلى المناهج والنظريات اللغوية الحديثة التي أصبحت تعتمدها البلاغة في العصر الحديث، مما أدى إلى تداخل شديد بين

¹ ينظر: عيد بليغ، قراءات تداولية البلاغة و التواصل، مجلة سياقات، ج2، السنة الأولى، صيف و خريف

2009م، كلية الآداب، جامعة المنوفية، مصر، ص25.

² ينظر: عيد بليغ، المرجع نفسه، ص25.

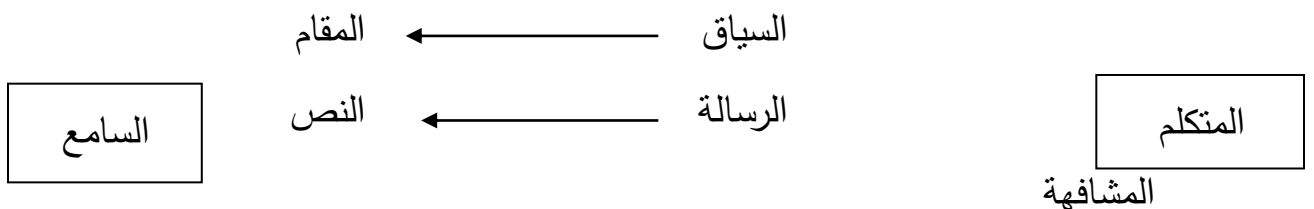
³ . 15 p, G.leech : the principles of pragmatics

الأبحاث البلاغية واللغوية والأسلوبية لدرجة يصعب فيها الفصل بينها¹. فالبلاغة العربية في نظر عديد الدارسين اتجه لساني حديث يهتم بكل ما يتعلق بالاتصال والتواصل والتبليغ والإقناع. يقول محمد العمري في ذلك وفي سياق حديثه عن الحال والمقام إن " البلاغيين العرب وإن لم يهتموا كثيرا بالدراسة النفسية والأخلاقية للمرسل والمتلقي ، حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال السامعين"،

فضلا عن أن دلالة " بلغ" لغويا وأصل استخدامها يرتبط بتعمد المتكلم وقصده إبلاغ السامع مقصوده ومراده. وقد ذكر السكاكي أن " البلاغة من قولهم بلغت الغاية، إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري . الشيء: منتهاه... فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه وسميت البلغة بلغة لأنك تتبَّع بها فتنتهي بك إلى ما فوقها وهي البلاغ أيضا ويقال الدنيا بلاغ لأنها تؤدِّيك إلى الآخرة والبلاغ أيضا التبليغ في قوله تعالى: (هذا بلاغ للناس) (إبراهيم 52)، أي تبليغ".

وقد قدم تمام حسان قراءة هامة، وقيمة للمصطلح البلاغي القديم في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة، وأقر أن المعنى البلاغي للفظ البلاغة له معنى الإبلاغ والتواصل أي الاهتمام باللغة أثناء أدائها وظيفية الاتصال بين مستعمليها، وهو ما تدرسه التداولية وتهتم به².

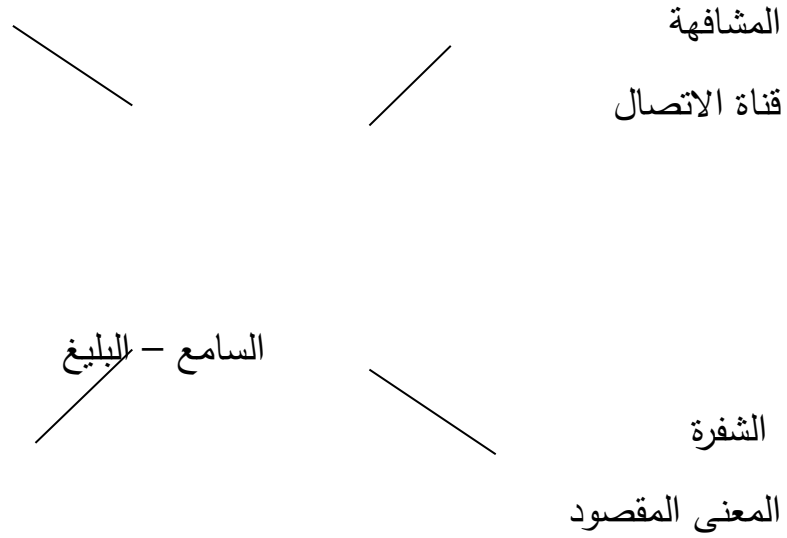
وعزز هذه الفكرة و دعمها من خلال مخطط جاكبسون Jakobson الآتي³:



¹ ينظر: عبد بلبع، المرجع نفسه، ص 26.

² ينظر: تمام حسان، قضايا المصطلح الأدبي، مجلة فصول، م 7. ع 3 و 4، أبريل-سبتمبر، 1987، ص 27.

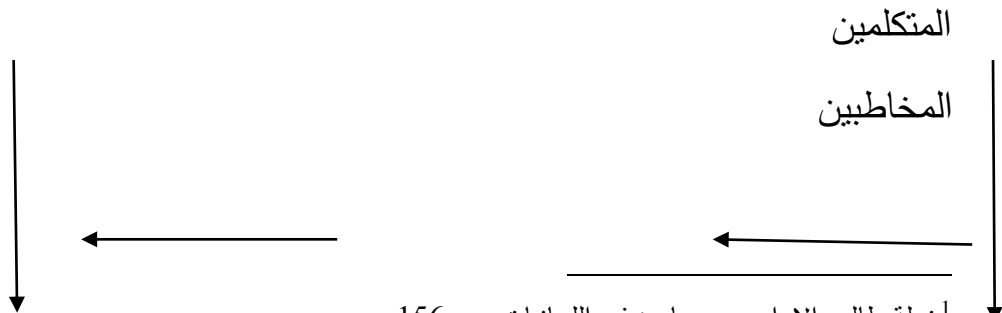
³ تمام حسان، نفسه، ص 27.



ويمكن إضافة عناصر تداولية إلى هذا المخطط باعتبارها تهتم "بثلاثة معطيات لما لها من دور فعال في توجيه التبادل الكلامي، وهي: المتكلمين (المخاطب والمخاطب)، السياق (الحال، المقام، الاستعمالات العادية للكلام)، الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع"¹.

و يوضح ذلك المخطط الآتي:²

السياق (حال، مقام)



¹ خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص156.

² سامية بن يامنة، الإتصال بين البلاغة و التداولية، مجلة دراسات أدبية، ج1، مركز البصرة للبحوث و الإستشارات و الخدمات التعليمية، القبة الجزائر، ماي 2008/جمادي الأول 1429هـ، ص57.

رسالة

(الاستعمالات العادية للكلام)

المقصدية

الإفادة

والعلاقات بين البلاغة والتداولية هي رابط من روابط علم اللغة بالبلاغة، فموضوع كل منها هو دراسة الاستخدام اللغوي بوصفه فعلا ممارسا على المتلقي يحقق التواصل، فالنص اللغوي هو فعل لغوي تداولي يستلزم موقفا، وهو وجه الاتفاق بين المنظور البلاغي والتداولي في عملية التحليل، إذ راعى المتكلم هذه الظروف والملايسات حتى تحقق رسالته اللغوية التواصل _ تأثيرا أو اقناعا _ مع المتلقي. وقد جعلت البلاغة القصد الذي يرمى المتكلم تحقيقه في تواصله مع المتلقي معيارا لتحديد ثلاثة أهداف بلاغية، وكل هدف يحققه أسلوب معين، فالقصد الأول هو الإثبات مع الوضوح في نقل الأفكار، والقصد الثاني هو الامتناع بشيء رائع، والقصد الثالث هو التأثير. ولهذه المقاصد الثلاثة ثلاثة أساليب، هي: الأسلوب الواضح للدليل (الأسلوب المتدني)، والأسلوب المتوسط للمتعة، والأسلوب العظيم للإقناع¹.

وإذا كانت البلاغة تضم بعدا تداوليا يتعلق بالغاية الإقناعية، فإن الدرس البلاغي الحديث يهتم أيضا بهذا الجانب الإقناعي والاتجاه البرهاني المتمثل في نظرية

¹ ينظر: عيد بلبع، قراءات تداولية، البلاغة و التواصل، ص 26 27.

الحجاج أو بلاغة الحجاج التي طورت ووسعت البحث البلاغي وأدمجته في هموم البحث التداولي.

وقد اهتم (بليت) بالمقاصد في دراسته البلاغية القديمة، وذكر أنها مؤهلة لتكوين أسس نظرية تداولية للنص، فألف بين الأجناس الخطابية والأدبية تداولياً، وحاول توسيع مفهوم المقام في إطار حديثه عن المقاصد، وأعطاه قدراً كبيراً من المرونة والإجرائية - وحسب رأيه - فإن قصد المتكلم إحداث أثر بعينه في المتلقي هو بعد تداولي واضح، وتبلغ مقصدية المتكلم أقصى درجاتها حينما يقنع المتكلم المتلقي، فيغير أراءه فيما عرف بالخطابة القضائية¹.

كما أكد بليت أن توجه البلاغة نحو الأثر التداولي باد في تمييزها بين أنماط ثلاثة أساسية من المقصدية:

- **المقصدية الفكرية** ورضها إعلامي تهتم بإخبار المتلقي بواقع ما، أو رضها حجاجي يجعل المتلقي يعمل عقله حول موضوع الخطاب حتى يكون ممكناً.

- **ثم المقصدية العاطفية المعتدلة** : وتهدف إلى خلق انفعال خفيف لدى المتلقي.

- **فمقصدية التهيج**: التي تهدف إلى تكوين تهيج وقتي يتمثل في انفجار عاطفة ما، أي إيجاد انفعالات عنيفة لدى المتلقي، كالحقد والألم والخوف.... وفيها تبلغ السيكولوجية المقصدية ذروتها².

ووفق مقولات بليت وليتش، فإن البلاغة تحمل في طياتها بذور التداولية الأمر الذي من شأنه أن يثري المنظور البلاغي الحديث فيما أطلق عليه (بليت) " البلاغة العلمية الحديثة " .

¹ ينظر: عيد بليغ، المرجع السابق، ص26.

² ينظر: عيد بليغ، المرجع نفسه، ص28.

وإذا كان هذا حال البلاغة في المنظور الغربي، فإن الالتفات إلى البعد التداولي في البلاغة العربية _ كما يرى تمام حسان _ لم يكن وليد النظريات والمناهج الغربية الحديثة، وليس ثمرة من ثمارها. وقد أشار محمد العمري إلى مواضع الالتقاء بين مقولات التداولية وبعض المقولات البلاغية في التراث البلاغي العربي¹.

فعلق على قول (بليت) : " إن التداولية تقوم على مفهوم مقام الخطاب " بقوله : " نحيل فيما يخص الحديث عن المقام في البلاغة العربية على البيان والتبيين للجاحظ و بخاصة صحيفة بشر بن المعتمر، كمانحيل على مفهوم المعاني والبيان عند السكاكي في مفتاح العلوم"².

وإذا كان من فضل لهذه النظريات، فهو فضل الإشارة إلى بعض الأفكار الخصبة التي ذاعت في التراث العربي بلاغة ونحو ونقدا ... والتي لم تستثمر استثماراً يثبتها نظرية عربية الأصول والقواعد.

ولا يميز محمد العمري بين البلاغة والتداولية، إذ يقول: " وحديثاً يعاد الاعتبار إلى البلاغة العربية في الدراسات السيميائية تحت عنوان جديد " التداولية" . وتتلاقى التداولية مع عديد المفاهيم البلاغية القديمة منذ أرسطو حتى وقتنا الحاضر، وبخاصة مع البلاغة العربية في مباحثها حول الإنشاء والخبر في علم المعاني، إذ إن هناك من الباحثين من يقول:

" البلاغة التداولية التي تقف مهمتها على مطالبة المتكلم بأن يعي مقامات مخاطبيه ومستوياتهم المختلفة".

ولمحمد عابد الجابري قول يلخص التشابه القائم بين مباحث البلاغة العربية وما تبحث فيه التداوليات المعاصرة. يقول " يمكن القول بصورة إجمالية إن الأبحاث

¹ ينظر: عيد بليغ، المرجع نفسه، ص 28.

² هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، ص 29.

البيانية قد انقسمت منذ قيامها إلى قسمين: قسم يعتني بقوانين تفسير الخطاب، وقسم يهتم بشروط إنتاج الخطاب".

ولعل كتاب "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني يمثل أروع الكتب البلاغية التي تعكس مباحثها المتنوعة هذا التشابه المدرك بين البلاغة العربية والمباحث التداولية " فالذي يقرأ دلائل الإعجاز يجد عبد القاهر واعيا بالمنهج الذي اتبعه، فلم يكن يهدف إلى جعل دلائل الإعجاز كتابا في النحو بالمعنى التقليدي، ولا كان يهدف إلى جعله كتابا في البلاغة بالمعنى التقليدي يكفي فيه بتحديد الاستعارة والكناية وأنواع التشبيه تحديدا تقنيا، وإنما استثمر معرفته العميقة بأسرار اللغة وقدرته على تحليل الواقع والغوص إلى أعماق الظاهرة اللغوية لبيان الأغراض والمقاصد المختلفة على مستويات عديدة نفسية واجتماعية ومعرفية".

-وقد جعل سيرل (J.searle) نظرية الأفعال الكلامية مدخلا لدراسة بعض الظواهر البلاغية كالاستعارة والمفارقة والأفعال الكلامية غير المباشرة، والأمر ذاته عند (بليت) عندما ناقش فكرة الانزياح (الإنحراف الأسلوبي)، وبخاصة المجاز والكناية، فأوضح البعد التداولي لها بوصفها صورا سيميوية - دلالية تولد صورا تداولية¹، على النحو الذي تكون فيه النظرة إلى " الاستفهام باعتباره شبه سؤال، والحيرة باعتبارها شبه شك، والاعتراف وشبه الاعتراف والامتياز وشبه الامتياز والرخصة وشبه الرخصة"².

فالانزياح من وجهة نظر تداولية يتعلق بموقعه في مختلف المقامات التواصلية، ووضع هنريش بليت جدولا لهذه المقامات كالآتي³:

¹ ينظر: عيد بليغ، قراءات تداولية، البلاغة و التواصل ، ص29

² هنريش بليت، البلاغة الأسلوبية، ص98.

³ ينظر، هنريش بليت، المرجع نفسه، ص100. و ينظر عيد بليغ، المرجع السابق، ص29.

- مقام التواصل اليومي، وهو مقام غير بلاغي غير شعري ورمز له بالرمز (ت ي)، وظيفته الإخبار.
- مقام بلاغي ورمزه (ت ب) وظيفته الإقناع.
- مقام شعري ورمزه (ت ش) وظيفته مقصود لذاته.
- مقام ناقص ورمزه (ت ن) وظيفته غير تامة.

وتختلف هذه المقامات فيما بينها باختلاف المقاصد الكامنة وراء كل مقام تواصلية والغاية منه.

2/ وظيفة الكلام و علاقته بالمواضعة و القصد و حاجته إليها :

لعل أول مسألة تبيين عن ملاحم تداولية في فكر القدماء واهتمامهم بقصد المتكلم وأغراضه التواصلية، مسألة وظيفة اللغة، فقد عرفوا اللغة وحصروا وظيفتها الأساس في التبليغ والتعبير عن المقاصد، يقول ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) : " ومن شروط الفصاحة والبلاغة، أن يكون معنى الكلام واضحا جليا لا يحتاج إلى فكر في استخراجه وتأمل فهمه، سواء كان ذلك الكلام لا يحتاج إلى فكر منظوما أو منثورا ... والدليل على صحة ما ذهبنا إليه أن الكلام غير مقصود في نفسه، وإنما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم "1.

فوجهة نظر ابن سنان الخفاجي البارزة في هذا النص تؤكد إيمانه بأن الوظيفة الأساس للغة هي التواصل والتبليغ، وأن لا وظائف تداولية للغة خارج سياق الاتصال، فإن هذه اللغة إنما احتيج إليها لأجل التعبير عن المقاصد والأغراض، ولكي يعلم الناس ما في أنفسهم بعضهم بعضا، فلم يتلفظ بالكلام مقصودا في ذاته، وإنما لإبانة معان معينة يقصد إليها المتكلم قصدا.

¹ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص209.

ويبدو الاهتمام بمبدأ القصد وربطه بمفهوم التلفظ واضحاً جلياً أكثر في تعريف ابن جني (ت392هـ) للغة إذ يقول: " حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"¹. فاللغة في مفهومه أصوات وملفوظات مجردة، فإذا أراد المتكلم التعبير عن قصده (غرضه) عمد إلى هذه الملفوظات يسبكها ويختار منها ما هو عن قصده أبين، ولمراده أجلى وأنسب، ولا يتلفظ إلا بما كان لتحقيق ذلك الهدف جديراً. كما أنه دليل واضح على أن القدامى نظروا إلى أن الغاية من التواصل هي إدراك الغرض الحقيقي للمتكلم بتأويل كلامه وحل شفراته وسننه والبحث في طبقات الخطاب وترسباته، إذ الغرض في تعريف ابن جني ما هو إلا معرفة قصد متعين في سياق ومقام محددين.

أما ابن خلدون (ت808هـ) الذي قال عبد السلام المسدي عن كتابه أنه " حظي ببعدين أساسيين هما البعد الزمني والبعد المعرفي، فكانت مقدمته إحصاباً نوعياً من حيث تعتمز ضبط المنظومة الأصولية لتاريخ الفكر العربي الإسلامي". فقد ربط ملكة التكلم بما تواضع عليه المجتمع من أعراف واصطلاحات لغوية، فيقول في مقدمته: " اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني، فلا بد أن تصير ملكة متقررة ف العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد"².

وهو يشير إلى أن اللغة هي إرادة المتكلم الممتلك لهذه الملكة إحداث أصوات لغوية تعد جملة وفق أعراف واصطلاحات الجماعة اللغوية التي تنتمي إليها، وإن هذا المنجز اللساني إنما كان لأجل الإبانة عن مقصد المتكلم، " إذ لا يتم كون الفعل إلا بإرادته والقصد إليه والقصودات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات

¹ ابن جني، الخصائص، ج1، ص33.

² ابن خلدون، المقدمة، ص469.

سابقة يتلو بعضها بعضا وتلك التصورات هي أسباب قصد الفعل". وقد قيض الله للعرب أن تكون لغتهم الأحسن والأوضح لتحقيق هذه الغاية، أي إن قصد المتكلم شرط لازم للتلفظ حتى تكون الملفوظات ذات معنى، أو ذات إفادة بتعبير التداوليين المعاصرين .

كما يشير إلى أن الغاية من كل تواصل بيان المقاصد والظفر بالدلالة بالنظر إلى ما تؤديه القرائن الحالية في الخطاب. فالمعنى "...لابدّ وأنه تكتنفه أحوال تخصه، فيجب أن تعتبر بكل الأحوال في تأدية المقصود؛ لأنها صفاته وتلك الأحوال في جميع الألسن أكثر مما يدل عليها بألفاظ تخصها بالوضع. وأمّا في اللسان العربي فإنما يدلّ عليها بأحوال وكيفيات في تراكيب الألفاظ وتأليفها من تقديم وتأخير أو حذف أو حركة إعراب وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة، ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات..."¹على المتكلم أن يكون واعيا بسعة الكلام العربي وخواص تراكيبه وما تقتضيه المقاصد والأغراض من مستويات كلامية، والتحكم في العربية هو إدراك مثل هذه المسائل واللطائف في الكلام العربي.

ويمكن التنبيه هنا إلى أن أوستن **J.austin** تكلم عن نقيض ذلك، أي على التلفظ من غير قصد الذي يوازي عنده الفعل التعبيري، فقد يتلفظ المتكلم بأصوات صحيحة نحويا وصرفيا ومعجميا إلا أنها لا تؤدي إلى الإفادة المتوخاة منها، أي لا تتجز فعلا لغياب قصد المرسل¹ .

وقد علق الدكتور بشير إبرير عن تعريف ابن خلدون للغة مؤكدا أنه يعبر عن عديد القضايا منها:

¹ ينظر ، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص191.

" - اللغة عبارة المتكلم عن مقصوده ، أي إن اللغة تمثل وسيلة يستعملها الإنسان للتعبير عن أغراضه وما تتطلبه حياته من ربط للعلاقات والتخاطب مع أفراد المجتمع.

- وتلك العبارة فعل لساني ونشاط ذاتي يقوم المتكلم بإجداثه وهذا الفعل منشؤه القصد بإفادة الكلام حقيقة من الحقائق"

وليس بالخفي هنا أن ابن خلدون يؤكد على القصد الإنساني كأساس لظاهرة التبليغ، فالفعل اللساني فعل قصدي إرادي وتصميم ذاتي على التخاطب، وهو يقابل في الدراسات اللسانية التداولية ظاهرة الأفعال الكلامية .

كما ينبه ابن خلدون إلى ضرورة معرفة المتعلم أساليب اللغة المنشودة وكيفية استعمالها في التعبير عن المقاصد و الأغراض من قبل مستعمليها الأصليين، وهو ما كان سائداً عند العرب القدامى " فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة راسخة ويكون كأحدهم"

والملاحظ أن ابن خلدون يرى أن من تمام العملية التعليمية معرفة المقاصد التي تؤديها الأساليب المختلفة في اللغة الهدف، حتى يحصل المتكلم على الملكة التامة، والقارئ لمختلف النصوص التي أوردها ابن خلدون في مقدمته والأفكار التي احتوتها سيجد أنه نظر إلى اللغة نظرة شمولية، وأعطاهم حقها من الاستقراء والوصف والتحليل وقدم البدائل بوعي منهجي عميق من الناحية النظرية والإجرائية التطبيقية بالفقر الذي يجعل عمله يصنف ضمن ما قامت عليه التداوليات الحديثة.

وأشار ابن سنان الخفاجي إلى أهمية القصد في المواضعة والاصطلاح داخل الجماعة اللغوية الواحدة: " فبعد وقوع التواضع يحتاج إلى قصد المتكلم به واستعماله فيما قررته المواضعة، ولا يلزم على هذا أن تكون المواضعة لا تأثير لها، لأن فائدة المواضعة تمييز الصيغة التي متى أردنا مثلا أن قصدناها. وفائدة القصد أن تتعلق تلك العبارة بالمأمور وتؤثر في كونه أمرا له، فالمواضعة تجري مجرى شذ السكين وتقويم الآلات والقصد يجري مجرى استعمال الآلات ¹، فالمتكلم إذا أراد إفهام السامع قصده بما يمتلك من لغة وجب عليه أن يكون عالما بقواعد تركيبها وسياقات استعمالها، أي بالمواضعات التي تنظم إنتاج الخطاب، ومنه فالقصد عامل أساس في إنشاء العلامات عليها سواء كانت علامات طبيعية أو علامات من صنف علامي آخر²، وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: "وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"³

إن وصف العلاقة بين الاسم والمسمى بالاعتباطية لا يعني أنها علاقة واهية سريعة الزوال، إذ اشترط الجرجاني القصد إلى الفعل القولي، فقال: " لا يكون الترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد"⁴، فالقصد هو المؤسس للفعل المفيد. والكلام فعل فلا غنى له عن القصد، وهو ما يتفق مع رؤية عبد السلام المسدي الذي يراه (القصد): " المقوم الأساسي القابع خلف قانون المواضعة، والذي به استقام لها أن تكون المحرك الجدلي التوليدي والمحدد المبدئي الأوفى في كل إفرزات الظاهرة اللغوية"⁵. فالمواضعة شرط واجب في الكلام إلا أنها غير كافية في كونه كلاما كاملا، صحيح المعنى وصحة المعنى في الكلام وإن كانت ضرورية للفظ، فإنها لا تطلب لذاتها،

¹ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص 03.

² ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 183.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص 469

⁴ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 364.

⁵ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 145.

وإنما يقصد بها أداء معان. معينة يقول الجرجاني في هذا : " الألفاظ لا تتراد لأنفسها، وإنما تتراد لتجعل أدلة على المعاني"¹، فعلى المتكلم أن يكون عالما باللغة، ثم يقصد بها الفائدة التي وضعت لها إذا تكلم بها. وإذا كانت المواضعة سابقة للقصد، فهي معبر لابد منه ليلبغ المتكلم قصده، إلا أنه ومن جهة أخرى يعد مؤسسا لها، فالمواضعة لا تكون إلا باتفاق ولو فردين من أفراد الجماعة اللغوية الواحدة². " على أن الاسم المخصوص لا يستعملانه إلا و يقصدان به مسمى مخصوصا ... ولولا ذلك لم يكن بأن يكون اسما له أولى من غيره ... فلا بد من أمر آخر يوجب تعليقه بالمسمى ، وليس هناك ما يوجب ذلك فيه سوى القصد والإرادة"³.

فالعلاقة إذن بين القصد والمواضعة تلازمية، فمن تكلم ولو بقصد دون علم بالمواضعة لا يفيد كلامه معنى، وكذلك لو تكلم من علم بالمواضعة ولم يقصد طريقته في أداء المعنى لم يفد كلامه شيئا، فالقصد هو الذي يفعل المواضعة ويصححها : ".... ويبين ذلك أنه لو تكلم (...). وهو لا يعرف المواضعة ولا قصد الطريقة التي وضعوا اللفظة لها لم يكن مفيدا (...). ويحل ذلك محل أن يتكلم المتكلم بذلك قبل وقوع المواضعة عليه وقد علمنا أن الكلام لا يفيد، ولما وقعت المواضعة فكذلك لا يفيد ممن لا يقصد طريقة المواضعة"⁴ يشترطون القصد في الدلالة فما يفهم من غير قصد من المتكلم لا يكون مدلولاً للفظ عندهم، فإن الدلالة عندهم هي فهم المقصود لا فهم المعنى مطلقا سواء أراده المتكلم أم لا، فظهر أن الدلالة تتوقف على الإرادة مطلقا مطابقة كانت أم تضمنا".

¹ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص522.

² ينظر: سلوى النجار، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار، ص121.

³ ينظر: القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل و التوحيد (الشرعيات)، ج17، ص14.160.

⁴ ينظر: القاضي عبد الجبار، المصدر نفسه، ج17، ص14.

ويرى بعض الباحثين أن الجرجاني كان محترزا في استعماله لمصطلح القصد في مقام حديثه عن المواضعة، وأولوا ذلك بأنه يرى أن القصد ملائم لكل سياق كان الكلام فيه متصلا بالمعنى، ووردت هذه الاحترازات في سياقين مختلفين هما¹:
 الأوّل: إثبات أن يكون المقصود بالكلام المعني؛ لأنه " مما يعلم ببدائه المعقول أن الناس إنما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده"².
 أما الثاني: فنفي أن يكون المقصود بالكلام اللفظ: " ... فلا يخفى على من له أدنى تمييز أن الأغراض التي تكون للناس في ذلك لا تعرف من الألفاظ، ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام أدلة على الأغراض و المقاصد"³.
 وقد ناب عن مصطلح القصد عند الجرجاني عبارات كثيرة من قبيل: ⁴ " جعل " في قوله "فحاله الآن فيه كحال واضح اللغة حين جعله مصدرا لزيد⁵"، أو استعماله "لاختص" كقوله: " أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه أختص به حين وضع"⁶، وأيضا لفظ " أراد" يقول: " وإنما الألفاظ لا تراد لأنفسها وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني"⁷.

وفي معرض مناقشته أهمية العلم بالمقاصد أهو ضروري أم لا ؟.
 يعد الجرجاني العلم بالمقاصد ضروريا، بالمعنى الفلسفي المطلق لكلمة "ضرورة"، والذي يعني أن إدراكنا للأشياء فعل حاصل حصولا يقينيا دون أن يكون لنا قدرة البرهنة للاستدلال على ما حصلنا عليه، فمهمة الواضع ليست في تبين الحادث من

¹ تنتظر: سلوى النجار، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار، ص122.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 530.

³ عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، 441.

⁴ تنتظر: سلوى النجار، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار، ص122

⁵ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص325.

⁶ عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، 29.

⁷ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 522.

الظواهر، ولا في الاهتداء إلى اسم مناسب يوضع عليه فحسب، بل تكمن مهمته في تبليغ تلك العلاقة إلى من يواضعه، ولولا ذلك لما تمكن الطرف الآخر من معرفة أن هذا الاسم وضع مخصوصا لذلك الشيء ما دامت العلاقة الرابطة بينهما لا تقوم على معنى¹.

ويورد الجرجاني رأيه في تساؤل إنكاري، قائلا: " كيف وقد أجمع العقلاء على أن العلم بمقاصد الناس في محاوراتهم علم ضرورة؟"²، فالسامع إن لم يعلم ضرورة قصد المتكلم انتفى التفاهم بينهما.

ولم يقف الجرجاني عند هذه المسألة مطولا، لأنها أمر واضح ومتفق عليه في رأيه، والمقاصد عنده هي المعاني التي ينشئها المتكلم في نفسه ويصرفها في فكره، فالخبر وجميع الكلام يناجي المتكلم بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض يثبتها أو ينفىها³.

ويتكلم الجرجاني عن حاجة الكلام إلى المواضعة والقصد بالمعنى الذي يستلزمها حتى يكون كلاما ذا دلالة، فكلاهما ضروري لأداء الكلام، فالقصد هو ما يريد المتكلم إبلاغه هو بعينه، ولن يتسنى له ذلك إلا بالمواضعة التي تمدد بالمعاني الأول للألفاظ. وما يستعمله المتكلم ليس خانات فارغة، وإنما هو يستعمل ما ملأته المواضعة من دوال، وبذلك فقط يصبح دالا. ويعمد المتكلم إلى تلك الدلالات الأول، فيختار منها ما يؤدي أغراضه ومقاصده؛ لينتج كلاما مبنيا في أساسه على المواضعة، مع أن معانيه لا تنتهي إلى ما تقره المواضعة، بل إلى علاقات ذهنية أو أحكام بالنفى أو بالإثبات⁴.

¹ تنظر: سلوى النجار، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار، ص131.

² عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 530.

³ تنظر: سلوى النجار، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار، ص 130.

⁴ تنظر: سلوى النجار، المرجع السابق، ص132.

ويشير عبد السلام المسدي إلى قوة مفهوم الحاجة ههنا، فهي إذا فقدت اضمحل معنى الكلام، ولذلك " كان الحدث اللساني الأوفى هو الذي يتكامل فيه شرط المواضعة مع شرط القصد، فإذا اختل أحدهما، اختل بناء الكلام، وإن لم تنتف سمة الحدث اللساني عنه تماما ، فهو "عندئذ" كلام بوجه من الوجوه، لعلّه الوجه الأنقص الذي لا يمثل الوظيفة اللغوية التمثيل الحقيقي " ¹.

ثم يصرف الجرجاني النظر عن هذه المسألة، وكأنها استوتفت حظها من النقاش، ليوجه اهتمامه إلى رفع لبس قائم حول أهمية اللفظ المفرد في الكلام، فقيمة الكلام في كونه مجموعا مؤتلفا، وهو لا ينفي قيمة اللفظ ولا يقلل منها، ولا يزيد من قيمة المعاني إذ لا يقوم الكلام عليها وحدها ²، فيقول: " فلا يخفى على من له أدنى تمييز أن الأغراض التي تكون للناس في ذلك لا تعرف من الألفاظ، ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموعة الكلام أدلة على الأغراض و المقاصد " ³.

فلا يكون الكلام مفيدا إلا بائتلاف اللفظ مع المعاني للدلالة على القصد أي باجتماع دلالة المواضعة على القصد.

3/ المقام بين البلاغة العربية و اللسانيات التداولية:

أ/ التداولية و المقام:

تدرس التداولية اللغة في المواقف الاتصالية المختلفة (واقعية أو متخيلة)، أي بوصفها نظاما ما يتخذ لأجل التواصل، مقرونة بقصدية الذات المتكلمة وآثار المقام أو السياق؛ مما أدى إلى انفتاح التحليل اللساني على المعطيات الخارج لسانية ذات الصلة بإنتاج النص وفهمه وتأثيره، بحيث يدرس الأقوال بوصفها أفعالا لغوية تواصلية تخضع في إنتاجها وصياغتها وتأويلها لعدد العوامل السياقية، والذهنية،

¹ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 151.

² تنتظر: سلوى النجار، المرجع السابق، ص 133.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 441.

والنفسية، والمعرفية والاعتقادية... إلخ، فالاستعمال اللغوي لا يقتصر على مجرد الترميز (الإنتاج)، و التفكير (التأويل)، بل يتطلب قدرات ومعارف غير لسانية تتصل بمقامات الاستعمال أو سياقاته، كما تتصل بمقاصد المستعملين ومعارفهم ونشاطهم الذهني والاستدلالي¹.

وانصرفت التداولية إلى دراسة البعد غير اللساني في اللغة، إيماناً منها بأنه يشكل جانبا هاما من معنى التلفظ، ليس من ناحية قوة إنجازة فقط، بل من ناحية المعنى أو المحتوى القضوي: إنتاجه، واستهدافه، وتوجيهه، وافتراضه، واستلزامه...، إذ كثيرا ما تكون مفتاحا لحل لغز المعنى. فكثيرا ما نلجأ لمعرفة المقصود من العبارات المنطوقة إلى الموضوع الذي وردت فيه، كما أن من قواعد اللغة ما يخضع لاعتبارات تداولية أخرى كالإنجازات وما يتصل بها من قضايا الإحالة أو المرجعية، والصدق والحقيقة والافتراضات و الاستلزمات والتضمينات والعبارات المجازية والبلاغية... إلى غير ذلك مما يؤكد أن اللغة ليست في استقلال عن الاستعمالات التي وضعت لها².

انتقلت التداولية بالأقوال إلى ميدان الأفعال، ودرست التلفظ على أنه إنجاز لفعل ما في سياق معين بقصد التواصل، وانفتحت بنظرتها الشمولية للغة في استعمالاتها اللامتناهية على فكر الإنسان بصفته متكلماً ومخاطباً، ومقاصده ومعارفه، واعتقاداته وسلوكه، وما يحكم التواصل من عمليات ومعارف لسانية وغير لسانية، وما يتصل به من أطراف وصيغ وأشكال، ومقامات، وأغراض و آثار...³.

فالمتكلم هو مستعمل اللغة الذي عليه أن يكون عالماً بكيفيات التوظيف اللغوي بحسب السياقات المختلفة، فلكل استعمال موضع خاص به، حتى يتمكن من إنتاج

¹ ينظر: أن روبرول و جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 22.

² ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ج1، م42، يوليو سبتمبر 2013، ص63.

³ ينظر: فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، ص93.

وتأويل العبارات في مختلف المواقف الاتصالية. وتختلف هذه المعرفة باختلاف اللغات وطبيعتها، فلغة العربية استعمالات متنوعة تخص الاشتقاق، والتشبيه، والرمز، والاستعارة، والحذف، والمبالغة والتقديم، والتأخير، والعطف، والمثل... ولكل منها مواضع مضبوطة تقتضيها توظيفات اللغة بحسب طبيعة فنون البيان.

وكل ما يتعلق بحسن توظيف اللغة هو ما أطلقت عليه الدراسات اللسانية عامة، والتداوليات خاصة، "الكفاءة التداولية" التي تكشف عن مدى معرفة المتكلم بأشكال الاتصال الموافقة لطبيعة المجتمع واستعمالاته لها من جهة، ومن جهة أخرى طبيعة المتلقي المشارك في الخطاب، فلا يجوز أن "تكلم الحاضرة والمولدين من الغريب بما لا يعرفون، وبما هم إلى تفسيره محتاجون، وأن تكلم العامة السخفاء بما تكلم به الخاصة الأدباء، وإنما مثل من كلم إنسانا بما لا يفهمه وبما يحتاج إلى تفسير له، كمثل من كلم عربيا بالفارسية لأن الكلام وضع ليعرف به السامع مراد القائل، فإذا كلمه بما لا يعرفه فسواء عليه أكان ذلك بالعربية أم غيرها".

والكفاءة التداولية التي تدخل ضمن القدرة التواصلية للمتكلم هي التي أشار إليها سيمون ديك (S. Dick) وأقر بأنها تتكون من خمس ملكات على الأقل "الملكة اللغوية، الملكة المنطقية، الملكة المعرفية، الملكة الإدراكية، الملكة الاجتماعية"، وهي تساهم جميعها في إنتاج الفعل الكلامي وتأويله.

وإن الاهتمام بسياق التكلم من أهم اختصاصات التداولية حتى إن ماكس بلاك (M. Blak) وغيره من الباحثين استحسنوا أن تسمى النظرية التداولية بالسياقية - كما أشرنا سابقا - .

لا تحقق اللغة إذن وظيفتها التواصلية بوقوف العلامات اللغوية عند حدود بنيتها اللسانية (معجميا و تركيبيا)، بل ترتبط أيضا بالظروف والملابسات التي يتم فيها فعل التواصل، فاستخدام وفهم وتأويل الملفوظ اللغوي يحتاج إلى الإلمام بما يحيط بعملية التلفظ من ملابسات أو عوامل معلنة أو متضمنة، بتخيّلها أو افتراضها أو إعادة بنائها حين التواصل، وتشمل عناصر مرجعية ومعرفية واعتقادية وتداولية،

كالزمان والمكان اللذين وقع فيهما فعل التلفظ، والمشاركين في الحدث الكلامي INTERLOCUTORS: هويتهم، وهيتهم، ومستوياتهم الاجتماعية، وطبيعة العلاقات التي تربطهم قبل التلفظ وأثناءه وحتى بعده، واعتقاداتهم حول بعضهم البعض، والمواضعات والقيم والمعايير العامة التي تجمعهم: لغوية، وثقافية، و اجتماعية، وما يترتب عن ذلك من معارف وأحكام واعتقادات ومقاصد ونوايا وميولات....، إلى جانب موضوع التلفظ وشكله التعبيري¹.

تختلف التسميات المدلول بها على المظاهر غير اللسانية للملفوظ، كما تختلف التعريفات وتتنوع، ومن أوضح تعريفاته القول إنه " كل ما يحيط باللفظ من ظروف تتصل بالكلام أو المتكلم أو المخاطب في أثناء النطق، فيعطي اللفظ دلالاته، وتوجهه باتجاه معين، فهو إذن مجموعة العوامل والعناصر المحيطة بالنص من خارجه التي تعين على فهمه وتفسيره"².

أما عن تسمياته فديكرو DUCROT، وتودوروف T.TODOROV (1972) يحتفظان بمصطلح السياق CONTEXTE، ويعرفان مقام الكلام أو الخطاب SPEECH

SITUATION³ بأنه: " مجموعة الملابسات CIRCUMSTANCES التي تحيط بفعل التلفظ ENUNCIATION مكتوباً كان أو شفويًا"⁴. وفي موضع آخر يعرفه ديكرو بقوله: " إننا نسمي مقام الخطاب مجموع الظروف التي نشأ الخطاب في وسطها (...). ويجب أن نفهم من هذا المحيط المادي والاجتماعي الذي يأخذ الظرف فيه مكانه، والصورة التي تكون للمتخاطبين عنه، وهوية هؤلاء....

¹ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص 64.

² حسين حامد صالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، ص 128.

³ ينظر: شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص 65.

⁴ D.ducrot.t. to dorov, encyclopedia dictionary of the sciences of language p333

نقلان: شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص 65.

وإننا لنعرف التداولية - غالبا - بوصفها دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة
1".

فالدراسات التداولية التي تهتم بالعبارة أثناء الاستعمال تراعي المقام الذي تقال فيه
العبارة، فهو المهيمن على معناها، بحسب الغرض المقصود، والظروف المحيطة ...
وبالمعنى ذاته يرد المصطلحان " **SITUATION** " و " **CONTEXT OF** " **SITUATION**
عند هاليداي (HALLIDAY) ورقية حسن² R. HASSAN.
حيث يقولان :

"إن **المقام SITUATION، وهو بمعنى** سياق **المقام**
CONTEXTSITUATION OF الذي يطوق لها نصا ما، إنما يحيل إلى كل تلك
العوامل الخارج لسانية **LINGUISTIC EXTRE** التي يكون لها تأثير ما على
النص ذاته"³.

ويعرف أولمان السياق اللغوي بأنه : "التنظيم اللفظي للكلمة و موقعها من ذلك
النظم"⁴.

ويمكن تقسيم المقام إلى قسمين : خارجي و داخلي .

أ/ **الخارجي** : وهو كل ما يخرج عن ذات المتكلم ويتكون من :

- المتلقي: ومستواه العلمي والفكري، ودرجته الاجتماعية والسياسية، ومردود

أفعاله كالرفض والقبول

¹ أوزوالديكرو، مقام الخطاب - مقال ضمن القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان (تأليف أوزوالد يكرو، جان ماري شايفر)، ص 677.

² ينظر: شكري الطونسي، المرجع السابق، ص 65.

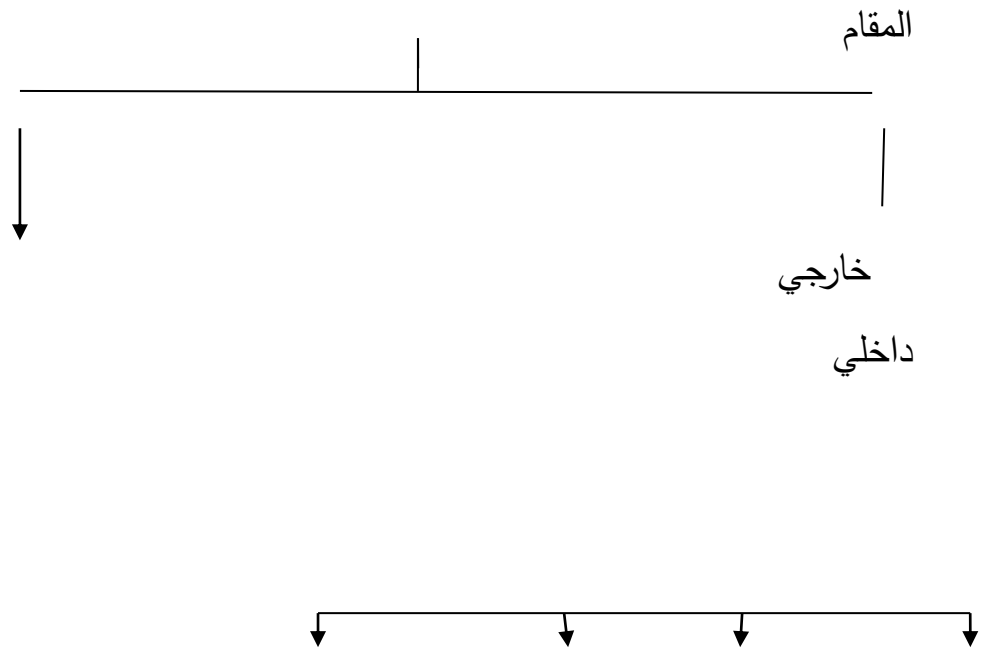
³ M.a.k.halliday ,ruguaiya hassan (1976) cohesion in english, p21

نقلا عن شكري الطونسي، المرجع السابق، ص 65.

⁴ حسين حامد الصالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، 103.

- قناة الاتصال : ويقصد بها الوسيلة المستعملة في التواصل وهي اللغة ، إما شفاهة أو كتابة.
- السياق العام للتواصل: والمقصود به السياق الاجتماعي والسياسي
- طبيعة الموضوع : التي تراعي أحوال المتلقي وطبيعته، وقد تكون اجتماعية، أو سياسية، أو عاطفية.....

ب/ الداخلي : ويراعي فيه مقاصد المتكلم التي تكون سابقة أو طارئة¹.
ويمكن تمثيل ذلك بالمخطط الآتي:²



¹ ينظر: جميل عبد الحميد، البلاغة و الاتصال، 132/135.

² جميل عبد الحميد، نفسه، ص 133.



أما طه عبد الرحمن، فيذكر أن للسياق عناصر ثلاثة، هي:

" 1/ العنصر الذاتي: ويشمل معتقدات المتكلم ومقاصده واهتماماته ورغباته.

2/ العنصر الموضوعي: ويشمل الوقائع الخارجية (الظروف الزمانية والمكانية).

3/ العنصر الذواتي: ويشمل المعرفة المشتركة (Mutual know ledge) بين

المتخاطبين، أو ما يسمى بالأرضية المشتركة (common ground) وهي معرفة

معقدة التركيب".

تحظى هذه العناصر غير اللسانية في مجال التداولية باهتمام بالغ، ويشار إليها بأحد

المصطلحين: المقام SITUATION، أو السياق CONTEXT- وهو الأكثر تداولاً

- إلى حدٍ عَدَّ فيه موضوع التداولية هو دراسة المعنى في علاقاته بمقام الخطاب.

والتمييز بين أنواع مختلفة من السياقات كما ذكرتها فرانسواز أرمينكو (f.

armingaud1985)، السياق الظرفي والفعلي والوجودي والسياق الإقتضائي،

يوجد عدد من التداوليات التي تسعى إلى إيجاد مفهوم موحد للسياق¹. ومن ثم

¹ ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 38-39-48-49.

تتطلع إلى : " تداولية محضة يكون موضوعها هو معالجة ما يعود في اللغات الطبيعية إلى الشروط العامة للتواصل "1.

تنظر التداولية إذن إلى النص بوصفه صورة خاصة من الأفعال اللغوية، أي إنه استعمال خاص للغة في ظروف وسياقات خاصة تحدد خصائصه ووظائفه وآثاره. وانطلاقاً من العلاقة القائمة بين النص وسياقه أو ظروف إنتاجه وتلقيه يقدم فان دايك vandijk تصنيفاً لأنواع السياقات: " السياق التداولي (النص كفعل أو أفعال اللغة)، والسياق المعرفي (فهم النصوص)، والسياق الاجتماعي النفسي (تأثير النصوص)، والسياق الاجتماعي (النص في التفاعل في المؤسسة)، والسياق الاجتماعي الثقافي (النص كظاهرة ثقافية)"2.

وهذا التحليل للمقامات المختلفة التي يستعمل فيها الملفوظ أو النص عامة تساهم في إنتاج المعنى الذي هو وليد التفاعل بين الوحدات اللسانية والسياق، فكل عبارة في النص تتأثر بما قبلها وبما بعدها، من عبارات: لتشكل ما يسميه بعض الباحثين " السياق النصي "co-text³ الذي كثيراً ما يعمل: "...كعامل يحدد ويحد من فهمنا حتى لو لم تتوافر لدينا معلومات عن مكان القول الأصلي وزمانه، وحتى في صورة غياب معلومات عن المتكلم، الكاتب والمستقبل الذي يقصد توجيه الكلام إليه"4.

هذا السياق النصي الذي يشكل جزءاً من مقام الخطاب، أو سياق المقام أو من السياق بما فيه من عناصر لسانية وغير لسانية على نحو ما ذكر هايمز haymes

¹: فرانسواز أرمينيكو، المرجع نفسه، ص49.

² فان دايك، نظرية الأدب في القرن العشرين (النص بنيانه و وظائفه مدخل أول إلى علم النص) ترو تح محمد العمري، ص66-77.

³ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص66.

⁴ ج.ب. براون و ج.بول، تحليل الخطاب ، ترجمة لظفي الزليطي و منير التريكي، ص60.

في تحديده الخصائص السياقية العامة للحدث التواصلية والمؤثرات الخاصة اللازمة لمعرفة صحة الجملة كما ذكر لويس¹، **d.lewis**

- و كما سبقت الإشارة - وعلى الرغم مما يحظى به مصطلح السياق من تعدد واتساع، فقد قسمه الباحثون إلى قسمين اثنين فقط: السياق الخارجي (أو سياق المقام)، و السياق الداخلي (أو سياق النص). وقد ولد هذا إشكالية ضبط حدود السياق لتشتمل كل ما يتعلق بعملية إنتاج القول وظروف وعناصر تسم فعل التواصل، وطريقة إنجاز المشاركين وأدائهم وحالاتهم النفسية والاجتماعية والثقافية والمعرفية واللغوية، وشروط تلقي المخاطبين : فهمهم وتفسيرهم للخطاب، ومدى استجابتهم له، بل قد يتسع السياق ليشمل سياقات محتملة غير متعينة أو غير متلفظ بها².

وفي ظل هذا المفهوم الواسع للسياق تبقى فرضية بناء نظرية مكتملة للمعنى أمراً بعيد المنال، ولكن يبقى من المؤكد أن دلالات العلامات اللسانية هي حصيلة سياقاتها، إذ السياق يستبعد من الدلالات الممكنة للعلامات ما لا يحتملها، ويستدعي منها ما هو ملائم له، وبالتالي فهو يوجه الأحداث القولية، ويلائم التبادل القولي بين المتخاطبين، أي يوجه عملية الفهم والتأويل، ويحدد طبيعة الأفعال الكلامية المنجزة (أمر، أو وعد، أو اعتذار...). وتحديد مرجعية الإشارات المستعملة³، مما يؤكد أن " **الخطاب القابل للفهم و التأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه... وما**

¹ ينظر: شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص66.

² ينظر: شكري الطوانسي، نفسه، ص66.

و ينظر: حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية و معجمية، ص 161.

³ ينظر: شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص 67 .

و ينظر : محمد الناصر العجمي، سياق التلفظ وقيمه في التحليل الخطاب تعميماً، و الخطاب السردي تخصيصاً، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ع62، ربيع صيف 2003، ص 49-69-51.

كان ممكناً أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه¹، فتميزه ناتج عن المقام الذي ينتج فيه.

ب/ البلاغة العربية و المقام :

إن المثل البلاغي السائر في الموروث اللغوي العربي " لكل مقام مقال" يعكس تحكم المقام والغرض المنشود من التواصل في الأسلوب المستعمل من قبل المتكلم والموجه إلى مختلف السامعين. والأسلوب هو: " المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفعال في نفوس سامعيه. ويتألف الأسلوب من عناصر ثلاثة: هي الأفكار والصور والعبارات". وتتعدد الأساليب بتعدد الأغراض والمقامات، فأسلوب الاستغاثة يختلف عن أسلوب الاستفهام، وأسلوب التعجب لا يشابه أسلوب الإخبار...إلخ.

وهذا ما لفت انتباه القدامى وشد اهتمام المحدثين إلى التركيز على عنصر المقام. يقول محمد بن مينة: " إن التركيز على عنصر المقام في البحث البلاغي العربي القديم يفسر مدى أهمية هذا العنصر في الدرس اللغوي العربي، حيث كان يلجأ إليه لتفسير عديد العبارات اللغوية التي يقتضيها المقام عند المتكلم طالما أن مقتضى الحال يتحكم في صياغة التراكيب وتحديد وظيفة المراد بها وهذا ما نلاحظه في الدراسات اللسانية المعاصرة التي أعطت المقام أهمية كبرى كشرط اجتماعي وثقافي لإنتاج اللغة. فمطابقة الكلام لمقتضى الحال تعني التأثير المباشر للمقام في التركيب اللغوي والدلالة التي تحملها الملفوظية (Enonciation) قصد تلافي أي لبس قد يعوق تحقيق تواصل على مستوى الخطاب ومن هنا يصبح المقام شرطاً تداولياً يحكم العملية التواصلية بين مرسل ومرسل إليه ويضبط كل الانزياحات التي تطبع الصيغ البلاغية".

¹ محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام الخطاب، ص56.

اهتم البلاغيون العرب القدامى -إذن- منذ بداية التفكير البلاغي وعلى امتداده بالجانب الاستعمالي للغة (بلاغيا، وتداوليا)، ودليل ذلك أن التعريف الأكثر شهرة للبلاغة أنها ليست سوى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، وهو تعريف القزويني (ت739هـ) الذي ربط بين القول وهيئاته المخصوصة التي يأتي عليها وفق ما يقتضيه المقام أو الحال الذي على المتكلم أن يورد كلامه وفق خصوصيته¹. والملحوظ أن الباحث البلاغي العربي كان كذلك، فلا يفصل أمثله عن سياقات استعمالها، فلم تكن "الأمثلة التوضيحية التي كان يقدمها منعزلة منفردة، وإنما يقدمها في سياقاتها أو بالأحرى يفترض لها سياقات لتتضح أكثر فأكثر، فتوجد أمثلة استقاها من كلام العرب ومن الشعر ومن القرآن الكريم... وتوجد أمثلة أخرى يفترضها لأنه بصدد الشرح والتفسير وإفهام المخاطب وهي قضية على درجة كبيرة من الأهمية ولا بد من الانتباه إليها"، وبذلك يقر تمام حسان أن العرب كانوا "متقدمين ألف سنة على زمنهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"².

فالعلاقة التواصلية تتطلب من المتخاطبين معرفة واسعة باللغة واستعمالاتها، وما يقتضيه كل مقام من استعمالات تتناسبه وتبين المقصود، ولذلك كان من "تمام آلات البلاغة التوسع في معرفة العربية ووجوه الاستعمال بها، والعلم بفاخر الألفاظ وساقطها، ومتخيرها وريئها ومعرفة المقامات، وما يصلح في كل واحد منها من الكلام"²

¹ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص59.

² أبو هلال عسكري، الصناعتين، ص31.

أما ابن سنان فيرى أن السياق يساعد على بيان الغرض من كل تواصل فهو "...بحسب الكلام المؤلف، فإن كان مدحا كان الغرض به قولاً ينبئ به عن عظم حال الممدوح وإن كان هجواً فبالضد".

فمعرفة المتكلم باللغة و أوجه استعمالها، يساعده على استعمال السياق المناسب لكل لفظ، وهذا ما أدى بالأمدي (ت 631هـ) إلى القول: " إن دلالة الألفاظ ليست لذواتها بل هي تابعة لقصد المتكلم و إراداته"¹، فقصد المتكلم هو الذي يحدد الحمولة الدلالية للألفاظ، ويساعده في ذلك السياق الذي يكون سبباً في اختيار لفظ دون آخر في الاستعمال، ويحدد دلالة معينة له، فالكلمة: " تؤدي معنى محددًا إذا استعملت في سياق، فالسياق وحده هو القادر على أن يمنح اللفظة المفردة دلالتها المحددة فالذي يحدد قيمة الكلمة المفردة هو السياق الذي ترد فيه"². إن للكلمة دلالة وقتية في اللحظة التي تستعمل فيها في سياق ما: فتكتسب دلالة غير التي كانت تحملها من قبل، ويرى فنديس (vandr...) أننا حين نقول: " إن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حدها، إذ لا يطفو الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه سياق النص، أما المعاني الأخرى، فتمحي و تتبدد، ولا توجد إطلاقاً"³.

ولذلك كان من بين شروط فن القول ومتطلباته التي تؤدي بالمتكلم إلى حسن الإبانة عن غرضه وتبليغ مقصده، البيان وحسن اختيار الألفاظ المناسبة للسياق اللغوي بحسب ما يقتضيه حال الخطاب أو المقام، فيضع اللفظ في موضعه من النظم. كما ورد في القرآن الكريم، إذ " الله تبارك وتعالى لم يذكر الجوع في القرآن إلا في موضع

¹ على أيت أوشان، السياق و النص الشعري، ص115.

² محمد كريم الكواز، النقد و البلاغة، ص322.

³ حسين حامد صالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، ص 104.

العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب،
ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة...".

ومقتضى الحال خصوصية زائدة أو مضافة على أصل المراد، إنه : "
الخصوصية التي تناسب المقام ويتعلق بها الغرض، لاقتضائها المقام، كالتأكيد
بالنسبة إلى الأفكار، وكالإيجاز في الضجر، وكالإطناب في المحبوبة وغير ذلك
من الاعتبارات والخصوصيات الزائدة على أصل المراد"¹.

فلا يتحقق القصد من وراء التخاطب إلا بمراعاة المتكلم مقتضيات الحال ومطابقة
أسلوبه لاعتبارات المقام الذي هو فيه، فتأتي المطابقة أو المراعاة على درجات،
وتتنوع الأبنية والصيغ اللغوية باختلاف مقتضيات المقامات، بل على حسب
اعتبارات المقام الواحد، " فكل مقام وحال فيه مراتب كثيرة وفق الاعتبارات المناسبة
له، فما من شيء يراعى في الخصوصيات والمناسبات إلا وهي مرتبة في ذلك
المقام، مثلا مقام الإنكار التام، إذا أكد فيه بتأكيد واحد، فهذا الاعتبار مرتبة، وإذا
أكد فيه بتأكيدين ، فهذا الاعتبار مرتبة فوق الأولى، وإذا بولغ في التأكيد فهذا
الاعتبار مرتبة هي أعلى مما قبلها، فتفاوت الرتب والاعتبارات في المقام الواحد،
وتفاوت الرتب في المقامات، من جهة أن ما يراعى مثلا في مقام هو أعلى و
أصعب مما يراعى في مقام آخر، كمقام الحقيقة مع مقام المجاز، فرعاية اعتبارات
المجاز أعلى..."².

وتنسحب دلالة الحال - بالإضافة إلى مناسبات القول ومراتب المخاطبين
ومستوياتهم - على مقاصد المتكلمين وأحوالهم، فالمتكلم هو المتكفل بتحقيق
المطابقة وفق اختياراته الخاصة، وطرائقه في استخدام اللغة تعبيراً عن مقاصده

¹ ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتحاح في شرح تلخيص المفتاح، تح خليل إبراهيم خليل، مج1، ص130.

نقلا عن شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص59.

² ابن يعقوب المغربي، المصدر نفسه، مج1، ص132.

ومعانيه النفسية، وهو الجانب الذي رأى البلاغيون أنه مجال اهتمام علم المعاني، فإذا كانت البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال¹، فإن علم المعاني هو ما " يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال "2، إذ لا بد من موافقة الألفاظ للمعاني التي يتوخاها المتكلم، فلا يعتمد على الصحة اللغوية فقط : " فليس كل كلام صحيح صحة لغوية مطلقة صالحا لمقامه أو موفقا في أداء رسالته في ظروفه وحاله، ففي هذه الحالة ينقص ضرب آخر من الصحة، وهي صحة الإيصال والتواصل على وجه معين يقابل أغراض الكلام ويُعنى بمقاصده. هذا الضرب الآخر من الصحة هو ما نسميه (الصحة الخارجية). ونعته علماء العربية بمطابقة الكلام لمقتضى الحال "3. وقد قارب السكاكي كل الصحة عندما أشار إلى ذلك، فذكر عددا من المقامات المتباينة، وكل مقام يوافقه أسلوب يباين أسلوب المقام الآخر، فقال: " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترعب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل...، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر...".

وقول السكاكي هذا يعكس تظن البلاغيين القدامى إلى أثر السياقات الثقافية والاجتماعية في توظيف الأساليب اللغوية المناسبة لكل مقام، التي تعد خيطا رابطا بين المتكلم ومقاصده تجاه المستمع، وهي لا تتطلب كفاءة لغوية فقط، بل كفاءة تواصلية تراعي الشروط الاجتماعية والثقافية المقننة له. وهو ما أكد عليه كريستيان باشمان (CH.Bachmann): " في الواقع لا نتكلم بنفس الطريقة مع شتى المتخاطبين في مختلف مواقفهم أو بحسب أغراضهم المختلفة التي يريدون

¹ ينظر : شكري الطوانسي، المرجع نفسه، ص 60.

² الخطيب القزويني، الإيضاح، مج 1، ج 1، ص 52.

³ كمال بشر، فن الكلام، ص 80.

استيعابها وبدون معرفة قواعد اللسانيات الاجتماعية التي تتحكم في اختيار بنيات لسانية ملائمة للبنيات الاجتماعية تبقى المعرفة اللغوية مجردة تماما ومنفصلة عن التحقق... إن دراسة التواصل التي اقترحها كل من كمبرز (Gunpuz) وهايمز (Hymes) في العقد السادس من هذا القرن تعد محركا أساسيا للدراسات العرقية من قبيل ملاحظة استعمال اللغة في سياقاتها الطبيعية¹، فيجب مراعاة العوامل الخارجية للكلام حتى تكون المعاني صحيحة مطابقة للغرض الذي يقصده القائل، ذلك أن " ما تكون عليه المعاني من صحة وكمال ومطابقة للغرض المقصود بها وحسن موقع في النفس يكون بالنظر إلى ما المعنى عليه في نفسه، وبالنظر إلى ما يقترن به من كلام، وتكون له به عَلاقة، وبالنظر إلى الغرض الذي يكون الكلام منقولاً فيه، وبالنظر إلى حال الشيء الذي تعلق به القول "1.

إن ما قدمه السكاكي من مساهمات نموذج عن المعالجات البلاغية ذات الأبعاد التداولية فأطروحاته عميقة تقوم على تحليل اللغة في مستوياتها المتعددة، ومن بنياتها الفرضية التي تسبق الأداء اللغوي، وبخاصة مقولة القصيدة.

ومعرفة أحوال اللفظ حتى يطابق مقتضى الحال، هو ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني حين دعا إلى ضرورة الأخذ بمعاني النحو فيما بين الكلم بحسب الأغراض والمقاصد التي يصاغ لأجلها الكلام، فسماه " النظم " وهو " ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالألفاظ على حذوها... بل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع ، وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤم²، وفي هذا اهتمام واضح بالمتكلم وقصده وفاعليته في الخطاب؛ إذ ينبغي أن يكون متكلماً فاعلاً يمتلك وعياً وقصداً وقدرة على الفعل، أي ملكة تأليف كلام بليغ فصيح، وهو ما يحصل له بتتبع خواطر تراكيب البلغاء، وعلوم النحو والتصريف ومتن اللغة.

¹ حازم القرطاجني، المنهاج، ص130.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود شاكر، ص51-87.

وبالحسن والذوق، دون أن تكون الأغراض التي قصدها المتكلم وصاغ كلامه لتأديتها بعيدة عن أحوال المخاطبين والمناسبة العامة للقول، فهي ليست قدرة على التعبير عن قصد ذاتي خاص¹. فإذا " أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من ساسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فإنه لا يرضيها شيء..."².

إن التداولية بوصفها علما يدرس اللغة أثناء الاستعمال، تهتم بكل ما يكتنف هذا الاستعمال من جوانب تساعد جميعها على فهم القصد التواصلية، كضرورة الرؤية المباشرة للمتكلم أثناء إحداثه فعل الكلام؛ لأن ذلك -بالتضافر مع عناصر السياق الأخرى- تؤدي بالمتلقي إلى حسن تأويل الخطاب، وبالتالي الوصول إلى المقصود. يقول ابن جني في ضرورة إقبال السامع على المتلقي ومقابلته إياه وجها لوجه وفائدة ذلك وتأثيره على التخاطب وفهم المقصود: "أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر وأراد أن يخاطب به صاحبه وينعم بتصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه، فيقول له يا فلان أين أنت؟ أرني وجهك، أقبل علي أحدثك، أما أنت حاضر هنا؟ فإذا أقبل عليه وأصغى إليه، اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه أو نحو ذلك. فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين، مجزءا عنه لما تكلف القائل ولا كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه". وهو تصور تداولي يجعل من المقابلة والحضور الفعلي الجسدي بين المتخاطبين ورؤية المتكلم للسامع أمرا ذا أثر بالغ في اختيار الأسلوب المناسب الذي يستعين به منتج الخطاب حتى يفهم مقصوده للسامع، إضافة إلى ما تضيفه هذه الرؤية من راحة نفسية للمتكلم والمستمع معا حتى يكملا تواصلهما ويعرفا درجته ومستواه، والطريقة المناسبة فيه... إلخ، ثم يضرب ابن جني مثلا عن ذلك فيقول:

¹ نظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص 60

² الجاحظ، البيان و التبيين، ج1، ص116.

" فليت شعري، إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي اسحاق ويونس وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي، ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين وجوه العرب، فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد إليه من أغراضها، ألا تستفيد بتلك المشاهدة. وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات فتضطر إلى فهم قصود العرب وغوامض ما في أنفسها، حتى إذا حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة" **فقد** أورد مجموعة من الأعلام المشهورين الذين اهتموا بجمع اللغة، فرأى أنهم لو شاهدوا وجوه العرب، لأدركوا أكثر كيف تستعمل كلامها وما تقصد به من أغراض عوض الروايات الطويلة التي يشوبها الزيادة والنقصان وكل ما من شأنه تضليل الخطاب، " فمن اللغة مع ما يصاحبها من إشارات وملاحم تبديها الوجوه يتحقق لنا محصول الحديث" **،** أي فائدة الخطاب ومقصود المتكلم.

4/ المقام و المطابقة مقياسا للبلاغة:

ارتبط مفهوم المقام (أو مقتضى الحال) بمفهوم المطابقة، وارتبطت البلاغة العربية بهما (مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو الاعتبار المناسب)، ويتمام المطابقة أو عدم تمامها تكون منازل البلاغة ومراتبها، ويرتفع شأن الكلام في : " الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له " ¹.

ويتفاوت الكلام في مطابقته مقتضى الحال؛ إذ إنه -كما سبق الذكر- خصوصية زائدة على أصل المراد تتناسب المقام وتتعلق بقصد المتكلم وغرضه في تأديته المعنى على أصله، هذه الخصوصيات أو الاعتبارات تكون كلية عامة ومطلقة تتطابق وكلام

¹ الخطيب القزويني، الإيضاح، مج1، ج1، ص43.

المتكلم جزئياً وبدرجات متفاوتة بحسب سليقة العربي، وبممارسته وتتبعه خواص تراكييب البلاغاء¹.

والمطابقة المقصودة هنا ليست تلك التي تتحقق بالدلالات الوضعية أو دلالات المطابقة حين يطابق اللفظ المعنى الذي وضع له في أصل اللغة، بل المقصود أن يفيد معنى ثانياً زائداً على أصل المراد أو أصل المعنى، وهذه الإفادة لمعنى زائد على أصل الوضع²، هو ما ذكره السكاكي (ت626هـ) في سياق تعريفه علم المعاني، حين قال: "اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكييب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من استحسان وغيره، ليتحرز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، وأعني بتراكييب الكلام التراكييب الصادرة عن له فضل تمييز ومعرفة، وهي تراكييب البلاغاء، لا الصادرة عن سواهم، لنزولها في صناعة البلاغة منزلة أصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق. وأعني بخاصية التركيب: ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب، جارياً مجرى اللازم له، لكونه صادراً عن البليغ، لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو، أو لازماً له هو هو حيناً، و أعني بالفهم، فهم ذي الفطرة السليمة، مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب: إن زيدا منطلقاً إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصوداً به نفي الشك أو ردُّ الإنكار...."³، وهو) علم المعاني) عند المحدثين "قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سبق له، فبه يحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، فنعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير..."

¹ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص68

² ينظر: شكري الطوانسي، المرجع نفسه، ص68

³ السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه: نعيم زرزو، ط1، ص 161-162.

تتعلق المطابقة إذن والبلاغة عموماً بالمعنى المراد من الكلام، أي الغرض الذي يقصده المتكلم البليغ، فيورد في كلامه خصائص مناسبة يقتضيها المقام تؤدي المعنى المراد، وهو ما ينص عليه السكاكي في تعريفه البلاغة بأنها: " بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها..."¹.

كما أن بلاغة المتكلم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بشرط إدراك القصد المراد توصيله، إلى جانب حسن التأليف وسلامة الأداء ومطابقة المقال للمقام، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة".² ومنه يكون مرجع المطابقة في البلاغة العربية - عند السكاكي - هو الاحتراز من الوقوع في الخطأ أثناء تأدية المتكلم المعنى المقصود، والعلم الذي يتكفل بهذا الاحتراز هو علم المعاني - كما أكد ذلك وأكدته من بعده القزويني - ف " علم المعاني " : " تتبع خواص تراكيب الكلام.... ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره..."².

يؤكد البلاغيون القدامى إذن على أن الاحتراز من الخطأ في تأدية المعنى المراد هو ذاته احتراز من الخطأ في مطابقة الكلام مقتضى الحال، وانفقوا على أن علم المعاني - دون علوم البلاغة الأخرى - كما يقول ابن يعقوب المغربي (ت 1128)³ ".... أحسن بالمطابقة من غيره"⁴.

¹ السكاكي، المصدر نفسه، ص 415.

² السكاكي، المصدر السابق، ص 415.

³ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص 69

⁴ أبو يعقوب المغربي، مواهب المفتاح، مج 1، ص 138.

وقد عرف القزويني علم المعاني بأنه: "علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال؛ من شأنه هو أن يؤدي إلى رعاية المطابقة، والاحتراز عن الخطأ فيها، أو في تأدية المعنى المراد، على أن علم البيان الذي هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"¹.

والملاحظ هنا أن هذا التعريف لا ينسى الدور الذي يضطلع به علم البيان من أمر المطابقة؛ إذ مهمته إيراد المعنى على وجه مقبول، خال من التعقيد المعنوي، مناسب للمقام، ليصبح الاحتراز من التعقيد المعنوي أو وضوح الدلالة وتمامها مما تتطلبه المطابقة في تأدية المعنى المراد². ويصرح السكاكي بذلك في تعريفه البيان: ".... وأما علم البيان: فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، و بالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"³

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأمر يختلف عند محمد عابد الجابري حين ناقش تعريف علم البيان عند السكاكي، فعلى الرغم من تداخل مسائل العلمين عنده، إلا أن علم البيان يهتم بمطابقة الكلام لمراد المتكلم، أي بقوانين تفسير الخطاب، والكشف عن الموقف الداخلي للمتكلم ومقصدها، بينما يهتم علم المعاني بمدى مطابقة الكلام لمناسبة ومقام القول، أي شروط إنتاج الخطاب، وحال السامع حين تلقيه الخطاب⁴. يمكن القول إذن إن مرجعاً البلاغة (علم المعاني وعلم البيان) حسب رأي السكاكي يتضافران لتحقيق توفية مقامات الكلام حقها وفق ما يفى به غرض المتكلم وذكاؤه ومعرفته خواص تراكيب الكلام وصياغات المعاني.

¹ الخطيب القزويني، الإيضاح، ج 2، ص 4-5.

² ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص 69

³ السكاكي، مفتاح العلوم، 162.

⁴ ينظر: محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، ص 97 -

ومما سبق نلاحظ أن معالجة البلاغة العربية لقضايا المقام، ومطابقة الكلام مقتضى الحال، كانت مقرونة دائماً بمراعاة قصد المتكلم وتوجيه اختيار التعبير المناسب للكشف عن المقصود في المقام المناسب، مع التأكيد على فاعلية المخاطب (السامع/المتلقى) في عملية التخاطب، ففهمه وتأويله الخطاب عن طريق العمليات الذهنية والاستنتاجات التي يقوم بها، كل ذلك بغية الوصول إلى قصد المتكلم الذي يشكل مركز الاهتمام، وجوهر التخاطب بالنسبة إليه. وهذه النظرة موافقة لما تراه التداوليات الحديثة من حيث اهتمامها بالمتكلم بصفته منتج اللغة التي تدرسها أثناء الاستعمال، وباعتباره موجهاً للخطاب حسب الأغراض التي يؤمها والمقاصد التي يتوخاها في سياق معين ومقام معلوم.

5/ المطابقة ووظيفة اللغة في الفكر العربي:

المطابقة هي تأدية المعنى المقصود، وهي لا تتأتى بالمعنى الموضوع في أصل اللغة بل تتعداه إلى عوامل خارج لسانية من مقاصد وأغراض ومقامات تشير إليها خواص يستدل بها عليها، وهذا يعني أن المعنى المقصود لا ينشئه التركيب، بل له وجود خارج التركيب في النفس أو الذهن أو العالم، ويقوم التركيب واللغة عموماً بتبينه وإظهاره وتوضيحه، أي تأكيد إثباته¹.

إن المعاني كما يقول حازم القرطاجني (ت684هـ) : " هي الصورة الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن، فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك له، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم. فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ، فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ من لم يتهيأ له سماعها من

¹ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص70.

الملتفظ بها، صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيئات الألفاظ، فتقوم بها في الأذهان صور المعاني، فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليها"¹.

ومعنى ذلك أن اللغة تمثل المعاني و تمنحها وجودا آخر يطابق وجودها السابق الكامن في الأذهان، دون أن يكون لها فضل إنتاجه أو التأثير أو التغيير فيه، حتى في صورتها المجازية التي يحدث فيها نقل من مستوى إلى مستوى آخر من الدلالة ، فما يحدث في المجاز يمسُّ درجة إثبات المعنى دون المعنى ذاته، وهو ما يقصده البلاغيون في علم "البيان" من وحدة المعنى مع تغاير التراكيب (التعبير عن المعنى الواحد بطرائق مختلفة)²، فالنقل أو التجوز ليس "... في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم إليها، ولكنها في طريق إثباته لها وتقريره إياها..."³.

إن المعاني (الأشياء أو الحقائق و التصورات...) ذات وجود قبلي، سابق عن اللغة و عن المعرفة بها ، تكتفي بذاتها ولا تحتاج إلى اللغة إلا بصفتها وسيطا للكشف عنها وإبانتها؛ مما يجعلها (أي اللغة)⁴، " خدم المعاني، و المصرفة في حكمها..."⁵، فحوالج النفس المتكلمة (المعاني القائمة في النفس) توجه الخطاب بحسب مقتضيات الحال حتى تصل إلى غايتها وإلى تحقيق الفائدة المرجوة من الخطاب، فتترتب الكلمات في النطق بحسب ما هي مرتبة في النفس بالمعنى " فإذا **وجب أن يكون أولا في النفس وجب اللفظ الدال عليه أن يكون أولا في النطق**".⁶ و منه تكون الوظيفة الأساس للغة هي مطابقة ما هو موجود ومتصور وقائم، والتلاؤم معه ومحاكاته ليتجلى ويظهر ويُستوعب ويُفهم ويُبلَّغ، " ومن ثم كانت قدرة

¹ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، ص18، 19.

² ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص70.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص71.

⁴ ينظر: شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص70.

⁵ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 08.

البناء اللغوي على قدر أدائه المعنى والإحاطة بجوانبه،..... قدرته على وضع المتلقي في حضرة المعنى المراد والغرض المقصود عن هذا تصدرت الإبانة والفهم سلم الوظائف التي تؤديها اللغة في مختلف المخاطبات والنصوص..... ، فالإبانة والإفهام سعي مستويات اللغة كلها، وأما مختلف الوظائف الأخرى - كالوظيفة الأدبية مثلا - فوظائف مساعدة، دورها تدعيم الوظيفة الرئيسية، والاجتهاد لجعلها أكثر تمكنا في الدلالة على الغرض ، وأشد تأثيرا في المتلقي"¹.

مثل هذا التصور يجعل من اللغة إخبارا عن المعنى وربطاً للفظ بالمعنى، ومطابقة الأول للثاني بمقتضى أصول ومبادئ في مقدمتها مبدأ الوضع أو المواضعة convention، الذي يحتكم إليه العقل العربي في كثير من فروع المعرفة العربية الإسلامية والذي يمارس سلطة على الذات العارفة قبل أن تمارس أي نشاط، فكل ظاهرة لها معنى ووجود مسبق منتظم في تصور محدد، ثم تعرفه على الذات وتمثله لنفسها وتعي حقيقته وماهيته كما تتبدى للعقل وفق نظام العالم ومنه.

إن حقيقة الشيء تكون في تطابقه مع ذاته، تطابقه مع مرجعه وتصوره القائم عنه في العالم الخارجي²، " تجسيدا لمبدأ التطابق و التوافق الكلي.... بين التصور و الشيء ..."³،

و الشيء له في الوجود أربعة مراتب: " الأولى حقيقته في نفسه ، الثانية ثبوت مثال حقيقته في الذهن ، وهو الذي يعبر عنه بالعلم، و الثالثة تأليف مثاله بصوت وحروف تدل عليه، وهو العبارة الدالة على المثال الذي في النفس ، الرابعة تأليف رقوم تدرك بحاسة البصر دالة على اللفظ وهو الكتابة، فالكتابة تُبع للفظ إذ تدل عليه، واللفظ تبع للعلم إذ يدل عليه، والعلم تبع للمعلوم إذ يطابقه ويوافقه، وهذه

¹حمادي صمود، في نظرية الأدب عند العرب، ص 41-42.

² ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص71.

³ عبد العزيز بو مسهولي، أسس ميتا فيزيقا البلاغة، تقويض البلاغة، ص107.

الأربعة متطابقة متوازية، غير أن الأولين وجودان حقيقيان لا يختلفان
والآخرين وهما اللفظ والكتابة، يختلفان... لأنهما موضوعان بالاختيار، ولكن
الأوضاع وإن اختلفت صورها، فهي متفقة في أنها قصد بها مطابقة الحقيقة¹،
ومنه فحقيقة وجود الشيء أنه سلسلة من المطابقات " الكتابة مطابقة للفظ، المطابق
للعلم، المطابق للحقيقة"².

وفي ظل هذا التصور يكون المعنى هو التصورات القائمة في النص أو النفس
والعالم الخارجي أو الوجود العيني للأشياء أو الواقع، وتكون اللغة مطابقة ومحاكاة
لها وإحالة إليها ونيابة عنها - وإذا كان قد اختلف في أسبقية الشيء عن التصور أو
التصور عن الشيء بين المفكرين العرب، وتلك قضية أخرى³، لكن الكثير منهم يقر
بأن " المعنى اسم للصورة الذهنية لا للموجودات الخارجية، لأن المعنى عبارة عن
الشيء الذي عناه العاني، وقصده القاصد... وذلك بالذات هو الأمور الذهنية، و
بالعرض الأشياء الخارجية..."⁴.

لكن المؤكد أن اللغة في كل ذلك لا تخلق المعاني، بل هي موضوعة لتناسبها
وتتسجم معها خضوعاً لمنطق الوضع و العقل، فالمواضعة هي: " الضامن للمعرفة
والعلم، الضامن للدلالة و المعنى؛ إذ لا فائدة للكلام من غير مواضعة متقدمة
يرتب عليها المتكلم كلامه حتى يستدل على معناه أو مراده"⁵، إنما تدفع الكلام نحو
المعنى المراد " بما يقتضي صرف الخطاب إلى المراد رأساً وليس الكلام
سوى مقول محيل على متصور يرجع بدوره إلى واقع"⁶، فاللغة لاتصوغ تصوراتنا

¹ الغزالي، المستصغى من علوم الأصول، تح حمزة بن زهير حافظ، ج1، ص 21-65-66.

² الغزالي، المصدر السابق، ص 67.

³ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص72.

⁴ الفخر الرازي، التفسير الكبيرمفاتيح الغيب، ج1، ص20 (م39 في المعنى).

⁵ القاضي عبد الجبار، المغني، ج7، ص 182-184.

⁶ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 141.

ومدركاتنا، بل هي ناقل لها تبين عنها بواسطة مستعملها (المتكلم) في إطار ما تواضع عليه مع جماعته اللغوية بطريقة تضمن معرفة مراده ومقصده، فتكشفه وتبلغه ، وإن كانت هذه النظرة وهذا التضييق على اللغة يسلبها دورها الفاعل في صياغة إدراكاتنا و تصوراتنا كما يقرّ الدرس اللساني المعاصر.¹

وهكذا يبقى أمر المطابقة التامة بين اللفظ والمعنى طموحا يصعب إدراكه ويحصره في تحقيق الإفادة فقط، أما ما يتجاوز الإفادة إلى المقاصد والأحكام والمقتضيات والتصورات، فلن يكون كما أراد له البلاغيون والنقاد العرب، وإن اللغة بقدر ما هي كشف عن المعنى واستدلال عليه هي تمثيل له، وبناء لصورته، إنها تمنحه وجودا مختلفا عن سابقه، وجودا جديدا يصعب القول فيه بانفصال اللغة عن المعنى أو أسبقية أحدهما على الآخر ، إنها تبني تصوراتنا وتبني الوجود خارجها؛ لأنها أدواته، ولا مفر من ترابط اللغة والمعنى / الفكر. ولا سبيل إلى إلغاء هذه الثنائية التي لا يزال الخلاف قائما حولها ضمن نظرية المعرفة.²

6/ المطابقة و مرجعياتها في الفكر البلاغي العربي:

نشأت البلاغة العربية في ظل انشغالها بالمعنى ومحاولة إيجاد مقاربات كثيرة له، وبدا أمر المطابقة طموحا متعاليا خاصة إذا كان المعنى المقصود لا يفهم من اللفظ بالوضع، بل يستفاد من المقام، إنه الأغراض والمقاصد والأحوال المتعلقة بما هو حاصل في الذهن ومطابق للأشياء ونظامها في الواقع أو العقل، أي لما هو خارجي عنه. وتكون اللغة في ظل هذا التصور - أو بلاغة الكلام . هي القدرة على المطابقة لتأدية المراد أو القصد أو الغرض في تعلقه بنمط عام متعال، وهذا ما أدى إلى تقييد دور البليغ وتضييقه في إنشاء المعاني واختراعها³ وتحوله إلى " فاعلية تابعة

¹ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص74.

² ينظر: شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص74.

³ ينظر: شكري الطوانسي، المرجع نفسه، ص74.

لمقتضى الحال الخارجي المفروض عليه، وتحول إنتاجه (بلاغته) إلى استجابة شرطية لما أطلق عليها مصطلح مقتضى الحال " أو ظاهر الحال " أو حتى الحال¹.

كما ارتبطت البلاغة في أصلها اللغوي عند كثير من البلاغيين بمفهوم الوصول والبلوغ و الانتماء إلى قمة الشيء بطريقة وكيفية مخصوصة، وتصرف في المعاني القائمة والمتصورة والموجودة؛ ولذلك أطلق عليها هذا الاسم - كما يقول أبو هلال العسكري ".... سميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه.... والبلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه من نفسه، كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"²، أو هي " ... بلوغ المعنى.... التقرب من البغية... إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"³، أو " الوصول إلى المعاني البديعية بالألفاظ الحسنة.... وصول الإنسان بعباراته كنه ما في قلبه..."⁴.

إن تصرف المتكلم في المعاني، وإن كان محكوما بالمطابقة، فهو إنشاء من نوع خاص يحيل أغراضا ومقاصد خاصة تمثلها الذات لنفسها من الوجود الخارجي وبما ليس له وجود، فتصوغ تصوراتها باللغة، وإنشاء المعاني بمقتضى أحكام النحو وأصوله⁵. وقد تكلم عنه عبد القاهر الجرجاني في قوله: " إن الخبر وجميع معاني الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه ويراجع

¹ جابر عصفور، بلاغة المقومعين ، ألف- مجلة البلاغة المقارنة، ص 08.

² أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة و الشعر، تح محمد اليحياوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، ص 12-16.

³ ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر و أدابهنوقده، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، ص 246.

⁴ العلوي، الطراز، 60.

⁵ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص75.

فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض... وإذا قد ثبت ذلك فاعلم أن الفائدة في العلم بها واقعة من المنشئ لها وصادرة عن القاصد إليها....¹ .

إن الأمر ليس مجرد كشف للمعنى وإثبات له (كما في المعنى الوضعي)، بل هو انتقال إلى معنى جديد وبناء لعلاقة جديدة بين المدلولات أو المعاني الوضعية للألفاظ، هو ما يعني أن تغيير النظم يتبعه تغيير في المعنى، ومن هنا كان حديث **عبدالقاهر** عن المقاصد والأغراض بوصفها إنشاءً، وتصريفًا، ومراجعةً، ومناجاةً داخل النفس والمعنى كعلاقة بين ذات قاصدة للشيء أو المفهوم وبين اللفظ و اللغة. إن معاني الكلام - كما يرى **عبدالقاهر** - هي من إنجاز المتكلم الذي يقيم علاقات جديدة بين الدلائل اللغوية وليست معطى للوضع أو العقل أو الواقع " إن المعاني - على مستوى الكلام - مختلفة من حيث هي فعالية نفسية للمنشئ يتمكن فيها من إنشاء وتكوين علاقاته ، ومن ثم إضافة جديد عن اللفظ الذي يحيل على الشيء أو على صورته التي لا تختلف عنه، و التي هي صورة، أي تعني بالضرورة وجوده بما أنها صورته "² .

وهو الأمر ذاته الذي يقره **حازم القرطاجني** مع أن الكلام يحصل بطرائق مختلفة من التأليف (إسناد، وترتيب)، ولمعان ليس لها وجود خارج ومستقل عن الذهن أو عن تصور المنشئ، وقصده و تصرفه في اللغة³. يقول **حازم القرطاجني** : "وإذ عرفنا كيفية التصرف في المعاني التي لها وجود خارج الذهن والتي جعلت بالفرض بمنزلة ماله وجود خارج الذهن.

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 543-545.

² عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص 265.

³ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص76.

فيجب أيضا أن يشار إلى المعاني التي ليس لها وجود خارج الذهن أصلا، وإنما هي أمور ذهنية محصولها صور تقع في الكلام بتنوع طرق التأليف في المعاني والألفاظ، الدالة عليها والتقاذف بها إلى جهات من الترتيب والإسناد....¹.

إن فعالية الذات القاصدة ودورها في عملية إنشاء المعنى وبنائه وإنتاجه تظل مقيدة بالوضع اللغوي و بنمط مثالي من القول و التراكيب (تراكيب البلغاء) . أو نمط افتراضي (مقتضى الحال)، مما يشكل سلطة مرجعية للذات المتكلمة وللکلام، مما يمنع ابتكار لغة جديدة، أو طريقة جديدة في القول على الرغم من أن اللغة تمنح الشيء أو المفهوم وجودا جديدا مختلفا بمجرد الإخبار عنه، كما أوضح ذلك عبد القاهر الجرجاني وأقره الفكر اللساني المعاصر . هذا الإخبار الذي يجمع علماء العربية - بلاغيون و أصوليون ومتكلمون - بأنه يكون عن معلوم أو منقول أو مدرك أو متصور، يصبح مرجعية يرتد إليها، هذا الأصل المعلوم الذي تتعلق بلاغة الكلام به، وبإمكانات مخصوصة عند تأدية المعاني والأغراض والمقاصد المرادة.²

7/ المطابقة وقصدية المتكلم:

تميل الذات المتكلمة إلى إبراز نفسها بصفاتها منتج القول والفاعل فيه من خلال مجموعة من القرائن اللسانية وغير اللسانية، غير أنها تواجه قيودا تتعلق باللغة وشكل الخطاب تكون حاجزا بينها وبين نواياها، وتربطها بمجموعات (موجودات أو أفكار أو تصورات...) تنعكس وتحصر في وعيها، فتتجاوز نفسها، وتغدو نتاجا وأثرا للغة في الوقت الذي يكون فيه الخطاب إنجازا لغويا نتيجة ذات واعية مؤهلة وقادرة

¹ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص15.

² ينظر: شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص76.

و ينظر: القاضي عبد الجبار، المغنى، ج5، ص 172.

على تشييد عالم له استقلاليته وخصوصيته، وليس انعكاساً لقصد محدد أو وضعية مادية ملموسة¹.

والذات لا تقصى بذلك أو تغيب عن الخطاب، وإنما يكون لها وجود جديد مغاير لواقعها النفسي والاجتماعي بفعل الكلام أو الكتابة، فالخطاب يخبر عن العالم ويحيل إليه عن طريق القصدية، بوصفها علاقة تربط الذات بالعالم و تتضمن حالات عقلية كثيرة (الخوف و الاعتقاد، والقصد، والأمل ، والحب،...)، ومنه فإن ما يحمله الخطاب من قصد أو معنى يعكس تجربة الذات مع العالم داخل الخطاب، فيكون القصد إذن فعلاً خطابياً لذات تمارس وعيها بذاتها وبما حولها من خلال تلفظاتها، وطريقتها الخاصة في بناء الخطاب².

وعلى الرغم من ذلك لا يمكن البحث عن نوايا المؤلف ومقاصده انطلاقاً من الخطاب وما يطرحه من معنى أو قصد، وقد يتداخلان أو يتطابقان في حالة الكلام الشفوي بالحضور المباشر للمتكلم داخل سياق التخاطب، فتحيل الإشارات (ضمائر، وظروف، وأسماء وإشارة...) بصورة مباشرة إلى عناصره وأهدافه ومقاصده، ويكون معنى الملفوظ وثيقاً بقصد المتكلم، أما في حالة الخطاب المكتوب، فيتباعدان، حيث يكون الخطاب في استقلال دلالي تام عما يعنيه المؤلف ويقصد إليه.

فالقصد هو معنى الملفوظ كما يظهر في الخطاب، لا كما هو كامن في عقل المتكلم مؤلف الخطاب³. إن القصد - كما يقول هيرش : " مصطلح لساني، أي إنه المعنى اللفظي القابل للمشاركة أساساً، وليس مصطلحاً سيكولوجياً، أي المعنى

¹ ينظر: شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص76.

² ينظر صلاح إسماعيل، نظرية جون سيرل في القصدية دراسة في فلسفة العقل، ص 54.

³ ينظر: شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص78

الخاص الموجود في ذهن المؤلف... وعند تفسير المعنى اللفظي والتحقق منه لا يؤخذ بالحسبان سوى الذات المتكلمة... تعد هذه الذات دالة للنص¹.

إن للمؤلف دون شك - قصدا يعكس تجربته مع العالم ومع الآخرين، ولكن يبقى هذا القصد غير متاح - ولا يمكن الاعتداد به كمعيار للحكم على قيمة العمل الأدبي. إن قصد المؤلف بعدد من أبعاد الخطاب والخطاب استدلال من المتكلم على قصده على نحو يصبح فيه مبادرة قصدية يعلن عن الذات ويؤكد وجودها، لتصبح العلاقة تلازميه² " بين المقاصد من جهة، وبين معاني المنطوقات وشكل إخراجها من جهة أخرى..."³، على الرغم من عجز اللغة عن النقل الصادق التام لمقاصد المؤلف القبلية التي تمثل هدف أو دافع الكتابة.

8/ قصد المتكلم بين الإحالة و الإنشاء:

تتعلق المطابقة أو البلاغة عموما بمقصود المتكلم ومعانيه التي يصوغ لأجل تأديتها كلاما وفق خصوصيات مطابقته لمقتضى الحال، فيكون اتجاه المطابقة حينئذ من الكلام إلى العقل (المعاني والأغراض)، فالعالم أو الواقع ليضاهيها.... متى يعني أن المطابقة غير منفصلة عن قصدية المتكلم في اتجاهه نحو المتكلم أو تعلقه به و تمثيله.

ترتبط مقاصد المتكلم بكلامه من حيث هو إقامة نسبة أو علاقة بين طرفين أو شيئين، كعلاقة النفي والإثبات . مثلا . التي تقع بين شيئين بالجملة دون المفرد، وتحصل بها فائدة أو معنى من صنع المتكلم، وتعبيران عن حكمه أو اعتقاده⁴. يقول

¹ ديفيد كوزنزهوي، الصحة وقصد المؤلف (نقد هرمينيو طبقا هيرش)، خالدة حامد، مجلة نوافد، (النادي الأدبي الثقافي، جدة، ع27 مارس 2014) ص127-128-133.

² ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص78.

³ إلهام ابو غزالة وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراندي وولفجانج دريسلر، ص158.

⁴ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص79.

عبدالقاهر عن هذه النسبة إن " ... معاني الكلام كلها معان لا تتصور إلا فيما بين شيئين ، و الأصل/ والأول هو "الخبر" وإذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه، عرفته في الجميع، ومن الثابت في العقول والقائم في النفوس أنه لا يكون خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه، لأنه ينقسم إلى إثبات ونفي، والإثبات يقتضي مثبتا و مثبتا له، والنفي يقتضي منفيًا ومنفيًا عنه. ولما كان الأمر كذلك أوجب ذلك أن لا يعقل إلا من مجموع جملة فعل واسم، كقولنا "خرج زيد"، أو اسم واسم كقولنا : "زيد منطلق" وهو حكم يجرى عليه الأمر في كل لسان ولغة.... وكما لا يتصور أن يكون... خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه، كذلك لا يتصور أن يكون خبر حتى يكون له مخبر يصدر عنه ويحصل من جهته، ويكون له نسبة إليه، وتعود التبعة فيه عليه، فيكون هو الموصوف بالصدق إن كان صدقا، وبالكذب إن كان كذبا"¹.

وبالتالي فعلاقة النفي أو الإثبات وما يلحق بها من حكم (صدق أو كذب، أوصحة أو فساد).... تعود إلى المتكلم وتشكل وصفا لكلامه لا للغة ذاتها. " فاللغة لم تأت لتحكم بحكم، أو لتثبت وتنفي وتنقص وتبرم، فالحكم بأن الضرب فعل لزيد، أو ليس بفعل له، وأن المرض صفة له أو ليس بصفة له ، شيء يصنعه المتكلم ، ودعوى يدعيها، وما يعترض على هذه الدعوة من تصديق أو تكذيب واعتراف أو إنكار، وتصحيح أو إفساد، فهو اعتراض على المتكلم ، وليس اللغة من ذلك بسبيل، ولا منه في قليل ولا كثير. وإذا كان كذلك كان كل وصف يستحقه هذا الحكم من صحة وفساد وحقيقة ومجاز، واحتمال واستحالة، فالمرجع فيه والوجه إلى العقل المحض، وليس للغة فيه حظ..."².

¹ عبد القاهر جرجاني، دلائل الإعجاز، ص526-527-528.

² عبد القاهر جرجاني، أسرار البلاغة، ص 345.

إن ما يمنح الكلام معناه ليس ما يصل إليه من مسند ومسند إليه (مخبره ومخبر عنه) ، بل ما ينشئه المتكلم من علاقة إثبات أو نفي بعقله لا بلغته¹، فالخبر "... في نفسه معنى هو غير المخبر به والمخبر عنه..."² ، هذا المعنى (الخبر) الذي يمثل حكم المتكلم و اعتقاده هو ما يقع فيه تفاضل الأقوال وتفاوت قيمتها من حيث الحسن و المزية اللذان يكونان في "... إثبات ما يراد أن يوصف به المذكور و الإخبار عنه..."³، لأن ذلك يعكس كفاءة المتكلم في بناء تصوراته وأحكامه وترتيب مقاصده ومعانيه التي يشكلها العقل بعد نظر وإعمال فكر، وفق استخدام خاص للغة، يظهرها ويبينها.

إن الفعل الكلامي الذي ينشئه المتكلم وتحصل فيه المزية أو الفعل القولّي (التعبيري) - كما يسميه أوستن *j. austin* - يوفر القول معنى، لكنه لا يكفي لإدراك مراد المتكلم الذي له مقاصد من القول تكون متضمنة فيه أو مترتبة عنه ويكشف عنها المقام . معنى هذا أن المتكلم يتجاوز بقوله فعل الإحالة إلى واقع ما. ويأخذ القول قيمته أو قوته (قوة فعل الكلام أو الفعل الغرضي)، بما يؤديه من أفعال: نفي، وإخبار، أو تأكيد، أو وصف،...) التي لا تتفصل عن المحتوى القضوي وتشكل جزءا منه،⁴ حيث " إن الغرض المتضمن في القول لقوة ما يوجد دائما نسبة بين المحتوى القضوي لتلك القوة ...والعالم"⁵، إلى جانب ما يؤديه القول من تأثير في المخاطب يكون حصيلة الدلالة، أو يكون من خارج العبارة كقرائن الأحوال وقدرات المخاطب.

¹ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص 79.

² عبد القاهر جرجاني، دلائل الإعجاز، ص 537.

³ عبد القاهر جرجاني، المصدر نفسه، ص 538.

⁴ ينظر، صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 239، 183.

⁵ طالب هاشم طيطباني، نظرية الأفعال الكلامية، مجلة الفكر العربي، مركز الإنماء القومي، بيروت، باريس،

إن إنجاز فعل القول يعد التزاماً من ناحية المتكلم يتعلق بالواقع من جهة ، وبالمخاطب من جهة أخرى، ويستند إلى اعتبارات كالقصد والأعراف والمقام، وهو ما يجعل الحكم المتعلق بالقول (صدقه أو كذبه)، في مطابقته للواقع أو لاعتقاد المتكلم غير المنفصل عن مناسبته للمقام أو حال المخاطب أو عدم مناسبته، ومنه يكون القول خلقاً لوضع اتصالي مخصوص وإنشاء لعالم أو واقع مختلف، وليس مجرد إحالة إلى واقع خارجي¹.

9/ المتكلم بين مطابقة الواقع ومطابقة الاعتقاد:

يرتد القول إلى المتكلم في قيمته وقوته، صدقه أو كذبه، ملاءمته أو عدم ملاءمته، وأي اعتراض عليه من اعتراف أو إنكار أو تصحيح أو فساد... هو اعتراض على المتكلم، فقصد المتكلم إلى المطابقة أو عدمها - أو إيجادها أو إنشائها - مع الواقع الخارجي (بما فيه المخاطب) أو مع اعتقاده هو الذي يضي على القول صدقه أو كذبه².

التفت عدد من البلاغيين إلى قصد المتكلم ودوره في التمييز بين الخبر والإنشاء ، فالإثبات أو الإسناد يحصل بقصده ووفق اعتقاده صواباً أو خطأً، واتخذوه معياراً للتعامل مع إشكالية الصدق والكذب في الدرس البلاغي، وهي نقطة الخلاف التي تعمقت أكثر بعد مساهمات اللغويين والمناطقية والأصوليين.

" فقال الأكثر منهم: صدقه (أي صدق الخبر) مطابقة حكمه للواقع، هذا هو المشهور وعليه التعويل - وقال بعض الناس " صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صواباً كان أو خطأً - وكذبه عدم مطابقة حكمه له"³. ووفقاً للرأي الأول، يكون الخبر صادقاً إذا كانت نسبته التي يقيّمها بين المسند والمسند إليه ثبوتاً أو

¹ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص 80.

² ينظر: شكري الطوانسي، المرجع نفسه ص 81.

³ الخطيب القزويني، الإيضاح، مج 1، ج 1، ص 59-60.

نفيا مطابقة للنسبة الخارجية (أي الحاصلة في الخارج)، أو غير مطابقة لها، ووفقا للرأي الثاني، يكون الخبر صادقا إذا طابق اعتقاد المتكلم، وكذبا إذا خالف اعتقاده، فلا يقال عن من كان اعتقاده مخالفا للواقع إنه كاذب، بل مخطئ أو واهم، كما قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها) (ماكذب، ولكنه وهم)، إلا من تعمد الكذب كقول الكافر: إن الإسلام باطل؟ فهنا صدقه محال¹.

و الأمر يختلف عند الجاحظ (ت 255 هـ) الذي أدمج المعيارين معا، فلم ير أمر المطابقة بين الواقع والاعتقاد متقابلين أو متعارضين بقدر ما هما متداخلين مع قليل من التأويل حتى يستجيب القول للمعيار²، يقول الجاحظ: "إن الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه، وإما غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه، فالأول - أي المطابق مع الاعتقاد - هو الصادق، والثالث - أي غير المطابق مع الاعتقاد (أي الاعتقاد بأنه غير مطابق) - هو الكاذب، والثاني والرابع، أي المطابق مع عدم الاعتقاد وغير المطابق مع عدم الاعتقاد (كل منها ليس بصادق ولا كاذب)، فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده، والكذب عدم مطابقته مع اعتقاده، وغيرهما ضربان: مطابقته مع عدم اعتقاده، وعدم مطابقته مع عدم اعتقاده..."³. وفي هذا النص يورد الجاحظ مرتبة وسطى بين الصدق والكذب، هي مرتبة "القول المحايد" الذي إن طابق الواقع أو لم يطابقه مع عدم الاعتقاد أو انتقائه، لا يقال عنه صادق أو كاذب، وهي حالة الشاك الذي لا معتقد له كما أشار إليها إبراهيم النظام المعتزلي (ت 231 هـ)⁴.

¹ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص 81

² ينظر: شكري الطوانسي، المرجع نفسه، ص 81.

³ الخطيب القزويني، الإيضاح، مج 1، ج 1، ص 61-62.

⁴ ينظر: شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص 82.

ويبدو أن هذا المعيار الذي اختاره جمهور العلماء - ربما لأجل أن يكون مرجعية عامة ومشاركة للقول بين الجميع - كانوا فيه أكثر ارتباطاً باللغة التداولية أو الكلام الأدبي ، حيث إنها لا تتم من دون قصد المتكلم إلى المطابقة أو عدمها، أي رغبة المتكلم مطابقة الخبر للواقع أو الإيهام بها أو عدم مطابقتها، ومدى قبول المخاطب لهذه القدرة التي يضطلع بها المتكلم، أي قدرته على وصف الواقع أو مطابقتها لخبره أو مخالفته والتغيير فيه، أو أن يوجد معنى أو نسبة خارجية لكلامه الإنشائي.

يتعلق الأمر إذن بقبول أو رفض لقصديّة المتكلم وعلاقته بالواقع، علاقة يجسدها كلامه المتنوع بين الخبر والإنشاء: وصفه، وتغييره، وخلقه، وتشكيله ، ومخالفته، أو الخروج عليه¹ ف : " ... الكلام الذي يحسن السكوت عليه لا محالة يتضمن نسبة المسند إلى المسند إليه، فإن كان القصد منه الدلالة على أن تلك النسبة المفهومة من الكلام حصلت في الواقع ووقعت في الخارج بين معنى المسند و المسند إليه، فذلك الكلام خبر. وإن كان القصد الدلالة على أن اللفظ وجدت به تلك النسبة، فالكلام إنشاء"².

يوجد المتكلم نسبة جديدة وواقعا بديلا إذا قصد عدم مطابقة الخبر للواقع، كما في الإنشاء الذي يحدث فيه المتكلم نسبة هي صورة الكلام، مما يساهم في ضعف التمييز بين الخبر والإنشاء، و من ناحية احتمال الصدق والكذب ومن ناحية إيجاد النسبة أو المعنى باللفظ / الكلام التي كانت مقصورة على الإنشاء، بينما يكفي الخبر بوصف النسبة / المعنى / الواقع وتصويره فقط.

يجسد القول علاقة المتكلم بالواقع واتجاهه إليه كما يتمثله ويقصد إليه. و تسهم جميع الأقوال المتلفظ بها في مقامات مخصوصة بعد تأويلها إلى بناء تمثل المتكلم

¹ ينظر: شكري الطوانسي، المرجع نفسه، ص 82.

² ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتح، مج 1، ص 142.

للواقع، هذا التمثل الذي لا يرتبط بصدق الأقوال ومطابقتها للواقع، بل يرتبط بتصورنا وتمثلنا وتأويلنا للعالم وفق مقاصد تختلف باختلاف المقام.

أما مطابقة وصدق المعاني في المقامات الواقعية، فتختلف عنها في المقامات التخيلية. فالمعاني العقلية، كما يسميها **عبد القاهر الجرجاني**، لا جدال فيها تجري في الكلام بأنواعه (خطابة وشعر وكتابة) مجرى الأدلة والأصول، وتقبل الحكم بالصدق والمطابقة، بينما المعاني التخيلية لا تقبل؛ ذلك لأنها تثبتت أصلا غير موجود ولا دليل عليه ولا يمكن التحقق منه أو تحصيله¹. يقول **الجرجاني** : " ...التخييل ما يثبت فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا ، و تدعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولاً يخدع فيه نفسه، ويربها ما لا ترى"².

ويسلم المخاطب بهذا التخييل الذي يأتي به الشاعر دون بينة عقلية أو منطقية، ولا يطلب منه دليلا على ما ادعاه، ليصير هذا الادعاء أو التخييل نوعا من الكذب، ليس بسبب عدم مطابقته للواقع، أو مناقضته للعقل والمنطق، بل بسبب إتيانه بغير المؤلف والمعهود، فأعذب الشعر أكذبه، حيث يقول **الجرجاني** "... يعتمد الاتساع والتخييل، ويدعى الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل، حيث يقصد التلطف والتأويل، و يذهب بالقول مذهب المبالغة والإغراق في المدح والذم والوصف و النعت، والفخر والمباهاة وسائر المقاصد الأخرى والأغراض، وهناك يجد الشاعر سبيلا إلى أن يبده ويزيد، ويبدى في اختراع الصور ويعيد..."³، وبحسب قدرة

¹ ينظر ، محمد غاليم، النظرية اللسانية و الدلالة العربية المقارنة، مبادئ و تحليل جديدة، ص 46.

. و ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص 83.

² عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص253.

³ عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه ، ص251/225.

الشاعر وصنعتة تزداد قدرة التخيل على الإيهام بالصدق حتى يظن أنه حق. يقول

الصولي: ¹

الرَّيْحُ تَحْسُدُنِي عَلَيَّ وَلَمْ أَخْلُهَا مِنَ الْعِدَا
لَمَّا هَمَمْتُ بِقُبْلَةٍ رَدَّتْ عَلَيَّ الْوَجْهِ الرَّدَا

فقد ادعى أن الريح فعلت ذلك لحسد بها وغيره منها، فحالت بينه وبين وجه محبوبته، في حين أن هذه الصفة ثابتة في الريح عن طريق العقل والعادات والطباع حاصلة في حقيقتها إذا كان اتجاهها نحو الوجه.

ويمكن للتخيل أن يكون كذبا وصدقا معا، فقد لا يسلك طريق الإيهام فيلزم الصدق باعتماده ما هو ثابت في العقل والواقع والطباع ، ويتجنب الإغراق والمبالغة والتجوز، ويكون بذلك من أصدق الأقوال والأشعار وأنفعها وأخيرها²، وكما يقول الجرجاني: " ... إن خير الشعر ما دل على حكمة يقبلها العقل، وأدب يجب به الفضل، وموعظة تروض جماع الهوى، وتبعث على التقوى، و تبين موضع القبح والحسن في الأفعال والفصل بين المحمود والمذموم من الخصال، وقد ينحى بها نحو الصدق في مدح الرجال، كما قيل: "كان زهير لا يمدح الرجل إلا بما فيه..."³، أي إن التخيل يجب أن يلزم حدود الفهم والمقبولية لتحديث الاستجابة- حسب عبد القاهر-وَأَلَّا يخرج من حد الإمكان إلى حد الامتناع والاستحالة. وهو ما يسميه القرطاجني، الإفراط أو الكذب الإفراطي الذي يعد عيبا في الشعر⁴.

ومما سبق يمكن القول إن جمهور البلاغيين العرب يقرون أن المتكلم / الشاعر يبني تمثله للواقع بقصده، ففي الاستعمال المجازي يقصد أن يغير الواقع ليوافق قصده

¹ عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه ، ص258.

² ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص84.

³ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص250.

⁴ ينظر: شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص84.

و ينظر، حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 79/78/77/76.

بمخالفته وتعديله والكذب عليه؛ أما في الاستعمال الواقعي، فيقصد أن يطابق الواقع دون الحاجة إلى دور الاعتقاد، حيث كان انشغالهم بشروط نجاح التواصل بين المتخاطبين وتحديد مرجعية الخطاب وما يحيل إليه في الواقع الخارجي، إذ ليست كل مقاصد المتخاطبين موجودة في الخارج كالرغبات والمشاعر، مما يجعل اتجاه مطابقة الأقوال لا يكون منها نحو الواقع، بل قد يكون باتجاه عكسي من الواقع نحو ما في العقل أو النفس من رغبات¹: ".... فالاعتقادات والإدراكات والذكريات لها اتجاه ملاءمة من العقل إلى العالم، لأن هدفها يكمن في أن تمثل الكيفية التي توجد عليها الأشياء، و للرغبات والمقاصد اتجاه ملاءمة من العالم إلى العقل؛ لأن هدفها لا يكمن في تمثل الكيفية التي توجد عليها الأشياء، بل الكيفية التي نود أن تكون عليها الأشياء أو نخطط لها لتكون عليها الأشياء"². هنا تأخذ الملاءمة أحد الاتجاهين دون التقييد بشروط الصدق في تحققها، بل شروط الاستيفاء أو النجاح.

10/ قصد المتكلم و معنى القول و الاعتبارات المقامية:

إن الدلالة اللسانية المباشرة للقول تعبر عن مقاصد المتكلم وأغراضه، إذا كانت غايته التبليغ والإفادة، غير أن ما يقصده المتكلم لا يمكن أن يعتمد على هذه الدلالة فقط، لأن هناك فرقا بين ما يعنيه القول وما قد يعنيه المتكلم ويقصده بقوله، إذ لا يمكن التعرف على قصد المتكلم، بما يمتلكه القول من مؤشرات وعلامات وقرائن لسانية فقط، بل يحتاج إلى مقام القول بعناصره المختلفة، و بأطرافه (هوياتهم، وعلاقاتهم، ومعارفهم المشتركة، وقدراتهم على التعبير والإدراك والتأويل...)، وما يرتبط بالمقام من افتراضات وتضمينات واستلزمات، وهذا يعني أن القول قد يحتمل مقاصد أخرى يريدها المتكلم أو العكس، مما يزيد من صعوبة المتلقي في التعرف على هذا القصد المعقد والذاتي الذي لا يمكن أن يبقى مجرد قصد نفسي خفي لا

¹ ينظر: شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص84.

² جون سيرل، العقل و اللغة و المجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، ص 154.

يعرف إلا بالقول، أو ما يقوم مقامه من شواهد حالية، مما يعني التلازم بين القصد والقول والمقام، وأبين معنى المتكلم ومعنى القول.¹

إن هذه الطريقة المخصوصة التي تجسد قصد المتكلم وفق استخدام لغوي ونظام نحوي مخصوص هي ما يسميها عبد القاهر الجرجاني "بالنظم"، فهو ".... هيئة يحدثها لك التأليف، ويقتضيها الغرض الذي تؤم والمعنى الذي تقصد"²، فالنظم هو ضم الكلم بعضها إلى بعض، وفق معاني النحو وأحكامه و أصوله.

وأساس النظم عند عبد القاهر جرجاني هو المعنى الذي يقصده المتكلم ويؤممه، والذي يحدث بتتالي الألفاظ في تراكيب مختلفة للدلالة على المعاني المتفاوتة من حيث الوضوح والغموض، والسطحية والعمق، والتأثير في النفوس، والزيادة والنقصان، والنفي والإثبات ... إلى غير ذلك من الأغراض التي يفيدها المتكلم من اللغة. وعبر عن هذه المعاني بمعاني النحو، يقول في كلامه عن معنى النظم: "... اعلم أنك لن ترى عجباً أعجب من الذي عليه الناس في أمر النظم، وذلك أنه ما من أحد له أدنى معرفة إلا وهو يعلم أن ها هنا نظاماً أحسن من نظم، ثم تراهم إذا أنت أردت أن تبصرهم ذلك تسدر أعينهم وتضل عنها أفهامهم، وسبب ذلك أنهم أول شيء عدموا العلم به نفسه من حيث حسبوه شيئاً غير توخي معاني النحو وجعلوه ليكون في الألفاظ دون المعاني..."³.

ولا يعني بتتالي الألفاظ رصف بعضها إلى جانب بعض، بل التناسق الدلالي الذي تكون عليه هذه الألفاظ التي ترصف بحسب المعاني التي يقصد بها الناظم. يقول في ذلك " ... والفائدة في معرفة هذا الفرق: أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض

¹ ينظر، عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص152.

و ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص82.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص250.

³ عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق ، ص173.

بنظم الكلم أن تواتت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، وكيف يتصور أن يقصد به إلى توالي الألفاظ في النطق، بعد أن ثبت أنه نظم يعبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وأنه نظير الصياغة والتبصير و التقويم والنقش وكل ما يقصد به التصوير...¹.

والمقصود بمعاني النحو ليست قواعد الإعراب، وإنما موجبات الإعراب التي توجب للفظ الفاعلية، أو غير ذلك... أي الأسباب والدواعي التي تقضي للكلمة بحكم إعرابي أو علامة إعرابية معينة بحسب المعنى أو القصد المراد². ويشرح عبد القاهر الجرجاني ذلك بقوله : " إذا أضفنا الشعر أو غير الشعر من ضروب الكلام، إلى قائله لم تكن إضافتنا له من حيث هو كلم وأوضاع لغة، ولكن من حيث توخي فيها " النظم " الذي بينا أنه عبارة عن توخي معاني النحو في معاني الكلم... وجملة الأمر أنه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصفة، ولم يقدم فيه ما قدم، ولم يؤخر ما أخر ، وبديء بالذي ثنى به، أو ثنى بالذي ثلث به، لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصفة ، وإذا كان كذلك ، فينبغي أن تنظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصورة والصفة؛ أفي الألفاظ يحصل له ذلك ، أم في معاني الألفاظ؟ وليس في الإمكان أن يشك عاقل إذا نظر أن ليس ذلك في الألفاظ...³.

إن هذه المعاني النحوية إمكانات ووجوه تعبيرية مختلفة. تمنح الكلام فروقا دلالية وخصوصية ومزية حسب أغراض المتكلم ومقاصده، ومعانيه، هذه المزية التي تتحقق

¹ عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص173.

² ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص86.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص362-364.

- حسب عبد القاهر الجرجاني - "... بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض..."¹.
 إن قصد المتكلم هو الذي يحقق فروقا واختلافات دلالية بين أسلوب وآخر، وبضفي على الكلام خصائص أسلوبية فردية مميزة، استنادا إلى قدرته اللغوية، وكفاءته في بناء تصوراته وأفكاره، وكيفية طرحها على الآخر، باستخدام نسق خاص من العلاقات النحوية التي تعكس مقاصده وترتب المعاني والدلالات بعلاقاتها المختلفة في نفسه وفكره. إن المتكلم ينطلق من الكلام النفسي إلى الكلام اللفظي متوخيا معاني النحو وأحكامه، مما يعني أن مقاصد المتكلم وأغراضه هي المحدد للبنية النحوية التركيبية للكلام، كما أنها تتجلى من خلالها.²
 إن التعرف على قصد المتكلم - كما سبق الذكر - لا يتحقق من الدلالة الوضعية للألفاظ الموجودة في ظاهر اللفظ (تطابق غرض المتكلم مع معنى القول بقصد الإفادة والإخبار)، بل إن هناك هيئات تركيبية أخرى للفظ تحتاج إلى تأويل وروية وإعمال فكر، حتى يُفهم القصد أو الغرض منها، و ذلك بأن يدل اللفظ على معنى يؤدي إلى معنى آخر هو المراد
 و المقصود، وهو ماسماه عبد القاهر الجرجاني بالمعنى ومعنى المعنى.³ فقد تكون اللفظة في غاية الفصاحة في موضع، وتكون غير ذلك في مواضع أخرى، تبعا للأغراض التي يوضع لها الكلام. وعليه فإن الفضل والمزية يكونان بحسب الموضع، وبحسب المعنى الذي يريده المتكلم والغرض الذي يؤممه.
 ولا يمكن للفظة المنفردة أن تؤدي المعنى المقصود وتعبر عن الغرض، ولذلك لا يتعلق الفكر بمعانيها مجردة من معاني النحو، لأن " النظم هو توخي معاني النحو

¹ عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه ، ص 87.

² ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص 86.

³ ينظر: شكري الطوانسي، المرجع نفسه، ص 87.

في معاني الكلام، وإن توخيتها في متون الألفاظ محال، فلا مزية للفظ في ذاتها، بل إنها لا تؤدي دورها الفاعل في التعبير عن الأغراض، وتبليغ المقاصد إلا بالنظر إلى دلالة الحال ودلالة المعنى. ودلالاتها التي يقتضيها تتعلق بالحقيقة لا بالمجاز، أما دلالة المعنى، فتحتاج إلى دلالة ثانية توصل إلى الغرض بالكناية، والاستعارة، والتمثيل. وهي التي يسميها الجرجاني معنى المعنى.

ويشرح الجرجاني مفهوم هذا المصطلح في نص غاية في الدقة، يجسد نظرة تداولية ثاقبة، يقول: "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد" مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت "خرج زيد" و بالانطلاق عن عمرو فقلت: "عمرو منطلق" وعلى هذا القياس. وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى غرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة و التمثيل ... أو لا ترى أنك إذا قلت "هو كثير رماد القدر"، أو قلت "طويل النجاد" أو قلت في المرأة "نؤوم الضحى" فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك، كمعرفتك من "كثير رماد القدر" أنه مضياف ومن "طويل النجاد" أنه طويل القامة، ومن "نؤوم الضحى" في المرأة أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها، وكذا إذا قال "رأيت أسدا" وذلك الحال على أنه لم يرد السبع، علمت أنه أراد التشبيه، غير أنه بالغ فجعل الذي رآه بحيث لا يتميز عن الأسد في شجاعته، وإذا قد عرفت هذه الجملة فما هنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول: "المعنى" و"معنى المعنى"، تعني بالمعنى المفهوم من

ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، وبـ " معنى المعنى " أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر....¹.

فلا سبيل إلى تعرف المخاطب على قصد المتكلم إلا بعد عمليات استدلالية تعتمد على معارف مشتركة بينهما، بعضها لساني (الدلالات الوضعية) ، أو المعاني الأول للألفاظ، وبعضها غير لساني (الأعراف والتقاليد والاعتقادات وحال المتخاطبين)، وغيرها من عناصر المقام . ثم يقدم الجرجاني مثالا عن ذلك، فيورد الكناية التي هي تعبير مجازي²، فالغاية من الكناية هي أن ".... يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، و يجعله دليلا عليه..."³.
تقول الخنساء:

طويل النجاد، رفيع العماد كثير الرماد إذا ما شتا

فالتلازم الواقعي والعرفي والذهني بين " طول غمد السيف " النجاد" وطول القامة، ورفعة العماد (راية توضع أعلى خيمة سيد القوم) ورفعة المقام بين القوم و السيادة، وكثرة رماد القدر والكرم والضيافة، هو الذي مكن المتكلم من أن يجعل المعنى الأول دليلا على الثاني، فيتأول المنطوق، ويستنتج المعنى المقصود.

أما في ضروب المجاز العقلي الذي تكون فيه " العلاقة بين المسند والمسند إليه في هذا النوع من التركيب علاقة تخيلية نكتشف عبرها تصورا إبداعيا لم يكن موجودا من قبل، يدل على تفاعل فني بعناصر الكون، ومحاولة توليد علاقات جديدة فيما بينها، ثم على تفاعل بعناصر اللغة كي تستطيع استيعاب هذه العلاقات والتعبير عنها". فتشدد الحاجة إلى اعتبار قصد المتكلم إلى المجاز، حتى يكون

¹ عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ، ص262-263.

² ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص87.

³ عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص299.

القص من القول منسجما مع عقيدة التوحيد وحكم العقل الموافق للعقيدة¹. يقول الجرجاني عنه: ".... وطريق الحكم عليه بالمجاز أنك تعلم اعتقادهم التوحيد، إما بمعرفة أحوالهم السابقة، وإما بأن تجد في كلامهم من بعد إطلاق هذا النحو، ما يكشف عن قصد المجاز فيه..."².

يمكن القول إذن إن قصد المتكلم هو نتاج مقامات ثقافية وأعراف اجتماعية مشتركة بين طرفي القول وجزء منها، إنه محكوم بالمواضعة اللغوية والاجتماعية للمتخاطبين، وهو ما يفسر الإشارات العديدة في التراث العربي في دعوة الشعراء إلى تداول المعاني المشتركة بين الناس، والاحتكام في تأويل المجازات والاستعارات إلى العادة والاستعمال؛ ذلك أن السامع يفهم ويقبل ويميل دائما إلى ما يوافقه ويألفه، مما يلزم المتكلم/ الشاعر بأن لا يأتي بما يخالف جماعته ومعارفها وتجاربها وطباعتها وأحوالها، حتى يحقق الصدق مع نفسه وحالها، ومع واقع جماعته و طباعتها³. وهذا يعني أن القول والقصد بخصوصيتهما وتميزهما لا يرتبطان بمقام خاص بعيد عما هو مشترك بين المتخاطبين بحيث "..... إذا تحدثنا عن قصد المتكلم، فإنما نعني ذلك المعنى المندرج في السياق الحضاري المشترك، الذي تفضي إليه مدلولات العبارة.... و الذي يتعلق استنباط المخاطب له بمدى معرفته بتلك الدلالة المشتركة..."⁴.

إن تلك المواصفات والمقامات والسياقات الحضارية المشتركة تغدو بالتواتر أنماطا أو أطرا نظرية ثابتة تحكم مقاصد ومعاني المتكلمين، وهو ما يسمى افتراضات مقامية⁵. فما يجوز "... في قول ما من خصائص تركيبية - دلالية يمثل دليلا على

¹ ينظر: شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص88.

² عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص359-360.

³ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص89.

⁴ عز الدين إسماعيل، قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة فصول، ص 43.

⁵ ينظر: شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص89.

افتراضات مقامية تخاطبية، استوجبت أن تكون البنية اللفظية المعنوية على هذه الصورة أو تلك ...¹.

وعلى هذا الأساس وصلتنا العبارة البلاغية المشهورة (لكل مقام مقال) ، والتي تبني عن فهم نمطي عام وثابت من قبل البلاغيين للتلازم الضروري بين المقام ومقتضاه وخصوصياته التعبيرية، فلا توجد علاقة خاصة بين القول وبين المقام بعناصره، ولا تتغير تصرفات المتكلم ومقاصده في مقام ما، كما لا يُتوقع أن تتغير استجابة السامع مهما كانت الأسباب والرغبات، ولا تتبدل بنية القول مهما تبدلت عناصر المقام وملابساته (من حيث الزمان والمكان والمشاركون)².

إن للمقام - فيما تناقله البلاغيون والنقاد من مقولات - اعتبارات ومقتضيات ومقاصد ثابتة، أخذت شيئاً فشيئاً صورة التعليمات والشروط الواجبة، فالشاعر - مثلاً - إن "... نسب ذل وخضع ، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أخل وأوجع، وإن فخر خب ووضع، وإن عاب خفض ورفع، وإن استعطف حن ورجع...."³.

ويشرح قدامة بن جعفر تصويره في ذلك، فيقول عن النسب : " ... يجب أن يكون النسب والذي يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة ، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وما كان فيه التصابي و الرقة أكثر مما يكون فيه من الحسن والجلادة، ومن الخشوع والذلة أكثر مما يكون فيه من الإبادة والعز، وأن يكون جماع الأمر ما ضاد التحفظ والعزيمة، ووافق الانحلال والرخاوة، فإن كان النسب كذلك، فهو المصاب به الغرض..."⁴، وما يقال عن النسب وينطبق عليه ينطبق على باقي معاني الشعر وأغراضه.

¹ شكري المبخوت، الإستدلال البلاغي، ص 25.

² ينظر : شكري الطوانسي، المرجع السابق، ص 90.

³ ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج 1، ص 199.

⁴ قدامة ابن جعفر، نقد الشعر، ص 124/123.

ويمكن القول إن تفاوت هيئات الكلام ومقتضياته تبعاً لتفاوت المقامات، لا تحكمه اعتبارات اجتماعية ومادية خاصة، بل أصبح تلازماً ضرورياً وثابتاً وأصبحت المقامات سياقات لسانية وتصورات ذهنية مجردة وثابتة، فإمكان البنية النحوية والدلالية إعادة تصور المقام وتعيين المراد والتدليل عليه، وهو ما يتجلى فيما سجله البلاغيون من أغراض ومقاصد بلاغية تستفاد من الخبر بأضره، والإنشاء الطلبي بأنواعه، هذه الأغراض تستفاد من هيئات مخصوصة في القول مخالفة لأصل الوضع أو من تصورات يحكمها العقل أو الطبع أو اعتبارات لا تتعلق بالقائل والمقول له فيما يمكن أن يضيفه على القول من تقوية لمعناه أو تخصصه أو إطلاقه... إلخ، وما كان لهما من اعتبار في منح القول هذه المعاني الإضافية، إنما كان احتمالاً أو افتراضاً، أي إن المقام تصور يشكله المحتوى القضوي للقول¹.

11/ المجاز و مراعاة المقاصد و الأغراض:

المجاز ضرب من القول يخفي خلفه المتكلم مقصوده، بابتعاده عن الحقيقة ووضع اللفظ في غير معناه الحقيقي.

وقد نوقشت قضية المجاز و الفرق بينه وبين المعنى الحقيقي، ومزية كل منهما منذ القديم، سواء في البلاغة الغربية، أو الفكر البلاغي العربي. يقول جون كوهن وهو يختصر النظرية الحسية البلاغية " إن المعنى المجازي [...] يجعلنا نرى " في حين أن المعنى الحقيقي يجعلنا " نفكر " ²، ذلك أن التعبير المجازي (وبخاصة الاستعارة والتشبيه) تمتلك الخاصية التجسيدية التي هي أساسية للتعبير الجمالي، حيث تضيف الحركة على الشيء المجسد حينما تشخصه، فإضفاء الصفات الإنسانية

¹ ينظر: شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، ص 91.

²Jean cohen, théorie de la figure in, t todorov, sémantique de la poésie, ed seuil, paris, 1979, p 124-25.

نقلا عن، محمد الولي، حول الإستعارة عند أرسطو، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، بني ملال، المغرب، ع1، 2012، ص 43.

على المجردات والأشياء الجامدة بنقلها من حال التجريد إلى المادية، ومن حال الجمود إلى الحركة، ومن حال غير الحي إلى حال الحي، ومن حال غير المؤنسن إلى الإنسان¹.

وقد اهتم علماء البلاغة القدامى بدلالات الصور البلاغية (الاستعارة، والكناية، والتشبيه، والمجاز المرسل....)، واهتمام المتكلم بها والمعنى النفسي ومعنى المعنى، وتلقي السامع للخطاب، وكيفية تحليله واستنتاجه المعنى، وأثر الصور البلاغية في نفسه.... إلى غير ذلك من المباحث التي لم يكونوا يعيدون فيها عما تدعو إليه اللسانيات التداولية.

والمجاز شكل تعبيرى يلجأ إليه المتكلم للتوسع في فن القول، بحيث يخرق العادات التعبيرية السائدة في عرف الجماعة لأغراض ومقاصد يتوخاها في ذهنه، ويرجو إدراكها من المخاطب، فيتجاوز التعبير من أسلوب إلى آخر². وقد عرفه الجرجاني في أسرار البلاغة بقوله: " وأما المجاز، فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز"³. وعبارة " أريد بها " تنبئ عن القيمة التداولية للمجاز المتمثلة في إرادة المتكلم التعبير بطريقة دون أخرى حسب القصد المروم، مع الحرص على النشاط الذهني للمخاطب في استقرائه المعنى المنشود، وذلك بالقيام بعمليات ذهنية لإدراك فحوى الخطاب والكشف عما قام به المتكلم من اختبارات وانتقادات للألفاظ حتى ينشئ هذه الصورة البلاغية المجازية⁴.

¹ محمد الولي، المرجع نفسه، ص43.

² ينظر، محمد الولي، المرجع نفسه، ص62.

³ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص304.

⁴ ينظر: محمد الولي، حول الاستعارة عند أرسطو، ص62.

طرح مفهوم المجاز عند الجرجاني إشكالا كبيرا ، يتمثل في كون اللفظ في المجاز نُقل عن موضوعه، وأن الناس عوّلوا على هذا الخطأ في حد المجاز وتصوروا أن " كل لفظ نُقل عن موضوعه، فهو مجاز " ¹، والبحث في أصل هذا الخطأ، نجده ممتدا يصل إلى ابن سنان الخفاجي الذي بنى موقفه من الاستعارة وصنفها ضمن وضع الألفاظ مواضعها على تعريف الرمانى في كتابه " النكت في إعجاز القرآن " ² " تعليق العبارة على غير ما وضعت في أصل اللغة على جهة النقل والإبانة" ³، وقد اتبع العسكري الرأي نفسه، فعرفها بأنها "نقل العبارة عن موقع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه" ⁴، حيث أضاف العسكري في هذا التعريف - على رأي الرمانى- غرض المتكلم من المجاز.

إلا أن الجرجاني عدّ المجاز متعلقا بالمعنى لا اللفظ، وجعله زيادة في المعنى. فقسم الدلالة إلى مباشرة (صريحة، وضعية) وغير مباشرة (مجازية) ومدارها الكناية والاستعارة والمجاز.

وفرق بين المعنى ومعنى المعنى، والمزية في المعنى عند عبد القاهر ليست في ذاته، بل في الحكم به وإثباته، وليس في زيادته فقط، كون الإثبات أبلغ في الدلالة وأشد. ومثال ذلك الكناية و الاستعارة ⁵.... فليس المعنى إذا قلت (إن الكناية أبلغ من التصريح) أنك لما كُنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في

¹ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص163.

² ينظر: سلوى النجار، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار (نحو رؤية جديدة في قضايا اللغة لدى الجرجاني)، ص359.

³ ابن سنان الخفاجي، المصدر السابق، ص11.

⁴ أبو هلال عسكري، الصناعتين، ص 268.

⁵ ينظر: على زولن، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص161.

إثباته فجعلته أبلغ وأكد وأشد... وكذلك ليست المزية التي تراها لقولك: (رأيت أسدا)، على قولك (رأيت رجلا)، لا يتميز عن الأسد في شجاعته وجرأته، أنك أفدت بالأول زيادة في مساواته الأسد، بل إنك أفدت تأكيدا وتشديدا وقوة في إثباتك له هذه المساواة، وفي تقريرك لها فليس تأثير الاستعارة إذن في ذات المعنى وحقيقته، بل في إيجابه و الحكم به ¹.

والمعاني لها مزية أخرى عند عبد القاهر الجرجاني هي القيمة التأثيرية التي تحدثها في نفوس المتلقين، قال - مقارنا بين عبارتين تدلان على معنيين متقاربين - : " لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبها ، فإن قلت : فإذا أفادت هذه مالا تفيد تلك فليستا عبارتين عن معنى واحد، بل هما عبارتين عن معنيين اثنين قيل لك : إن قولنا (المعنى) ، في مثل هذا يراد به الغرض والذي أراد المتكلم أن يثبته أو ينفيه، نحو أن تقصد تشبيه الرجل بالأسد، فنقول : زيد كالأسد، ثم تريد هذا المعنى بعينه، فنقول: كأن زيدا الأسد، فتفيد تشبيهه أيضا بالأسد إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول، وهي أن تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه وأنه لا يروعه شيء بحيث لا يتميز عن الأسد ولا يقصر عنه حتى يتوهم أنه أسد في صورة آدمي...².

أي إن غرض المتكلم من المجاز التأثير في المتلقي وإقناعه بما يقصد عن طريق التصوير.

وكانت أكثر الصور المجازية تتاولا من قبل البلاغيين هي التشبيه والاستعارة ثم الكناية...، واكتسبت كل صورة منها قيما تداولية عديدة.

*** / التشبيه وقصدية المتكلم :**

¹ أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دائرة المعارف بحيدر آبادالدين، الهند، 1977-1980، ج1، ص 181.

² عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص04-05.

لا تختلف الدلالة البلاغية للتشبيه عند اللغويين القدامى، فلا يكاد يُختلف كثيرا في تعريفه فهو عند الرماني (ت 386هـ) : "العقد على أن أحد الشينين يسد مسد الآخر في حسّ أو عقل"¹. ويوافقه الباقلاني في هذا التعريف، أما عند أبي هلال العسكري (ت 395هـ) ، فهو " الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة الشبه"². وعند ابن رشيق القيرواني (ت 456هـ) هو " صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو من جهات كثيرة، لا من جهاته"³.

و الملحوظ على هذه التعريفات جميعها أنها تحمل دلالات المساواة والمشاكلية والتمثل التي تعتمل مصطلح التشبيه.

أما عند عبد القاهر الجرجاني، فيغاير مفهومه للتشبيه مفهوم من سبقه أو عاصره من علماء، فقد عرفه تعريفا مختصرا مركزا بعيدا عن التقليد الشائع آنذاك⁴. يقول : "... التشبيه أن تذكر كل واحد من المشبه والمشبه به، فتقول "زيد أسد" "هند بدر" ، وهذا الرجل الذي تراه سيف صارم على أعدائك"⁵.

ويؤكد الجرجاني أن التشبيه نقل للفظ من المستوى الحقيقي إلى المستوى المجازي، وأن الارتباط الحاصل بين المشبه والمشبه به يكون على سبيل المجاز فقط⁶، فيقول في ذلك " وإذا سمع السامع قولك "زيد أسد"، وهذا الرجل سيف صارم على الأعداء، استحال أن يظن، وقد صرحت له بذكر زيد، أنك قصدت أسدا وسيفا،

¹ علي الرماني ، النكت في إعجاز القرآن الكريم، تح محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ص80.

² أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح مفيد قمحية، ص261.

³ إبا رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تح محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، ص286.

⁴ ينظر: عطية أحمد أبو الهيجاء، التشبيه عند عبد القاهر الجرجاني بوصفه معيارا نقديا، عالم الفكر المجلس

الوطني للثقافة و الفنون و الأداب، الكويت، ع1، م42، يونيو سبتمبر 2013، ص25.

⁵ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص321.

⁶ ينظر: عطية أحمد أبو الهيجاء، السابق، ص25.

وأكثر ما يمكن أن يدعى تخييله في هذا أن يقع في نفسه من قولك "زيد أسد" حال الأسد في جرائته وبطشه".¹

فلا يفصل الجرجاني هنا بين الصياغة الفنية للتشبيه القائمة على المجاز، وبين الذوق الأدبي والجمالي لدى النفس البشرية المتلقية له التي ينبغي أن تكون على وعي تام بالغاية والقصد من وراء التشبيه، فالمتكلم لا يمكن أن يشبه بين شيئين إلا لقصد يرومه وغاية في نفسه يتوخاها من وراء ذلك التركيب والجمع بين شيئين متشابهين.

ويعدّ الجرجاني التشبيه - إضافة إلى التمثيل والاستعارة - واحدا من الأسس العامة والأصول الكبيرة للكلام الفني الأدبي، موجها بذلك نقدا لاذغا لجماعة من اللغويين والأصوليين الذين يولون الاهتمام الأكبر للتعبير التقريري المباشر.²

بينما يعدّ الأنواع الباقية من الكلام فروعا للتشبيه وتابعا له، فيقول في ذلك: "كأن جل محاسن الكلام - إن لم نقل كلها - متفرعة عنها وراجعة إليها كأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها، وأقطار تحيط بها من جهاتها".³

والجرجاني واحد من اللغويين الذين يرجع سبب اهتمامهم بالتشبيه إلى كثرته في كلام العرب، وبخاصة الشعر الجاهلي الذي لا يخفى على أحد الدور البارز الذي أداه في بناء الحضارة العربية الإسلامية أدبا و نقدا، وكذلك كان التشبيه "أكثر أنواع البلاغة أهمية بالنسبة إلى الناقد و البلاغي القديم".⁴

¹ عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص322.

² أحمد عطية أبو الهيجاء، التشبيه عند عبد القاهر الجرجاني بوصفه معيارا نقديا، ص 25-26.

³ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص27.

⁴ جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص113.

ويقر المبرّد (ت 285هـ) هذه الكثرة قائلاً: "و التشبيه جار كثيراً في الكلام ، أعني كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يُبعد"¹.
أورد الجرجاني فضل التشبيه في إيضاحه المعنى من خلال أمثلة تبين الفوارق بين أدوات التشبيه بأسلوب تصاعدي من الأدنى إلى الأعلى²، فيقول: "واعلم أنه ليس شيء أبين وأوضح وأحرى أن يكشف الشبه عن متأمله في صحة ما قلناه من " التشبيه"، فإنك تقول: "زيد كالأسد" أو مثل "الأسد" أو "شبيه بالأسد".... ثم تقول "كأن زيدا الأسد...."³.

فعلى الرغم من اشتراك هذه الأدوات جميعاً في وظيفة واحدة، وهي الربط بين طرفي التشبيه، إلا أن لكل واحدة منهما خصوصية معينة لا تتوافر في غيرها تجعل للتشبيه مستوى خاصاً تبعاً للأداة المستخدمة فيه، وفي ذلك قيمة تداولية يكتسبها التشبيه بعامته، وكل أداة بخاصة، فالمتكلم يعمد إلى مستوى تشبيهي معين يستخدم فيه أداة تنقل المعنى المقصود في أبين صورة، يمكن للسامع أن يحلها ليستنتج القصد من وراء الخطاب، وأبلغ وأوضح صور التشبيه ، التشبيه البليغ الذي يتساوى فيه المشبه بالمشبه به، فيكونان في مرتبة واحدة⁴.

وكلّ هذا الدور الهام الذي اكتسبته أداة التشبيه يعود إلى الوظيفة النحوية لكل أداة، وهو الأمر الذي حرص الجرجاني عليه في تناوله قضايا البلاغة، فربط بين الجانبين: البلاغي الدلالي، والجانب النحوي. والتشبيه من المسائل التي اتخذت عنده هذا المنحى، فما: "انتهى إليه الجرجاني من نتائج يكشف لنا عن ثراء المنحى

¹ المبرّد، الكامل ، تح أحمد الدالي، مج2، ص 996.

² ينظر: أحمد عطية أبو الهيجاء، التشبيه عند عبد القاهر الجرجاني بوصفه معياراً نقدياً ، ص 26.

³ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص424-425.

⁴ ينظر: أحمد عطية أبو الهيجاء، المرجع السابق ، ص26.

الدلالي في مباحث الصورة الفنية ويغرنا بمواصلة الدرس في سبيل وصف التشبيه وصفا نحويا دلاليا شاملا¹.

أما عن أقسام التشبيه ، فلم تخرج تقسيمات العلماء القدامى للتشبيه عما كان سائدا آنذاك من تقاليد وأعراف اجتماعية ودينية...، فتراوحت معايير بين الحسن والقبح، واللون والصوت، والوضوح والغموض... إلخ.

أما عبد القاهر الجرجاني، فقد رفض التقسيم التقليدي للتشبيه، وأعاد تقسيمه وفق نظرية بلاغية جديدة تقوم على أسس ومعايير لم تكن متوفرة في عصره. يقول سيد عبد الفتاح حجاب في دراسة له عن " منهج عبد القاهر الجرجاني بين الموضوعية و الذاتية"²: " إن ما يلفت النظر في دراسة عبد القاهر الجرجاني هو نفوره من التقاليد والمقلدين، وحملته الشديدة على كل من يسلك طريقهم، لأنه يرى ذلك إلغاء للعقل، ولما يأتي به من نتائج باهرة عندما يفسح أمامه المجال للتفكير و الإبداع"³.

وصلت تقسيمات الجرجاني للتشبيه إلى ستة أقسام أوردها في كتابه " أسرار البلاغة " في صورة متشابكة متداخلة، ودلل على هذا التنظير بشواهد من القرآن والحديث الشريف ، والشعر وقد أعيد ترتيب وتبويب هذه الأنواع الستة في شكل ثنائيات متقابلة كالجلاء، والخفاء، والعموم والخصوصية، والابتدال والابتداع، والإجمال والتفصيل الصريح والمعكوس، والاشتراك في الصفة ومقتضاها...

والملاحظ أن هذه التقسيمات مبنية على أساس قصد المتكلم من وراء الجمع بين طرفين متشابهين، ومستوى تلقي السامع وتأويله التركيب التشبيهي - فعلى سبيل

¹ هشام الرفي، دراسة التشبيه بين التركيب النحوي و الدلالي عند البلاغيين العرب القدامى، ص 250.

² ينظر: أحمد عطية أبو الهيجاء، التشبيه عند عبد القاهر الجرجاني بوصفه معيارا نقديا ، ص 27-28.

³ سيد عبد الفتاح حجاب، منهج الجرجاني بين الذاتية و الموضوعية، مجلة كلية اللغة العربية، ع10، البلد

المثال - يقول الجرجاني عن أول أقسام التشبيه، وهو التشبيه الجلي والتشبيه الخفي¹: "... اعلم أن الشيين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين : أحدهما أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج إلى تأويل و الآخر أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأول"².

والهيئات والحالات التي يأتي عليها هذا القسم من التشبيه تكون من جهة الصورة والشكل نحو أن يشبه الشيء بالكرة في الاستدارة، وبالحلقة في وجه آخر، أو تشبيه الخدود بالورد، من جهة اللون، والشعر بالليل، والوجه بالنهار... إلخ.³ و الواضح أن هذا القسم من التشبيه يعمد إليه المتكلم ليوضح المعنى فقط، فهو لا يحتاج إلى تأويل ولا كثير تفكير ليستنتج المتلقي المعنى المقصود من ورائه.

أما التشبيه الخفي، فيحتاج إلى تفسير و تأويل، كون العلاقة بين المشبه والمشبّه به غامضة وغير مباشرة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الجرجاني ربط تأويل الخفاء في هذا القسم من التشبيه بالحالة النفسية والمشاعر الوجدانية لدى المتلقي، ودعاه إلى تأمل ما يعنونه من استحسان و ارتياح ... وغيرهما⁴، وهذا التأمل في مدى تأثيره بخطاب المتكلم يساهم في الكشف عن مقصود الكلام، و عما يريد المتكلم الوصول إليه من خلال استعمال التشبيه في حديثه.

ومحصول القول إن القيمة التداولية للتشبيه ترتبط بالهدف من إيرادها في الكلام، إذ يكسبه وضوحا وبيانا وتوكيدا وإجازا، وكل هذه المعاني يتوخاها المتكلم في نظمه الحديث رغبة منه في تأكيد المعنى عن طريق التصوير والإقناع الحسي، فالصورة التشبيهية ينبغي أن تكون مطابقة للواقع، مدركة بالحواس، وكل هذه القيم التداولية

¹ ينظر: أحمد عطية أبو الهيجاء، المرجع السابق، ص 28.

² عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 90.

³ ينظر، المصدر نفسه، ص 90.

⁴ ينظر، محمد خلف الله، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، ص 134-135.

متعلقة بالمتكلم بوصفه منتج الخطاب، أما من ناحية المخاطب، فلا يفصل عبد القاهر الجرجاني بين الصياغة الفنية للتشبيه وبين طبيعة النفس التي تتلقاه¹: إذ يلح على الأخذ بالذوق في تلمس جمال التشبيه، وكيفية وقعه على النفس وتأثيره فيها.

***/ الاستعارة وقصدية المتكلم عند الجرجاني:**

شُغل الجرجاني في باب الاستعارة بحقيقتها بصفقتها مجازاً، فنقد فهم البلاغيين للاستعارة على أنها نقل اللفظ إلى غير أصل موضعه في اللغة،² فليست هي " نقل اسم عن شيء إلى شيء، ولكنها ادعاء معنى الاسم لشيء، إذ لو كانت نقل اسم وكان قولنا : "رأيت أسداً"، بمعنى: رأيت شبيهاً بالأسد، ولم يكن ادعاء أنه أسد بالحقيقة لكان محالاً أن يقال : " ليس هو بإنسان، ولكنه أسد " أو هو أسد " في صورة إنسان، كما أنه محال أن يقال: " ليس هو بإنسان ولكنه شبيه بأسد"³ فالمتكلم لا ينقل اللفظ من موضع إلى آخر وإنما يتصرف فيه، فينقله من معنى ليثبت به معنى آخر ، " لا يعرف السامع ذلك المعنى من اللفظ، ولكنه يعرفه من معنى اللفظ"⁴.

كما دافع في تصوره البلاغي عن المجاز في الاستعارة مثبتاً أن الألفاظ حين تستعمل مجازياً لا تنقل من معنى إلى معنى آخر، وإنما هي تصبح دالة على معان وتصورات لم تكن موجودة قبل الاستعمال **الإعجازي** أو الإبداعية. يقول الجرجاني " فقد تبين من غير وجه أن الاستعارة إنما هي ادعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء، وإذا ثبت أنها ادعاء معنى الاسم للشيء وعلمت أن الذي قالوه من أنها تعليق للعبارة على غير ما وضعت له في اللغة ونقل لها عما وضعت له

¹ ينظر، خليفة بو جادي ، في اللسانيات التداولية مقارنة بين التداولية والشعر ، ص

وينظر : عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص78.

² ينظر : سلوى النجار، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار ، ص360

³ عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق ، ص434.

⁴ عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص 431..

كلام قد تسامحوا فيه...¹ وقد استدرك الجرجاني برأيه هذا رأيه السابق في " أسرار البلاغة" الذي لم يخرج فيه من طائفة البلاغيين ممن قالوا بالنقل في الاستعارة، حيث عرفها بـ " أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية"¹، وعلى هذا الأساس يصف جملة " رأيت أسدا" بالقول " استعير اسم الأسد للرجل ومعلوم أنك أفدت بهذه الاستعارة ما لولاها لم يحصل لك، وهو المبالغة في وصف المقصود بالشجاعة"²، فذكر استعارة اللفظ، و استعارة الاسم.

وفي آخر كتاب الأسرار تراجع الجرجاني تراجعاً صريحاً عن رأيه، وأنكر أن تكون الاستعارة في اللفظ³ إذ لو كان اللفظ يستحق الوصف بالاستعارة بمجرد النقل لجاز أن توصف الأسماء المنقولة من الأجناس إلى الأعلام بأنها مستعارة"⁴.

وعدّ الجرجاني التغيير الحاصل للفظ في الاستعارة خروجاً إلى وجه المجاز، وأجرى الاستعارة صفة للفظ وقصد بها المعنى⁵، فيقول : " ويلوح ها هنا شيء وهو أنا وإن جعلنا الاستعارة من صفة اللفظ، فقلنا " اسم مستعار" وهذا اللفظ استعارة وهنا وحقيقة هناك" فاتاً على ذلك نشير بها إلى المعنى من حيث قصدنا بالاستعارة الاسم أن نثبت أخص معانيه للمستعار له"⁶.

وفي كتاب دلائل الإعجاز أضحت مواقفه من الاستعارة أكثر صرامة، ونفى أن تكون الاستعارة مجرد نقل اللفظ من موضعه المتواضع عليه؛ لأن لذلك تأثيراً على

¹ عبد القاهر الجرجاني، ، المصدر نفسه ص29.

² عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه ، ص31.

³ ينظر: سلوى النجار، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار، ص361

⁴ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص374.

⁵ ينظر: سلوى النجار، المرجع السابق، ص361

⁶ عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق ، ص375.

المواضعة، وهو ما لا يسعى المتكلم إليه¹، " فمحال أن يتغير الشيء في نفسه بأن ينقل إليه اسم قد وضع لغيره من بعد أن لا يراد من معنى ذلك الاسم فيه شيء بوجه من الوجوه، بل يجعل كأنه لم يوضع لذلك المعنى الأصلي أصلاً وفي أي عقل يتصور أن يتغير معنى " شبيهاً بالأسد" بأن يوضع لفظ "الأسد" عليه، وينقل إليه"².

والرأي بالقول إن الاستعارة في المعنى، سبق إليه الآمدي والقاضي عبد الجبار. فالآمدي ذهب إلى أن استعارة المعنى هي القصد الذي ينبغي للمتكلم أن يتوخاه³، فقال إن : " العرب إنما استعارت المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه (...). فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له وملائمة لمعناه"⁴.

أما القاضي عبد الجبار، فتحدث عن الاستعارة بأنها نقل حكم لفظ إلى لفظ آخر دون المساس بالمعنى. يقول : " وقد جوزنا نقل حكم اللفظة بالتعريف عن المجاز إلى الحقيقة وعن الحقيقة إلى المجاز، وكل ذلك لا يوجب قلب المعاني"⁵.

لقد تمكن الجرجاني من بناء تصور نظري للعلاقة بين الحقيقة والمجاز، وعدّ استعارة الاسم إثبات أخص معانيه للاسم المستعار له. ويشرح ذلك بقولنا: "جعله أسداً" و"جعله بدراً" و"جعل للشمال يداً"، فلولا أن استعارة الاسم للشيء تتضمن استعارة معناه له لما كان لهذا الكلام معنى؛ لأن "جعل" لا يصلح إلا حيث يراد إثبات صفة للشيء كقولنا "جعله أميراً و جعله لصاً" نريد أنه أثبت له الإمارة والوصفية، وحكم جعل إذا تعدى إلى مفعولين حكم "صير" فكما لا تقول "صيرته أميراً" إلا على

¹ ينظر: سلوى النجار، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار، ص 361.

² عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 433.

³ ينظر: سلوى النجار، المرجع السابق، ص 362/361.

⁴ الآمدي، الموازية، ص 234.

⁵ القاضي عبد الجبار، المغنى، ج5، ص 172.

معنى أنك أثبت له صفة الإمارة، كذلك لم تقل " جعله أسد " إلا على معنى أنه أثبت له معنى من معاني الأسود ، ولا يقال " جعلته زيدا " بمعنى سمّيته زيدا ، ولا يقال للرجل " اجعل ابنك زيدا " بمعنى سمّه زيدا، ولا يقال " ولد لفلان ابن فجعله زيدا " أي سماه زيدا، وإنما يدخل الغلط في ذلك على مدى لا يُحصّل هذا الشأن¹. فالاستعارة في اللفظ حكم له بالنفي أو الإثبات.

وتطغى مباحث الاستعارة على مباحث الدراسات الحديثة كالبلاغة والفلسفة واللسانيات من حيث إنها " نظرية إنسانية كونية ليست مختصة بثقافة أمة من الأمم"².

وتكمن قيمتها التداولية في كونها لا تنتقل اللفظ من دلالة إلى أخرى فحسب، بل يتجاوز بها المتكلم ذلك لإثبات معنى لا يعرفه السامع من اللفظ، بل من معنى اللفظ، فيحاول ادعاء ثبوت هذا المعنى المنقول إلى اللفظ؛ لأنه هو المقصود، وهو جانب من إبداع المتكلم فنون القول، بحيث يخرق عوالم الدلالة ويدمج الألفاظ في مجالات غير مجالاتها فيفاجئ المخاطب الذي عليه إدراك نوايا المتكلم وقصوده للظفر بالدلالة.³ "لأننا عندما نتحدث عن معنى استعاري لكلمة أو عبارة أو جملة، فإننا نتحدث عما يمكن للمتكلم، وهو يتلفظ بها، أن يعنيه بطريقة تبتعد عما تعنيه هذه الكلمة أو العبارة أو الجملة في الواقع، إننا نتحدث إذن عن النوايا الممكنة للمتكلم"⁴.

كما تكتسب الاستعارة تداوليتها من خلال التأثير الذي تحدثه في السامع في سياق معين، فيتمثل هذا الأثر ويفرز ليتفق على مقصود المتكلم من خلالها.

¹ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص 374 375.

² محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجيةالتناص، ص 82.

³ ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مقارنة بين التداولية و الشعر، ص 64.

⁴ J.searle , sens et expression.

نقلا عن ، محمد الولي، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، ص28.

* / الكناية وقصدية المتكلم:

تعتمد الكناية في مفهومها على التلميح دون التصريح، وعلى معنى ضمني يرمي إليه المتكلم ويقصده، وآخر حرفي يبدو في ظاهر اللفظ. وهي في الأصل - كما جاء في مختار الصحاح: " أن تتكلم بشيء وتريد به غيره"¹، وذلك بغرض من الأغراض يرومها المتكلم. وهي تحمل في جذرها اللغوي دلالة الإخفاء والتلميح في " كنى يكنى، كناية بالشيء عن كذا : ذكره ليدل به على غيره"².

ويقول الجرجاني في تعريفه الكناية بأنها " ترك التصريح بذكر الشيء إلى ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك كما تقول: فلان طويل النجاد لينتقل منه إلى ما هو ملزوم وهو طويل القامة... " ثم يضيف " وسمي هذا النوع كناية لما فيه إخفاء وجه التصريح ودلالة كنى على ذلك لأن

(ك.ن.ى) كيفما تركبت دلت على تأدية معنى الخفاء".

والعناصر التداولية للكناية شبيهة بالعناصر التداولية للاستعارة، فهي تضم قيما تداولية عدة وإشارات تكتنف صياغتها والتعبير بها، إلا أنها تختلف عن الاستعارة في كونها تحيل على مقصود المتكلم بمعنى تلمحي، مع إمكانية قيام المعنى الصريح في الواقع، لإغراقه في الادعاء، فهو يقوم على التصور لا المرجع.³

وإنّ الإفادة ومراعاة قصد المتكلم وغرضه من الكلام يتخللان مختلف المسائل المتعلقة بطرائق نظم العبارة، فهما في عرف البلاغيين قرينتان تداوليتان تساعدان في

¹ الرازي، مختار الصحاح، ص 369.

² المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط31، 1991، ص 701.

³ ينظر: محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، ص 41.

وينظر، خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مقارنة بين التداولية و الشعر، ص73.

تحديد الوظيفة البلاغية النحوية للكلمة في التركيب اللغوي، ولذلك تتبّع علماء العربيّة مختلف الظواهر الأسلوبية المؤثرة في تشكيل وظائف الخطاب، فالفائدة المجتناة من الأقوال لا تحصل بعيدا عن منشئها القاصد إليها. (1) فهي "في العلم بها واقعة من المنشئ لها، صادرة عن القاصد إليها، وإذا قلت في الفعل إنه موضوع للخبر لم يكن المعنى فيه أنه موضوع لأن يُعلم به الخبر في نفسه وجنسه ومن أصله وما هو، ولكنّ المعنى أنه موضوع حتى إذا ضمته إلى اسم عقل منه ومن الاسم أن الحكم بالمعنى الذي اشتقّ ذلك الفعل منه على مسمى ذلك الاسم واقع منك أيها المتكلّم". (2)

12/ بنية الجملة والقصد التواصلي:

* / التقديم والتأخير:

إنّ انعكاس مبدأي القصد والفائدة الإبلاغية في تشكيل بنية الجملة على مستوى التّواصل يتمظهر في المعاني العارضة للتركيب من تقديم وتأخير، وحذف وزيادة، ونفي وإثبات، ونحوه. وإن الحديث عن ظاهرة التقديم والتأخير في الموروث اللساني العربي يستوجب استحضار ثلاثة بحوث مختلفة تناولت هذه الظاهرة كل من زاوية معينة. وهي البحث النحوي، والبحث البلاغي، والبحث الأصولي. فالنحوي ينظر إليها من حيث علاقتها بالقواعد التي تضبط التركيب العربية، مع بقاء العلاقة النحوية كما هي في البنية الأساس، واحتفاظ الخطاب بالدلالة ذاتها(3). بينما

(1) ينظر: صلاح الدين ملاوي، التراكيب النحوية العربية في ضوء التحليل الوظيفي (رسالة دكتوراه مخطوطة) إشراف أ د محمد خان جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص525.

وينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص201.

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ص333.

(3) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص141.

الأصولي ينظر إليها من حيث حاجته إلى تفسير آيات الذكر الحكيم وتأثيرها على الأحكام الشرعية، معتمدا على السياق. بينما يسعى البلاغي - وهو مجال اهتمامنا - إلى اكتشاف مدى اقتضاء المواقف التواصلية للتقديم أو التأخير بحسب غرض المتكلم ومقصوده وهدفه من الخطاب (مقتضى الحال). فإعادة ترتيب العناصر اللغوية لا يكون اعتباطا، بل استجابة تداولية لعناصر سياقية خطابية، وينضوي كل تقديم أو تأخير على قصد معين يبتغيه المتكلم. (1)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن سيبويه تحدث في كتابه عن التقديم والتأخير بكلام يعدّ العمدة وصاحب الريادة فيه، إذ كان أول من بين سرّ هذا اللون البلاغي. وكلّ من سبقه من العلماء اكتفوا بتعريف التقديم والتأخير دون اهتمام أو ذكر للجوانب البلاغية (2)، وفي أبواب نحوية عديدة كان السبب والداعي إلى التقديم في نظره هو دائما عناية المتكلم واهتمامه بالقصد الإبلاغي فوضع بإبرازه مفهوم أهمية هذا الضرب من الأسلوب قاعدة تداولية هامة استثمرها الخلف بعده، مع اختلاف في التعليل، فابن جنّي يرى أنّ آلية التقديم والتأخير من الآليات المألوفة في الخطاب حتّى استحالت إلى نظام مستقلّ. ففي تقديم المفعول وتأخير الفاعل لا يكون ذلك لعلّة نحوية محضة كاتصال الفاعل بضمير المفعول ولكن لعلّة أخرى. (3) قال: "وذلك أنّ المفعول قد شاع عنهم واطرد من مذاهبهم كثرة تقدّمه على الفاعل، حتّى دعا ذلك أبا علي إلى أن قال: إنّ تقدّم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه، كما أنّ تقدّم الفاعل قسم أيضا قائم برأسه وإن كان تقديم الفاعل أكثر، وقد جاء به الاستعمال مجيئا واسعا نحو قول الله عزّ وجلّ" (إنّما يخشى الله من عباده العلماء)

وينظر: رمضان عبد الله رمضان، من القضايا اللغوية والنحوية، ص 114.

(1) ينظر: يوسف تغزاوي: التداوليات وتقنيات التواصل، ص 36.

(2) عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص 81.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 142.

و(ألهأكمُ التكاثرُ). وفي كثير من شعر الشعراء. والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر، فلما شاع وكثر تقديم المفعول على الفاعل كان الوضع له، حتى إنه إذا أُخِّرَ فموضعه التقديم فعلى ذلك كأنه قال: جرى عديّ بن حاتم ربّه، ثمّ قدّم الفاعل على أنّه قد قدّره مقدّمًا عليه مفعوله فجاز ذلك، ولا تستنكر هذا الذي صورته لك ولا يجف عليك، فإنّه ممّا تقبله هذه اللّغة ولا تعافه ولا تتبشّعه... فاعلم أنّه لا تُنقض مرتبة إلّا لأمر حادث" (1) .

وفي هذا النصّ يشير ابن جنّي إلى أنّ التغيير في ترتيب الجملة، إنّما يفرضه السّياق التداولي على المتكلم، فيعمد إلى ذلك استجابة له وابتغاء تحقيق الفائدة ونيل المراد (2) .

وقد ارتبط التقديم والتأخير في البلاغة العربية بأغراض المتكلم ومقاصده، وهو ما يجعله في صميم التداوليات الحديثة. ومن بين هذه الأغراض: التخصيص، والاهتمام بالمتقدم وتعجيل المسرة أو المساءة، والتحذير، والتعظيم، والتبجيل وإفادة التبرك بالمتقدم أو الاستلذاذ به... إلخ. وتعددت أسباب تقديم هذا العنصر وتأخير ذلك عند البلاغيين، فهو عند ابن الأثير . مثلا . يستعمل لغرضين أساسين هما: الاختصاص، ومراعاة نظم الكلام. والسبب الثاني عنده أبلغ و أكد من السبب الأول. ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" (3) يقول أحمد أبو زيد في تفسير سبب التقديم والتأخير في الآية الكريمة " إنه لم يقدم المفعول للاختصاص خلافا للزمخشري، وإنما قدم لمراعاة نظم الكلام لأنه لو قال:

(1) ابن جنّي، الخصائص، تح محمد علي النجار، ج1، ص295 300.

(2) ينظر عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص86.

(3) الفاتحة، الآية 05.

نعبدك ونستعينك لم يكن له حسن"⁽¹⁾. بينما يرى أحمد محمد فارس أن السبب هنا هو التخصيص، ومعنى الآية هو: نخصك بالعبادة والاستعانة.⁽²⁾

ولعلّ الجرجاني أحد الذين عمّقوا النظر والتحليل في هذا المبدأ وبسطوا القول فيه، فهو عنده " علم جم المحاسن واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يسفر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولط عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان"⁽³⁾. وقد عاب على القدامى أن جعلوا التقديم مفيداً طورا، وغير مفيد طورا آخر، وتعليلَه بأنه للعناية تارة وبأنّه توسعة ورخصة للشاعر والكاتب تارة أخرى، فما من مقدّم إلا وله مزية وثمرة فائدة محققة، وذلك دليل على أنّ وجوه التركيب المختلفة تتبع الفروق في القصد والغرض من ورائها. ودعا الباحثين إلى ألاّ يتعلّقوا بداعي العناية والاهتمام الذي وضعه سيبويه، بل ينبغي أن يدركوا أنّ ظاهرة أسلوبية تتصل بالنظم طبقا لمقتضى الحال والغرض المتوخّى من الإبلاغ.⁽⁴⁾ قال عبد القاهر بهذا الصدد: "وقد وقع في ظنون الناس أنّه يكفي أن يُقال قُدّم للعناية ولأنّ ذكره أهمّ، من غير أن يُذكر من أين كانت تلك العناية ولم كان أهمّ. ولتخيّلهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم وهوّنوا الخطب فيه حتّى إنك لتري أكثرهم يرى تتبّعه والنظر فيه ضربا من التكلف ولم تر ظناً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه"⁽⁵⁾. وقد نفذ عبد القاهر من خلال ملاحظته ترتيب الجملة إلى إدراك ما للتقديم من أثر في الدلالة، فوقف في تطبيقاته عند بيان مفهوم القصد في هذه

(1) أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، ص 94.

(2) ينظر : أحمد محمد فارس، الكتابة والتعبير، ص 225.

(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ص 106.

(4) ينظر صلاح الدين ملاوي، التراكيب النحوية العربية في ضوء التحليل الوظيفي (رسالة دكتوراه مخطوطة)

إشراف أ د محمد خان ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 212 529.

(5) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ص 111.

الآلية، إذ يدلّ كلّ تقديم وتأخير على قصد معيّن، لأنّ المرسل يختار من النّظام اللّغوي ما يناسب سياق التخاطب، أمّا القصد والغرض من التواصل هو الذي يحرك ويوجّه الترتيب⁽¹⁾. ومن ذلك توقفه عند الآية الكريمة "واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا" (2) فقال "أنّه يفيد مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى الشمول، وأنّه قد شاع فيه، وأخذه من نواحيه، واستقرّبه، وعمّ جملة، حتى لم يبق من السواد شيءٌ أو لم يبق منه إلّا ما لا يُعتدّ به، وهذا ما لا يكون إذا قيل: اشتعل شيب الرأس، أو الشيب في الرأس"⁽³⁾

ومن القواعد التداولية التي اهتمّ بتحليلها عبد القاهر الجرجاني التقديم والتأخير مع الاستفهام بالهمزة، فالمرسل يُنجز فعلا لغويًا واحدًا وهو الاستفهام ولكن تختلف كيفية الاستفهام، باختلاف الغرض والفائدة المرجوة منه، أي إن قوته الإنجازية قد تأخذ عديد المعاني: كالتقرير، والتوبيخ، والأمر الذي قد يدخله معنى الإباحة والتعجيز وأشباهاها من المعاني التي تقتضيها السياقات، فلا يدل على قوتها الإنجازية المرادة، ومعناها المقصود إلا بالأمور الخارجة، وعمدتها مقتضيات السياق. فإذا كان المشكوك فيه هو الفعل ذاته وكان غرض المتكلم أن يعلم وجوده، قدّم الفعل ووضعه بعد أداة الاستفهام مباشرة، فيقول: أفعلت كذا؟. أمّا إذا كان غرض المتكلم أن يستفهم عن فاعل الفعل لأنّه شاكّ ومتردّد فيه بدأ بالاسم أولاً. (4)

(1) ينظر حليلة أحمد عميرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج

المعاصرة، ص 220.

وينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 142.

(2) سورة مريم، الآية 04.

(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ص 108.

(4) ينظر صلاح الدين ملاوي، التراكيب النحوية العربية في ضوء التحليل الوظيفي (رسالة دكتوراه

مخطوطة) إشراف أ د محمد خان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 212.

وينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 202.

قال الجرجاني: "ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة. فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت: أفعلت؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت: أنت فعلت؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو وكان التردد فيه" (1). أما إذا كان الغرض من الهمزة غير الاستفهام كأن تكون للتقرير مثلاً: بدأ المرسل بالاسم لأن غرضه التأكد ما إذا كان المرسل إليه الفاعل أم لا. ومثل عبد القاهر لذلك بقوله تعالى حكاية عن قول نمرود (أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ) (2)، فقصد المتكلمين من هذا الكلام لم يكن طلب التأكد من إبراهيم عليه السلام أن كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقر لهم بأن الفعل كان منه، فأشاروا له بقولهم: أنت فعلت هذا؟ فكان جوابه (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) (3). ولو كان التقرير بالفعل، لكان الجواب: فعلت أو لم أفعل. (4)

وكذلك الأمر مع النفي، فإذا قدّمت الفعل، فقلت: "ما فعلت كنت نفيت عنك فعلاً لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت ما أنا فعلت كنت نفيت عنك فعلاً ثبت أنه مفعول" (5). ويستوي أمر المفعول في ذلك، فإذا قلت: ما ضربت زيداً مقدّماً الفعل، كنت نفيت عنك ضربه، مع عدم وجوب كونه مضروباً في الأصل. أما إذا قلت ما أنا ضربت زيداً، وجب أن يكون قد وقع على زيد فعل الضرب ربما من غيرك، فيكون قصدك أن تنفي أن تكون أنت الضارب (6).

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ص112.

(2) سورة الأنبياء، الآية 62.

(3) سورة الأنبياء، الآية 63.

(4) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ص115.

(5) عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ص121.

(6) ينظر عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ص121 122.

كما يحتاج المتلقي إلى ضرورة إدراك الأغراض وفهم المقاصد من الخطاب حتى يعرف الفروق بين وجوه الحال وبين وجوه الشرط، فمثلا في الشرط: "إن تخرج، أخرج (يفيد المستقبل)، إن تخرج، فأنا خارج، أنا خارج إن خرجت" وكذلك الأمر بالنسبة لمعرفة الفروق بين أدوات الربط ف"ما" و"لا" كلاهما للنفي، ولكن "ما" لنفي الحال و"لا" لنفي الاستقبال (ما سافرت إلى الخارج)، (لا أسافر إلى الخارج). و"لم" و"لن" كلاهما يفيد النفي، ف"لم" تحول المضارع إلى وجهة خلفية بمعنى تنفي المضارع في الماضي، (لم أسافر إلى الخارج)، و"لن" تتركه يستمر في المستقبل (لن أسافر إلى الخارج) (1)، كما يحتاج المتلقي هنا إلى الإعراب الذي يؤدي دورا هاما في " الإبانة عن المعنى المراد. وهو ضروري لتبليغ المقاصد وإفهام الآخرين في إطار نظام لغوي خاص، حيث يجوز التقديم والتأخير واستعمال صيغة صرفية مكان أخرى". (2)

والملاحظ أنّ التقديم والتأخير في مكونات الجملة العربية مرتبط بأهداف تواصلية مقامية، وقد تمسّ أيّا من مكوناتها لأغراض معينة يتوخاها المتكلم وغايته إيصالها إلى المتلقي، فيقدم العنصر الذي يحبذ التركيز عليه، وقد يكون الفاعل أو المفعول أو الفعل أو نائب الفاعل أو الجار والمجرور أو الصفة والموصوف أو الحال أو التمييز... إلخ. وإنّ ما جاء به عبد القاهر الجرجاني وغيره من القدامى عن مقاصد التقديم والتأخير، والأغراض التي يربوها المتكلم من وراء ذلك واختلاف الفائدة التي يجنيها من تقديم عنصر لغويّ أو تأخيرها، لهو دليل على أسبقيتهم لما يعدّ اليوم أسسا تداولية عند المعاصرين.

* /الحذف والإيجاز:

(1) ينظر : بشير إبرير، دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي، ص 104.

(2) بشير إبرير، المرجع نفسه، ص 104.

بحث النحاة والبلاغيون - على حد سواء - ظاهرتي الحذف والإيجاز وبينوا أهداف كل منهما وأغراضهما ، فالجملة تتكون من عنصرين أساسيين هما: المسند والمسند إليه، وقد يلحق بهذين العنصرين ما يؤدي معاني أخرى مكملة لهما. ووجدوا أنّ ثمة تراكيب لم تُبن على الشكل المفترض لبنائها، لأنّ المعنى قد يقتضي حذف أحد الركنين الأساسيين أو واحد منهما، لتكملة معنى الجملة ، ويكون ذلك لغرض يقصده المتكلم ويعرفه السامع بقريضة لفظية أو غير لفظية. (1)

والحذف تجنب الإطناب في الكلام ووجازة في الألفاظ . وقد حظي هذا الأسلوب " بحظ وافر من عناية البلاغيين وعلماء الدراسات القرآنية. وجملة ما يستفاد من دراسات هؤلاء أن الحذف شكل من أشكال القدرة البيانية، تسمو به العبارة عن الإسفاف، ويشتد أسرها ويتسع مجالها الدلالي وتكثر إيجاعاتها" (2) . وهو في رأي الجرجاني: "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجديك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبين..." (3) ، ويرتبط بالإيجاز في الطريقة التي يتوخاها المتكلم لتبليغ مقصوده، واقتربنا معاً في الأبحاث البلاغية العربية بالعرض من الكلام فعرف الإيجاز بأنه " أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط". (4)

وتناولهم هذه الظاهرة الأسلوبية يعكس اهتمامهم بالكلام ومنتجه ، وقصده من الفعل التّواصل وحال السّامع وفهمه، فأقروا أنّ الحذف لا يكون إلاّ " إذا كان الكلام ذا فائدة بعد الحذف... وباستغناء السامع عند ذكر المحذوف لدلالة المقام أو

(1) ينظر كريم حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص 334.

(2) أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، ص 204.

(3) ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ص 131.

(4) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 277.

القارئ عليه، لأنّ الحذف لا يجوز إذا لم يكن السامع مُدرِكاً قصد المتكلم مستغنياً بما ذكر منه⁽¹⁾. ولكن شرطه أن يكون في الكلام ما يدل على ما حذف من قول، وإلا صار إلغازاً وتعمية.

ونص البلاغيون في مواضع كثيرة على ضرورة الحذف لأسباب تخدم مقاصد المتكلم وتراعي الفائدة من الخطاب، كالتخفيف، والإيجاز، والسعة. ولا يكون الحذف، مطلقاً حيث أردنا الحذف وإنما يكون إذا كان المخاطب عالماً به، فيعتمد المتكلم على بديهية السامع في فهم المحذوف. والعرب جرت عاداتها على الحذف وحبذته في غير موضع من لغتها. ⁽²⁾فالترخيم - مثلاً - هو "... حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفاً كما حذفوا غير ذلك من كلامهم تخفيفاً"⁽³⁾، فيُرْحَم المتكلم اسم سامعه قصد إبداء محبته له، أو تعجيل إفادته بمحتوى الخطاب إذا ما كان الأمر فيه خطر...، وللسبب ذاته تحذف العرب حرف الجرّ في القسم. "ومن العرب من يقول(الله لأفعلن) و ذلك أنه أراد حرف الجرّ وإياه نوى فجاز حيث كثر في كلامهم، و حذفوه تخفيفاً وهم ينوونه"⁽⁴⁾.

أمّا ابن جنّي، فيقول عنه واصفاً التركيب العربي: "اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف... وقد حذف العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة"⁽⁵⁾، وقد أجاز حذف الموصوف شريطة أمن اللبس، ولكي لا تضيع فائدة الخطاب فتُبهم على السامع فيخفى عليه مراد متكلمه. يقول: "وقد حُذِف الموصوف وأُقيمت الصفة مقامه ... وذلك أنّ الصفة في

(1) كريم حسين ناصح الخالدي، المرجع السابق، ص335.

(2) ينظر عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص70.

(3) سيبويه، الكتاب، تح عبد السلام هارون، ج1، ص329.

(4) سيبويه، المصدر نفسه، تح عبد السلام هارون، ج2، ص144.

(5) ابن جنّي، الخصائص، تح محمد علي النجار، ج2، ص360.

الكلام على ضربين ،إمّا للتخليص والتخصيص وإمّا للمدح والثناء، وكلاهما من مقامات الإسهاب والإطناب لا من مظانّ الإيجاز والاختصار. وإذا كان كذلك لم يلق الحذف به ولا تخفيف اللفظ منه، هذا مع ما ينضاف إلى ذلك من الإلباس وضدّ البيان. ألا ترى أنّك إذا قلت:مررت بطويل لم يتبين من ظاهر اللفظ أنّ الممرور به إنسان دون رمح أو ثوب أو نحو ذلك. وإذا كان كذلك كان حذف الموصوف إنّما هو متى قام الدليل عليه أو شهدت الحال به ، وكلّما استبهم الموصوف كان حذفه غير لائق بالحديث. " (1) فلا يُحذف الموصوف إلّا إذا قام الدليل عليه واستغني بسياق الحال عن إظهاره.

كما يُرجع حذف المميّز إلى غرض المتكلم ومراده من الخطاب ، فإن قصد الإبانة ذكره وإن قصد الإلغاز حذفه. قال: " وقد حذف المميز وذلك إذا علم من الحال حكم ما كان يُعلم منها به.وذلك قولك :عندي عشرون ، واشتريت ثلاثين ، وملكت خمسة وأربعين.فإن لم يُعلم المراد لزم التمييز إذا قصد المتكلم الإبانة، فإن لم يُرد ذلك وأراد الإلغاز وحذف جانب البيان لم يُوجب على نفسه ذكر التمييز، وهذا إنّما يُصلحه ويُفسده غرض المتكلم و عليه مدار الكلام"(2).

أما أغراض الحذف فتتعدد وتختلف مقامات ورودها من موضع إلى آخر، فتختلف الحالة " التي تقتضي طي ذكر المسند إليه فهي: إذا كان السامع مستحضرا له. عارفا منك القصد إليه عند ذكر المسند، والترك راجع إما لضيق المقام وإما للاحتراز من العبث بناء على الظاهر، وإما التخيل أن في تركه تعويلا على شهادة العقل، وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر، وإما لإيهام أن في تركه تطهيرا للسان عنه أو تطهيرا له عن لسانك، وإما للقصد إلى

(1)ابن جني ،الخصائص، تح محمد علي النجار، ج2،ص366.

(2)ابن جني ،المرجع نفسه، تح محمد علي النجار، ج2،ص36.

عدم التصريح ليكون ذلك سبيلا إلى الإنكار، إن مست إليه حاجة، وإما لأن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة كقولك: خالق لما يشاء فاعل لما يريد، وإما لأن الاستعمال وارد على تركه، وترك نظائره. كقولهم: نعم الرجل زيد، على قول من يرى أصل الكلام: نعم الرجل هو زيد، وإما لأغراض سوى ما ذكر، مناسب في باب الاعتبار بحسب المقامات لا يهتدي إلى أمثالها إلا العقل السليم والطبع المستقيم".⁽¹⁾

ولعناصر المقام أهمية بالغة في تفسير المحذوف من أجزاء الجملة. وقد قيل في الصفة أنه "لا يحسن حذفها... لأن الغرض من الصفة إما التخصيص، وإما الثناء والمدح، وكلاهما من مقامات الإطناب والإسهاب، والحذف من باب الإيجاز والاختصار، فلا يجتمعان لتدافعهما، وقد حذفت الصفة على قلة وندرة وذلك عند قوة دلالة الحال عليها، وذلك في قولهم (سير عليه ليل)، وهم يريدون ليل طويل وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك بأن يوجد في كلام القائل من التفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل...".⁽²⁾

وإضافة إلى أن الحذف مرتبط ارتباطا وثيقا بقصد المتكلم، فإن مفهومه يلتقي أيضا بمفهوم الافتراض المسبق الذي يعد أحد مباحث اللسانيات التداولية التي تهتم بالمعارف المشتركة بين المتكلم والسامع، أي ما هو معروف لديهما معا قبل إجراء الخطاب وهو "مفهوم براغماتيكي تتضمنه العبارة في المقام الذي ترد فيه من حيث المعلومات المشتركة لدى المتكلم والمخاطب"⁽³⁾.

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، ص176.

(2) ابن يعيش، شرح المفصل، ص. نقلا عن بلقاسم حمام، فكرة المقام في النحو العربي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ماي 2007، ع11، ص133.

(3) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص149.

و يمكن القول إن البلاغيين والنحاة أجازوا الحذف إذا أمن اللبس وحصلت الفائدة وعلم مراد المخاطب من الكلام؛ إذ إنه ليس مجرداً من الإرادة والقصود، بل تنوي وراءه غاية نفسية معنوية.

ومحصول القول: إن محاولة الكشف عن الأبعاد التداولية في البلاغة العربية أمر شائك ومعقد، نظراً لعدد القضايا والظواهر اللغوية التي شكلت الأساس الإبستيمي الذي تأسس عليه الفكر اللساني/ البلاغي العربي القديم. فالإطار الإبستيمي الذي حرك البحوث اللغوية العربية القديمة شاسع ومتشعب يصعب حصره، ولذلك اكتفينا بالإشارة إلى أهم الظواهر والقضايا البلاغية التي يمكن أن تكون لها وظائف تداولية بالمفهوم الحديث مركزين على قضية المقام (مقتضى الحال)، وعلم المعاني باعتباره أقرب علم بلاغي عربي إلى المجال التداولي.



الختامة



أما وقد وصلنا إلى نهاية هذه الرحلة من البحث، نهاية أقل ما يقال عنها إنها لم تصل إلى درجة من النضج والاكتمال، بحيث لا تترك مجالاً للإضافة أو التوجيه. وبعد الخوض في غمار هذا البحث المعنون بـ "القصديّة الإبلاغيّة في الموروث اللساني العربي دراسة للأسس النظرية والإجرائية في البلاغة العربية"، والوقوف على أهم جوانبه، مع محاولة توخي إيضاح المعالم الكبرى التي تبين صلة الموروث العربي القديم بالدراسات الحديثة، وذلك في إطار قراءة استقرائية لبعض المقولات البلاغية التي احتفى بها علماءنا البلاغيون القدامى، وسبر أغوارها واكتناه أسرارها - دون تقديس طبعاً -.

وقد أفضى هذا البحث إلى مجموعة من النتائج تتعلق في مجملها بماهية اللسانيات التداولية، وأصولها اللسانية والفلسفية في الفكر اللساني الغربي؛ إذ إن هذا الفرع اللساني الحديث تعدى حدود الجملة، وأوجد تصورات ومفاهيم جديدة تهتم باللغة أثناء الاستعمال، وترتبط السياق اللغوي بمحيطه وظروفه التبليغية. كما يتطلب الموقف التواصلية متكماً له مقصد يودّ إيصاله إلى شريكه في العملية التواصلية (المخاطب)، وفائدة يبتغي تحقيقها بعد كل تخاطب تكون ثمرة له ونتيجة لازمة عنه، ثم مستمعا ينتمي إلى الجماعة اللغوية نفسها التي ينتمي إليها المتكلم يكون قادراً على الاستنباط والاستنتاج، في ظل التعاون التواصلية القائم بينهما المبني على خلفيات تتحكم فيها الأعراف الاجتماعية والضوابط الأخلاقية المحيطة بمقام الخطاب، كل ذلك حتى يحصل الفهم والإفهام.

وننتج أخرى تتعلق بماهية النظرية القصديّة وتاريخها وعلاقتها بالوعي ثم بالفلسفة اللغوية، وانتقال هذا المفهوم من الفلسفة العقلية إلى فلسفة اللغة، ثم نتائج تخص الملامح التداولية - وبالأخص القصد الإبلاغي - المتناثرة بين طيات الموروث البلاغي من خلال بعض المقولات البلاغية التي كانت كثيرة يصعب حصرها، لذلك كان الاهتمام بأهمها وأوضحها تتاولاً لما يمكن أن يكون قريباً من النظرية القصديّة التواصلية، مما يثبت أن العلماء العرب كانوا غير بعيدين عن صميم موضوع هذا الحقل المعرفي الحديث المصطلح عليه بـ "التداوليات".

ويمكن أن نلخص نتائج البحث في الآتي:

- 1/ التداولية مصطلح فضفاض ومتشعب تعددت مصطلحاته وتعريفه ومفاهيمه وأصوله الفلسفية، تبعا لتخصصات أصحابه وجهودهم، إذ اهتموا بالجانب الاستعمالي للغة.
- 2/ التداولية في جوهرها تقوم على رفض ثنائية اللغة/ الكلام (langue/ parole)، التي نادى بها رائد اللسانيات الحديثة فردينان دي سوسور القائلة إن اللغة وحدها -دون الكلام- هي الجديرة بالدراسة العلمية، ولذلك فإن التداولية تعنى بالبحث في العلاقات القائمة بين اللغة ومتداوليها من الناطقين بها، فتأخذ على عاتقها تحليل الكلام ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها أثناء التواصل اللغوي.
- 3/ إن حقيقة اللغة لا تشتمل على جانب صوري شكلي فقط، بل لها جانب استعمالي وظيفي تداولي وقصدي بالدرجة الأولى.
- 4/ للفلسفة التحليلية بفروعها الثلاثة: الوضعانية المنطقية، والظاهرانية، وفلسفة اللغة العادية، فضل تغير اتجاه الدراسات اللغوية من البنوية الشكلية إلى الوظيفية الاستعمالية؛ وبالتالي المساهمة في نشوء التيار التداولي.
- 5/ إن أوستن وبعد دحضه المغالطة الوصفية أكد أن اللغة لا تصف الواقع فقط، بل لها القدرة على تغييره وإنجاز أعمال بواسطة الأقوال اللغوية.
- 6/ يعدّ مفهوم الفعل الكلامي مفهوما محوريا، وأضحت نظرية أفعال الكلام نواة الدراسات التداولية، فارتبطت بها كل الأبحاث التداولية، وبالمقصد والفائدة الإبلاغيين.
- 7/ اقترن مفهوم الفعل الكلامي بالسياق التداولي، فالتداولية تهتم بطرفي الخطاب وتضع شروطا للمتكلم من خلال توفر مقاصده ومشاركته في الحدث الكلامي وتأثيره على المتلقي، فالدراسة التداولية تتطلب النظر في جميع عناصر الخطاب، بالإضافة إلى اهتمامها بمفاهيم أخرى: كالاقتراض المسبق، والاستلزام الحواري والإشاريات... إلخ.

8/ إن الاهتمام بالمقصد الإبلاغي وربطه بمفهوم الفعل الكلامي أدى إلى التوصل، إلى أنه عامل أساس في الاستعمال اللغوي وتأويل الخطابات والكشف عن دوره في العملية التواصلية..

9/ إن القصدية تعني التوجّه مطلقاً، وهي في فلسفة العقل تعني توجه العقل البشري نحو الأشياء الخارجية التي يمثلها لنفسه، وفي فلسفة اللغة تعني توجه المتكلم باللغة نحو المعاني التي يؤمها، حتى يعبرَ عمّا يريد استناداً إلى قصدية العقل التي تحوي صوراً تمثيلية متعددة فقصدية اللغة مستمدة من قصدية العقل.

10/ هناك معنيان للمقاصد: الإرادة والمعنى؛ فالقصد بمعنى الإرادة يؤثر في الحكم على الفعل بصفته غير تابع لشكله الظاهري، بل للمقاصد الباطنة لدى الفاعل، وهي الزاوية التي فرّق منها أوستن وسيرل بين المعنى التعبيري والقوة الغرضية للفعل الكلامي. أما القصد بمعنى المعنى، فمن منظور أن المعاني هي المقصودة من الألفاظ المتواضع عليها والتي تكون وسيلة لإدراكها، فالمعنى هو المقصود.

11/ أدرك سيرل أهمية القصدية الإبلاغية من خلال القصدية العقلية، وبالمقابلة والمقارنة بينهما فسّر قصدية أفعال الكلام (قصدية المعنى)، وأكد أن قصدية اللغة هي قدرة أفعال الكلام على تمثيل الأشياء في العالم الخارجي، عن طريق حالات عقلية، وأن المتكلم يمثل المعنى لنفسه بوساطة الحالات العقلية المختلفة التي يمتلكها، ثم يملأ ألفاظه بهذه المعاني ويوجّهها إلى السامع فيفهمه قصده.

12/ وسّع غرايس النظرية القصدية بما اقترحه من قواعد للتخاطب التي تقوم على مبدأ التعاون الذي يشتمل على توحيد الفاعلية العقلية والنفسية والاجتماعية والثقافية... للمتخاطبين؛ لأجل تحقيق الغرض من التواصل.

13/ عرف العلماء العرب في العصور القديمة فكرة التداولية والقصد الإبلاغي وغيرهما، وناقشوها في كثير ممّا وصلنا من التراث، وهم وإن لم يؤصلوا لذلك اصطلاحاً، فقد توافروا

على كل ما يتصل به من مظاهر لغوية تنبثق من سياقات الاستعمال اللغوي الدائرة في مستوى التخاطب الفعلي.

14/ لم يكن الاهتمام بالتداولية وما يتصل بها من مفاهيم مثار اهتمام اللغويين من النحاة وعلماء البلاغة فحسب، بل اعتنى بها عناية شديدة كل من علماء المنطق والفلسفة والأصوليين والفقهاء...

15/ استعمل البلاغيون مصطلحات : الأغراض، والغايات، والمراد، والمعاني...على أنها مترادفة تؤدي المعنى ذاته، وجمعت كل تلك المصطلحات حديثاً في مصطلح جامع هو "القصديّة" ، الذي يشير إلى المقصد الإبلاغي الذي يريد المتكلم إيصاله للسامع.

16/ العلاقة بين البلاغة والتداولية تكمن في مجال اهتمامهما، فموضوع كل منهما هو دراسة الاستخدام اللغوي بوصفه فعلاً ممارساً على المتلقي يحقق التواصل.

17/ ارتبط مفهوم القصد في البلاغة العربية بعديد المباحث كوظيفة الكلام والمواضعة والمقام (مقتضى الحال) والمطابقة والإحالة والإنشاء والمجاز من القول، بما فيه التشبيه والاستعارة والكناية... وما يمكن أن يطرأ على الأسلوب العربي من تقديم وتأخير وحذف وزيادة...إلخ.

ومحصول القول إن الحديث عن قصد المتكلم يكاد يكون حاضراً في جميع المباحث البلاغية التي يصعب حصرها في هذا البحث، وهو مشابه بنسبة كبيرة لما ورد في النظريات القصديّة في اللسانيات التداولية.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بكل آيات الشكر والامتنان والتقدير لأستاذي المشرف الدكتور محمد خان حفظه الله ورعاه.

وبالله التوفيق.

ملخص:

لم يعد التيار البنوي هو التيار الوحيد الذي يهيمن على ساحة الدراسات اللسانية، فقد أفرزت المعرفة المعاصرة نظريات ومفاهيم لغوية متباينة في الأسس المعرفية، انبثقت عنها تيارات لسانية جديدة، منها التيار التداولي الذي أعاد الاعتبار لمستعملي الخطاب، حيث إنه يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات التي تحيط بالعملية الكلامية؛ أي أن غايته هي معرفة كيفية حصول التفاهم بين المتخاطبين.

وجوهر فلسفة التداولية تقوم على التشديد على سمة " القصدية " والمرادية في الخطاب، وهو ما يؤول إلى القول بأن التفاهم الناجح لا يحدث إلا إذا أدرك المخاطب مراد المخاطب.

أما أصول مباحث التداولية فقد يجد الناظر منها بغيته في كتب الأصول، وفي كتب اللسانيات، والمنطق، والفلسفة، وغيرها. غير أن الدراسات الأصولية كان لها فضل السبق إلى الاهتمام بدراسة مقاصد الخطاب الشرعي، وذلك لإدراك مقاصد صاحب الرسالة. وقد تطلب صوغ تلك الأصول قراءة معمقة ودقيقة للأصول الفلسفية والمعرفية التي انبثقت عنها النظرية القصدية للأصوليين، فوجدناها نظرية لها جميع مواصفات النظرية، من مسلمات، ومساطر، وجهاز مفاهيمي، وهي ليست بالأقل شأنًا من نظريات تحليل الخطاب المعاصرة.

وقد جاءت الأطروحة في بابين ومدخل، حيث يشتمل الباب الأول على ثلاثة فصول، والباب الثاني على فصلين.

أما المدخل فقسمناه إلى مبحثين: المبحث الأول خصصناه للمدخل الاصطلاحي الذي عرضنا فيه التعريفات اللغوية والاصطلاحية لمصطلحات: الأصول، والفقهاء،

والنظرية، والمقاصد، بينما خصصنا المدخل التاريخي لنشأة علمي أصول الفقه و المقاصد وتطورهما.

أما الباب الأول فخصصناه لنظريات المقاصد عند الأصوليين، مؤكداً اشتغال علم المقاصد على ثلاث نظريات أصولية متميزة فيما بينها: أولاً، نظرية المقاصد؛ وهي تبحث في المضامين القيمية للخطاب الشرعي، والثانية نظرية المقصودات، وهي تبحث في المضامين الدلالية للخطاب الشرعي؛ والثالثة نظرية القصد، وهي تبحث في المضامين الشعورية أو الإرادية.

فيما عرجنا في الباب الثاني على المناخ الفكري والفلسفي الذي ظهرت فيه التداولية، لنوضح في الفصل الأول منه مفهوم الفلسفة التحليلية، ونستعرض أهم فروعها على صعيد الفكر الغربي المعاصر، وموقفها من التداولية.

أما الفصل الثاني من هذا الباب فخصصناه لاستعراض النظريات التداولية القصدية عند كل من الفلاسفة: أوستين AUSTIN، وسيرل Searle، وغرايس Grice وصولاً إلى النظرية الحجاجية عند ديكرود Ducrot. مذيّلين بحثنا بخاتمة تضم أهم النتائج المتوصل إليها.

Résumé :

Le courant structuraliste n'est plus considéré comme le seul courant dominant sur le terrain des études linguistiques, car des recherches modernes ont donné naissance à de nombreuses théories et définitions linguistiques différentes au niveau des bases de savoirs. A partir d'elles, de nouvelles approches linguistiques ont émergé tel que, l'approche pragmatique qui a pris en considération les interlocuteurs, en étudiant la relation de l'activité langagière avec ses utilisateurs. Elle s'intéresse aussi aux méthodes et manières d'utiliser les indices linguistiques avec efficacité, et aux contextes qui entourent le processus langagier. Son but est donc de trouver la méthode adéquate afin d'avoir une intercompréhension entre les interlocuteurs.

La philosophie pragmatique se base sur « l'intentionnalité » dans le discours, c'est-à-dire, l'interlocuteur doit saisir l'intention du locuteur afin qu'il y est intercompréhension.

Les ouvrages sur les jurisprudences, la linguistique, la logique, la philosophie, etc. Ils sont la meilleure source concernant les recherches pragmatique. Sauf que les études sur la jurisprudence

avaient de l'avance en s'intéressant aux études sur l'intentionnalité des discours légitimes, afin de parvenir aux intentions du locuteur. Ce qui nous a demandé une lecture approfondie et précise sur les origines philosophiques et cognitifs d'où les théories intentionnelles ont émergées. Nous avons constaté que c'est une théorie qui a les caractéristiques coté acceptions, règles, instruments de définitions, qui n'est pas moins importante des théories d'analyse moderne du discours.

Notre travail s'articule autours de deux chapitres et une entrée :

Tout d'abord, l'entrée est devisée en deux thèmes, en réservant le premier à des définitions de concepts. Alors que le champ historique est destiné à la naissance des sciences du Fiqh et l'Intentionnalité et leur développement.

Ensuite, le premier chapitre est destiné aux théories intentionnelles chez les jurisprudences, en affirmant le fait que la science intentionnelle contient trois théories différentes l'une de l'autre.

Puis, nous avons réservé le deuxième chapitre à la condition mentale et philosophique dans laquelle est apparue la pragmatique. Afin d'explicitier dans la première section le concept de la

philosophie analytique et de démontrer ses principales branches au niveau de la pensée occidentales moderne et leurs opinions sur la pragmatique. Quant à la deuxième section, nous avons évoqué les théories pragmatiques intentionnelles chez les philosophes : Austin, Searle, Grice arrivant à la théorie argumentatif de Ducrot.

Nous avons achevé notre travail avec une conclusion contenant les résultats auxquels nous avons aboutit.



قائمة المصادر والمراجع





فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

مقدمة:.....أ-ج.

مدخل: مفاهيم تداولية مركزية

تعريف التداولية

لغة.

ب/ مصطلح التداولية

مهام التداولية

درجات التداولية

متضمنات القول

الافتراض المسبق

الإشارات

ا/ الإشارات الشخصية

ب/ الإشارات الازمانية

ج/ الإشارات المكانية

هـ/ الإشارات الخطابية (النصية)

و/ غلاشريات الاجتماعية

الحجاج

مفهوم الحجاج

الحجاج في اللسانيات والدراسات التداولية

الفصل الأول: .التداولية: أصول وامتدادات فلسفية ولسانية

1/ الأصول الفكرية والفلسفية للتداولية

- الفلسفة البراغماتية وعلاقتها بالتداولية
- مفهوم الفلسفة التحليلية وأهم فروعها
- مدرسة أكسفورد (فلسفة اللغة العادية)

2/ الأصول اللسانية للتداولية

- مساهمات بيرس
- مساهمات موريس
- النظرية السياقية والتداولية
- المغالطة الوصفية ونظرية أفعال اللغة
- نظرية أفعال الكلام

• نقد ومراجعات

الفصل الثاني: القصدية من الفلسفة إلى اللغة (مفاهيم
وتحديدات)

1/ تعريف القصد

2/ مصطلح القصد

3/ القصد والوعي

4/ تاريخ مفهوم القصدية

5/ القصدية والمعنى في فلسفة بول غرايس

• النظرية القصدية وبنية الجملة

• النظرية القصدية والمعنى اللغوي

6/ سيرل في سياق الفلسفة التحليلية

• القصدية والمفهومية

• من الفعل الكلامي إلى قصدية العقل

7/ طبيعة القصدية

8/ المقصد التواصلي في الدراسات التداولية:

● القصد بمفهوم الإرادة

● القصد بمفهوم المعنى

الفصل الثالث: ملامح القصدية في الموروث البلاغي العربي (دراسة لبعض المقولات البلاغية)

1/ البلاغة: نظرة إلى إشكالية التداخل بين البلاغة والنحو والتداولية

2/ وظيفة الكلام وعلاقته بالمواضعة والقصد والحاجة إليهما

3/ المقام بين البلاغة العربية واللسانيات التداولية

● التداولية والمقام

● البلاغة العربية والمقام

● المقام والمطابقة مقياسا للبلاغة

4/ المطابقة ووظيفة اللغة في الفكر العربي

● المطابقة ومرجعياتها في الفكر البلاغي العربي

● المطابقة وقصدية المتكلم

5/ قصد المتكلم بين الإحالة والإنشاء

6/ المتكلم بين مطابقة الواقع ومطابقة الاعتقاد

7/ قصد المتكلم ومعنى القول والاعتبارات المقامية

8/ المجاز ومراعاة المقاصد والأغراض

● التشبيه وقصد المتكلم

● الاستعارة وقصدية المتكلم عند الجرجاني

● الكناية وقصدية المتكلم

9/ بنية الجملة والقصد التواصلية

● التقديم والتأخير

● الإيجاز والحذف

الخاتمة:.....

ملخص.....

فهرس المصادر والمراجع.....

فهرس الموضوعات:.....

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع.

-قائمة الكتب العربية:

1. إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ج1، 1999، 1م.
 2. الإبراهيمي (خولة طالب) ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبه للنشر ، الجزائر ، 2000.
 3. إبرير بشير ، دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي ، منشورات مخبر اللسانيات اللغة العربي كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة باجي مختار ، مطبعة المعارف ، عنابة ، فيفري ، 2007.
 4. أحمد بن مصطفى ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دائرة المعارف، بحيدرآباداكن، الهند، 1980/1977.
 5. أحمد محمد فارس ، الكتابة والتعبير ، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ، ط3، لبنان ، 1409هـ - 1989م .
 6. أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، 1995 .
- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي ، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000م.
7. إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراند وولفجانج دريسلر
 8. أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، ترجمة سعيد بن كراد المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 2000.

9. الآمدي (الإمام الحسن بن بشر بن يحيى) ت 631هـ ، الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، دت.
10. آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، تموز (يوليو) 2003م.
11. أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهرية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2008م.
12. أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام؟، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991م.
13. بوخنسكي، تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة محمد عبد الكريم وافي، مؤسسة الفرجاني، ليبيا، دت.
14. بومسهولي عبد العزيز ، أسس ميتافيزيقا البلاغة تقويض البلاغة ، مجلة فكر ونقد دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب ، س3 ، ع25 ، يناير 2000.
15. بوقرة نعمان ، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، اربد ، الأردن ، 2002.
16. بوجادي خليفة : - في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 2012.
- في اللسانيات التداولية ، مقارنة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012.
17. بيار أشار، سوسيوولوجيا اللغة، تعريب عبد الوهاب ترو، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

18. بيرس (تشارلز ساندرس)، تصنيف العلامات، ترجمة فريال جبوري غزول ، منشور ضمن كتاب أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة ، إشراف سيزا قاسم ، نصر حامد أبوزيد ، دار الياس العصرية ، القاهرة ، مصر ، 1986 .
19. بيير جيرو، علم الإشارة السيميولوجية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.
20. تشارلز موريس، تأسيس نظرية العلامات، 1938.
21. تمام حسان ، اللغة اللعربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1999.
22. التهانوني ، كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق لطفي عبد البديع ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر 1963.
23. ج ب براون و ج يول، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود ، الرياض ، السعودية ، 1997.
24. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1992.
25. الجابري (محمد عابد)، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط2 ، 1991.
- 26.
27. الجاحظ (عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، (د.ط)، ج1.
28. جان غراندان، المنعرج الهرمنيوطيقي للفينومينولوجيا، ترجمة وتقديم عمر مهيبيل ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ، 2007م.
29. الجرجاني عبد القاهر : - دلائل الاعجاز ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1424 - 2004.

- اسرار البلاغة ، تصحيح وتعليق السيد محمود رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ،
د.ت.

30. جميل عبد الحميد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر ، د ط ، دت .
31. ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار
الكتب المصرية، ط 1381، 2هـ 1952م.
32. جون ر سيرل: - الأعمال اللغوية ، (كما هو معرف في كتاب التداولية من اوستن
الى غوفمان) ، ترجمة صابر الحباشي .
33. جون سرفوني، ترجمة قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1998.
34. الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات
الجامعية بن عكنون، الجزائر، 11/1992م.
35. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار
العرب الإسلامي ، بيروت ، ط 3 ، 1963.
36. حسن محمد الكحلاني، فلسفة التقدم دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفاعلة في
التاريخ، مكتبة مدبولي، دط، 2003م.
37. حسين حامد الصالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دار بن حزم ، لبنان ، ط 1،
2005.
38. حمادي صمودي، في نظرية الأدب عند العرب، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ،
السعودية ، ط 1 ، 1990.
39. حمو ذهبية لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة
مولود معمري تيزي وزو دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع 2005.
40. حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،
مصر ، ط 2 ، 1993.

41. حليلة احمد عمارة ، الاتجاهات النحوية لدى القدماء ، دراسة تحليلية ، في ضوء المناهج المعاصرة ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2006 .
42. الخطيب القزويني، الإيضاح، مج1، ج1، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1993.
43. الخفاجي (ابن سنان) 684هـ ، سر الفصاحة، تحقيق علي فوده ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1994.
44. ابن خلدون (عبد الرحمن)،المقدمة (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 1421 هـ، 2000م.
45. خوسيه ماريا بوثويلو إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو أحمد،دار غريب ، القاهرة، مصر ، 1991.
46. الرازي(فخر الدين)، مختار الصحاح، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1987.
47. الرازي (الفخر) ،التفسير الكبير مفاتيح الغيب،ج1،(م 39 في المعنى)، المطبعة البهية ، القاهرة ، مصر ، ط1، 1938.
48. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط5 ، ج 1 ، 1981.
49. الرماني(علي)،ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الرسالة الثانية النكت في إعجاز القرآن الكريم تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف ، القاهرة، مصر ، ج م ع ، ط2 ، 1968.
50. رمضان عبد الله رمضان ن من القضايا اللغوية والنحوية ، مكتبة بستان للمعرفة لطبع ونشر والتوزيع الكتب، الإسكندرية ن مصر ، 2005.

51. رودنجر بوبنز، الفلسفة الألمانية الحديثة، ترجمة فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت.
52. السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد)، مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1983.
53. عبد السلام المسدي:- التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، ط 1، 1981، ط 2، 1986.
- قراءات مع الشابي والمنتبي والجاحظ وابن خلدون، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1984.
54. سلوى النجار، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار، (نحو رأيا جديدة في قضايا اللغة عند الجرجاني)، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 1، 2010.
55. صابر الحباشة:
- صلاح إسماعيل :- - فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2007م.
- نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005.
56. مسعود صحراوي، التدوائية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية "في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، تموز يوليو 2005م.
57. صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1993م.
58. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط 1، 1996م.

59. طه عبد الرحمان:- في أصول الحوار وتحديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 2000.
- اللسان والمزان او التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط 1 ، 1998.
60. عز العرب لحكيم بناني، الظاهرية وفلسفة اللغة تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية ، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ، أفريقيا الشرق ، بيروت، لبنان، 2003 م.
61. عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، شركة الجلال للطباعة، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002م.
62. العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري) ، الصناعتين الكتابة والشعر : - النسخة الأولى تحقيق الدكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1981.
- النسخة الثانية ، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر . ط2 ، 1971.
63. العلوي (يحيى بن حمزة علي بن إبراهيم اليمني 749هـ) ، الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، ضبط وتدقيق محمد عبد السلام شهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1995.
64. علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1421 هـ 2000م.
65. علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة العراقية ، بغداد ، العراق ، ط 1 ، 1986.
66. علي عزت ، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، شركة أبو الهول للنشر ، مصر ، ط 1 ، 1996 .

67. العمري محمد : - البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، بيروت ، 1999.
- في بلاغة الخطاب الاقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطاب في القرآن نموذجاً، افريقيا الشرق ، المغرب ، لبنان ، ط2 ، 2002.
68. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2003 م.
69. عيد بلبع، البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، من اللسانيات الى النقد الادبي والبلاغة ، بلانسية للنشر والتوزيع ، المنتوفية ، مصر ، ط1 ، 1430 - 2009.
70. الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد) ت505هـ، المستصغى من علوم الأصول، تحقيق حمزة بن زهير حافظ، ج1، مكتبة العبيكان ، الرياض ، السعودية ، 1993.
71. ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، ج2، 2، 1991.
72. فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، دت.
- فان دايك: - النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي ، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000م.
- نظرية الادب في القرن العشرين (النص بنياته ووظائفه مدخل اول الى علم النص) ن ترجمة وتدقيق محمد العمري ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1996.
- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، مصر ، 2001.
73. عبد الفتاح البركاوي: دلالة السياق، دار المنار، القاهرة ، مصر ، ط1، 1997.

74. فتجنشتاين، بحث في الفلسفة والمنطق ، باريس ، 1986 (ضمن كتاب
سوسيولوجيا اللغة ترجمة عبد الوهاب ترو .
75. فرا نسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر
والتوزيع، ط1، 1987 م.
76. فيليب بلا نشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان ،ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار
للنشر والتوزيع، اللاذقية ،سوريا، ط1، 2007 م.
77. القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد(الشرعيات)، ج07، ج
17، الفرق غير الإسلامية ، تحقيق محمود محمد الخضير ، الدار المصرية للتأليف والترجمة
القاهرة ، مصر دت.
78. قدامة بن جعفر(ت 337) ، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ،
القاهرة ، مصر ، ط3 ، 1979.
79. عبد القادر حسين ، اثر النحاة في البحث البلاغي ، دار غريب للطباعة والنشر
والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1998.
80. كمال بشر، فن الكلام، دار غريب ، دط ، 2003.
81. كريم حسين ناصح الخالدي ، نظرية المعنى في الدراسات النحوية ، دار صفاء للنشر
والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2006.
82. المبرد (محمد بن يزيد 285هـ) ، الكامل، تحقيق محمد أحمد الدالي، مج2 ، مؤسسة
الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1993.
83. محمد العبد، العبارة والإشارة، (دراسة في نظرية الاتصال ، مكتبة الآداب ، القاهرة ،
مصر ، ط2 ، 2007.
84. محمد الولي، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، ط1 ، الدار البيضاء ،
المغرب ، د ت .

85. محمد خطايي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط1 ، 1991.
86. محمد خلف الله، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، المطبعة العالمية ، القاهرة ن مصر، ط2 ، 1970.
87. محمد غاليم، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، مبادئ وتحليل جديدة، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2007.
88. محمد فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1405هـ - 1985م.
89. محمد كريم الكواز، النقد والبلاغة، الانتشار العربي ، بيروت ، ط1 ، 2006.
90. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناس، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ن بيروت ، لبنان ، يوليو ، 1992.
91. محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1404 هـ 1984 م.
92. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002م.
93. محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، المغرب ، ط1، 2000م.
94. المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
95. ابن منظور (محمد بن مكرم ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
96. المراغي (احمد مصطفى) ، علوم البلاغة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، دت .

97. ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل النقد الأدبي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002 م.
98. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، آذار/مارس 2004 م.
99. هشام الريفى، دراسة التشبيه بين التركيب النحوي والدلالي عند البلاغيين العرب القدامى، حوليات الجامعة التونسية، 1988.
100. هنريش بليت، البلاغة والاسلوبية، ترجمة محمد العمري، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1989.
101. واورزنيك (ستيسلاف)، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
102. ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.
103. ابن يعيش، شرح المفصل، قدم له وعلق عليه ايمايل بديع يعقوب، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
104. يوسف تغزاوي، التداوليات وتقنيات التواصل، مطبعة بنلفقيه الراشدية، ط1، 2012.

- قائمة الكتب الأجنبية:

1-Austin(john langshaw)

- Quand dire cest faire

Trad:francaise de Gilles lan-Editions du seuil 1970.

- How to do things whith words

2-Benveniste(emile) Probleme de linguistique générale.

- 3- David Zemmour Intiation A la linguistique
 - 4-Ducrot(oswald) T Todorov Ency Lopedia Dictionary Of the sciences of language
 - 5- Ducrot (oswald) les echelle Argumentatives
 - 6- Eric Grillo La philosophie Du Langage collection memo seuil. 77 paris 1997.
- F R Palmer Semantics
 - F Latraverse La pragmatique
 - G Leech the Principles of Pragmatics
 - Grystal D A Dictionary of Linguistics And Phonetics
 - Jaques Moexhler et Antoine Auchlin Itroduction A La Linguistique contemporaine Librairie Armqnd colin paris 2001.
 - Jef vershueren Understanding Pragmatics
 - J .R.Searle Speech
 - Acts an essay in the philosophy of language
 - Sens et expression
 - Jean Cohen Theorie de la figure in T todorov Semantique de la poesie ed paris 1979
 - J.Thomas Meaning in interaction,An introduction to pragmatics
 - M.A.k.Halliday,Ruquaya Hassan,Cohession in englich(1976)
 - Magee;Bmen of Idiess,the viking Press, new york;1978

- Meyer Michel, Logique , Language et argumentation hachette université ; 2eme edition , paris ; 1982.

- Paul Grice, Studies in the way of words,
p.f. strawson Intention and convention in speech act, in basic topics in the philosophy of language

- Stephen.c.levinson Pragmatics

الرسائل :

1. صلاح الدين ملاوي ، التراكيب النحوية العربي في ضوء التحليل الوظيفي ، (رسالة دكتوراه مخطوطة) ، اشراف الأستاذ الدكتور محمد خان ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، 1426-1427 هـ ، 2006-2007 م .

2. نصر الدين وهابي، الأبرعون حديثا للشحامي من منظور تداولي، (رسالة ماجستير مخطوطة)، إشراف أ د محمد خان ، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر ، 2003/2004 م.
المجلات والدوريات :

1. أنطوان ج خوري، حول مقومات المنهج الفينومينولوجي، مركز الإنماء القومي، ع 8 و 9، كانون الأول والثاني، بيروت، لبنان، 1981 م.

2. أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية أهميتها مصادرها وسائل تنميتها، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 212، 1996 م.

3. احمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن دراسة في التنظيم المعنوي والصوتي ، منشورات كلية الآداب ، الرباط ، سلسلة رسائل واطروحات ، رقم 19 ، 1992 .

4. أوزوالد ديكرو و جان ماري شايفر، مقام الخطاب، مقال ضمن القاموس الموسوعي لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 2 ، 2007 .

5. إدريس بلمليح ، من التركيب البلاغي الى المجال التصويري عن عبد الله راجع من قضايا التلقي والتأويل ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ،

- المغرب ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 36 ، 1995 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب .
6. بلقاسم حمام، فكرة المقام في النحو العربي، مجلّة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع11، ماي 2007م.
7. بلعابد عبد الحق، تداوليات الخطاب القانوني، ملتقى علم النص، مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع17، جانفي 2006 م.
8. تمام حسان، قضايا المصطلح الأدبي، مجلة فصول، م07، ع3 و4، أبريل /سبتمبر 1987.
9. جون ر سيرل، من سوسير إلى فلسفة اللغة، اشراف ومراجعة مطاع الصفدي مجلة العرب والفكر العالمي ، ع 13 و 14 ، مركز الانماء القومي ، بيروت ، لبنان ، ربيع 1991.
10. جابر عصفور، بلاغة المقموعين، ألف مجلة البلاغة المقارنة، الجامعة الأمريكية ، القاهرة ، مصر ، ع 12، 1992.
11. حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري ، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، ع1، م30، يوليو سبتمبر 2001م.
12. عبد الحلیم بن عيسى، النص التراثي وآليات قراءته التداولية (نقد النشر لقدامية بن جعفر نموذجاً)، مجلة دراسات أدبية ، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية ، القبة ، الجزائر ، ع3 ، جمادى الأولى 1430هـ ، جوان 2009م.
13. راضي خفيف بوبكري، التداولية وتحليل الخطاب الادبي (مقارنة نظرية) ، مجلة الموقف الادبي ، مجلة أدبية شهرية ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع 339 ، تموز 2004.
14. سيد عبد الفتاح حجاب، منهج الجرجاني بين الذاتية والموضوعية، مجلة كلية اللغة العربية، مصر ، ع10، 1980

15. سامية بن يامنة، الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية، مجلة دراسات أدبية، ع1، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، القبة، الجزائر، ماي 2008م/1429هـ.
16. شكري الطوانيسي، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع1، م42، يوليو/سبتمبر، 2013.
17. شفيقة بسكي ، دراسة في القصد المنطق والانطولوجية ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، ع10 ، مج3 ، ربيع 1983.
18. صلاح إسماعيل ، جون سيرل في القصديّة دراسة في فلسفة العقل ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، حولية 27 ، رسالة 262 ، 2007.
19. طه عبد الرحمن، البحث اللساني والسيميائي (ندوة) الدلالات والتداوليات (أشكال وحدود)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1401 هـ.
20. طالب هاشم طبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، مجلة الفكر العربي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ع99/98، 1992.
21. العياشي إدواري، الفلسفة التحليلية بين أزق لغة الكون وأفق لغة الإنسان، مجلة علامات، ع 37، 2014.
22. عز الدين إسماعيل، قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، مج7 ، ع3 و 4 ، ابريل - سبتمبر 1987.
23. عطية أحمد أبو الهيجاء، التشبيه عند عبد القاهر الجرجاني بوصفه معياراً نقدياً، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع1، م42، يوليو/سبتمبر، 2013.

24. عيد بلبع، قراءات تداولية البلاغة والتواصل، مجلة سياقات، ع2، السنة الأولى، كلية الآداب ، جامعة المنوفية، مصر، صيف وخريف 2009.
25. ديفيد كوزنزهوي، الصحة وقصد المؤلف (نقد هرمنيوطيقا هيرش)، ترجمة خالدة حامد، مجلة نوافذ، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ع27، مارس 2004.
26. محمد العبد:
- تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، مجلة النقد الأدبي فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع65، خريف 2004 ،
شتاء 2005 م.
- النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الاقناع ،مجلة النقد الأدبي فصول،
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع60، صيف خريف 2002م.
27. محمد محمد يونس علي، أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، ع01، م32، سبتمبر 2003م.
28. محمد الخيرش، تداوليات التخاطب عند ميخائيل باختين، مجلة كلية الآداب بتطوان ،
جامعة عبد الملك السعدي ، ع9 ، 1999.
29. محمد الولي:- حول الاستعارة عند أرسطو، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، بني ملال،
المغرب، ع1 2012.
- السيميوطيقة والتواصل ، مجلة علامات ، المغرب ، ع16 ، 2001.
- محمد بن مينة ، البعد التداولي في البلاغة العربي ، علم المعاني انموذجا ، مجلة علامات
تربوية ، فاس ، المغرب ، ع15 ، 1993.
- محمد سويرتي ، اللغة ودلالاتها تقريب تداولي للمصطلح البلاغي ، مجلة عالم الفكر ،
مج28، ع3 ، يناير مارس 2000.

30. محمد الناصر العجمي، سياق التلفظ وقيّمته في تحليل الخطاب تعميما والخطاب السردى تخصيصا، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر، ع62، ربيع صيف 2003.

31. محمد سالم ولد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلن وتطوره في البلاغة المعاصرة (مقال)، مجلة عالم الفكر، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج28، يناير مارس 2000.

32. محمود احمد نحلة، نحور نظرية عربية للأفعال الكلامية، مجلة دراسات لغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، م1، ع1، محرم ربيع 1420هـ ابريل يونيو 1999.

33. نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006.

34. لحماىي فطومة، تداولية الخطاب المسرحي " مسرحية عصفور من الشرق " لتوفيق الحكيم امودجا، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس، ديسمبر 2007.

35. يوسف بن احمد، القصديّة ومشكلة تأسيس الفينومينولوجيا منهج التحليل القصدي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء القومي، بيروت، باريس، ع142 و 143، السنة 29 شتاء 2008.

المواقع الالكترونية :

1. جواد الزيدي، ظاهراتية هوسرل وتأسيس علم كّلي يقيني، سحبت في 27 كانون الثاني (يناير) 2008م، <http://www.alsabah.com>، 11:01:03.

2. دنخا طوبيا كور كيس، البراغماتية والفائداتية، جامعة جدار للدراسات العليا، إربد، الأردن،

<http://www.lisaniate.net>

3. عبد الرحمان بودرع، قضايا البحث التداولي <http://www.lisaniate.net>
4. عادل الثامري، التداولية ظهورها وتطورها، الاثنين 2007/06/12، اسم الصفحة : ثقافية
<http://www.aljahidiya.asso.dz>
5. عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس ، مجلة فصول القاهرة، ربيع
<http://www.lisaniate.net>, 2005 .
6. مجدي عرفة، الفينومينولوجيا والبحث في الإنسان ، ع أبريل 1980
<http://www.rakahwy.org>, 12 فيفري 2008. 10:12:04.
7. محمد شوقي الزين، الفينومينولوجيا وفن التأويل ،
<http://www.Fikewanakd.aljbriabed.net>، 29 فيفري 2008،
16:25:28.
8. تعريف الفينومينولوجيا ومنهجها الوصفي <http://www.al-sham.net>
2008/02/23 ، 19:42:52.
9. عبد القادر بوعرفة، الفينومينولوجيا الحقيقة والأبعاد،
10. النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، <http://pubcounql.kuniv.edu>،
سحبت في م، 15:403 11 ديسمبر 2007.